

أجنحة الحب

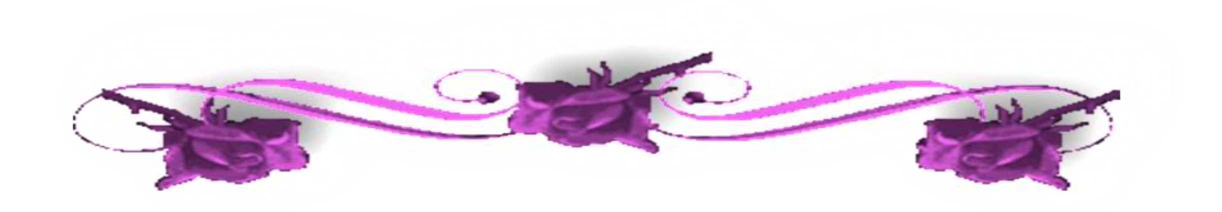
إِضَاءَاتٌ فِي طَرِيقِ السَّعَادَةِ الزَّوْجِيَّةِ

﴿ النسخة الجديدة ﴾

تأليف

نُورالدِّين قُوطِيط





إلى كل شريكين وفيين، يرغبان في حياة زوجية رائعة وجميلة..

تتدفق انسجاماً وجمالاً، وتفيض سكينة وسلاماً..

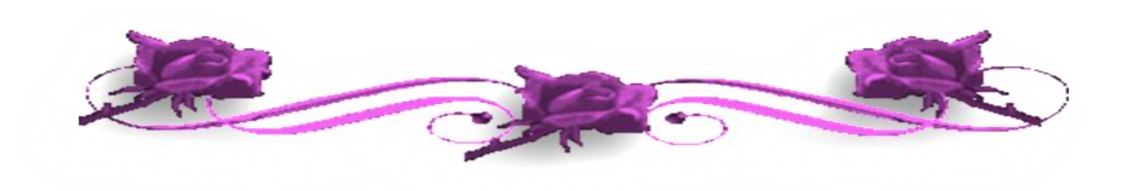
موصولة بأعماق الروح، وممتدة في آماد الخلود..

أرسم هذه المسارات لتكون نباريس متألقة..

في طريق السعادة الرحيب..

فاللهم اجعلها كلمات مباركة في السماء كما في الأرض..

تنفع بها من تشاء من عبادك، إنك سميع الدعـــــــاء..



فهرس الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً طيّباً مباركاً فيه كما يحب ربّنا ويرضى. والصلاة على سيّدنا محمد الذي هدى الله تعالى به إلى طرق السعادة في الدنيا والآخرة. ثم على كل عبد مختار التزم دستور القرآن شرعة ومنهاجاً. وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. أما بعد:

فلا ينكر أحد أنّ من أكبر الأزمات التّي تعاني منها مجتمعاتنا الإسلاميّة المعاصرة؛ بل والعالميّة كافة، أزمة العلاقة الزوجيّة! وهي أزمة لا تقتصر أضرارها الوخيمة على الزوجين فقط، بل تمتد لتشمل أيضاً الأطفال والعائلة والمجتمع!

كما أنّها أزمة لا تتجلّى آثارها الكارثيّة في أرقام الطلاق الفلكيّة فقط، كما هو مُشاهَدٌ في المحاكم والتّي تتزايد بشكل مستمر واطراد مُهِول، بل أيضاً في أعداد البؤساء الذين يعانون (مأساة الطلاق الصامت) بحزن كئيب، حيث تكون العلاقة مستمرة لكنها مشحونة بالتوتر!

بلا شك فلهذه الأزمة الفظيعة والمأساة المهولة روافدُ مختلفة، كانت السببَ في نشوئها وتعميقها، منها العادات والتقاليد البعيدة عن حقائق الإسلام! ومنها شيوع قصص فشل زيجات الأقارب والأصدقاء! ومنها الإعلام بمختلف أشكاله الذي يروّج لتدمير الأسرة!

هذه الروافد من أبرز ما رسّخ في عقول الكثيرين أفكاراً سلبيّة وتصوّرات خاطئة تماماً، جعلتهم يتصوّرون ـبل وحملتهم على أن يعيشوا ذلك واقعاً!ـ العلاقةَ الزوجيّة على أنّها سجن كئيب تتلاشى فيه معاني الإنسانيّة النديّة! وساحة معركة ضروس لا يُحتمل فيها سوى النصر أو الهزيمة!

❁❁❁

من أجل ذلك؛ كانت هذه الإضاءات والمنارات، راجياً من ربي ﷻ أن تكون مساهمةً إيجابيّة، تُبدّد شيئاً من ظلمات تلك الصورة النمطيّة القاتمة والمترسخة في أذهان كثيرين، كما وتجدد

مجموعة من الأفكار الرائجة والتصورات الشائعة بين كثيرين، علماً أنني أدرك بأنّ قد تركت أشياء لم أتكلم عنها، بعضها عمداً وبعضها سهواً.

وأنا إذ أقوم بهذه الوظيفة، فلأنني أعتقد أنّه ليس واجباً عليك ـأيها القارئ الكريم، أيتها القارئة الكريمةـ أن تعيش تجربة زواجك كما يعيشها أولئك البؤساء التعساء، فأنت لا تستحق ذلك، بل حريّ بك أن تبذل جهدك لكي تعيشها تجربة جميلة، راقية ومسؤولة. وفي تصوري أنّ هذا واجب الإنسانيّة فيك قبل أن يكون مقتضى الإسلام الذي تنتمي إليه.

أجل، فأنت تستحق أن تعيش حياة زوجيّة رائعة ومستقرّة، كما عاشها ويعيشها كل الأزواج الناضجين. ولهذا يجب أن ترفض ـبكل ثقة وشجاعةـ كل تلك الأفكار الهدّامة والتقاليد الساذجة والأوهام المغلوطة المنتشرة والرائجة حول العلاقة الزوجيّة وأساليب معاملة شريك الحياة!

من المهم أن تتذكر قول الحق ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾.[1] فواقع حياتك الزوجيّة ـوهي جزء من الحياة الكبرىـ ليست إلاّ نتيجة ما تختاره أنت وتقرره لها، وما تتعامل به معها من أفكار وتصورات ومن أساليب ومناهج.

يقول صامويل جونسون: « مَن يمتلك القليل من المعرفة حول الطبيعة الإنسانيّة ويسعى وراء السعادة إلى الحد الذي يدفعه إلى تغيير أي شيء عدا شخصيّته، فإنّه يهدر حياته في جهود لا طائل منها، ويضاعف من الأسى الذي يحاول التخلّص منه ».[2]

❁❁❁

وإذ أحثك على تعلّم فنون السعادة الزوجيّة، فلستُ ـبارك الله فيكـ أدعوك للاشتغال بلهو باطل ليس تحت طائل، بل إنّ العلاقة الزوجيّة مقصد شرعي عظيم، لما له من الأهميّة الكبرى

---

1 . الرعد/11

2 . «العادات السبع للناس الأكثر فعّاليّة». ستيفن. آر. كوفي/ صـ 113/ مكتبة جرير/2009.

في بناء الشخصية وتكوين الأسرة واستقامة المجتمع ورقي الحضارة، كما سيتضح لك ذلك ـإن شاء اللهـ في فصول الكتاب.

يقول الدكتور فريد الأنصاري: « العمل الأسري اليوم على مستوى الدعوة والإصلاح يُعتبر من أهم المواقع الجهاديّة بمفاهيم القرآن وكلماته... فما أعظم أن يشتغل الدعاة العاملون في الصف الإسلامي ببناء مجالس القرآن الأسريّة، وإنّ في ذلك ما فيه من الضمان والأمان للأسرة، والتجديد لنسيجها العمراني على موازين القرآن، بما يحفظها محميّة محصّنة، ويجعلها أقوى من أن تدمرها وسائل الإعلام أو تخرقها قيم الغرب، وأفكاره المدمرة للنسيج الاجتماعي، ولسائر القيم و الأخلاق ».[1]

وإني لأعجب لمن يقضي سنوات طويلة في الدراسة للحصول على شهادة عالية تُخوّله الظفر بوظيفة ذات مرتب جيّد، ولا يحرص على قراءة بعض الكتب أو المقالات المتعلّقة بمحاور العلاقة الزوجيّة والأسريّة، علماً أنّ الإنسان يحتاج لعلاقة زوجيّة وأسريّة سعيدة وممتعة ومستقرّة أكثر مما يحتاج لوظيفة كبيرة تُدرّ عليه دخلاً كبيراً!

نعم، في الفطرة التي فطر الله تعالى عليها الرجل والمرأة من الامكانيات والقدرات والتصورات ما لو التزمه الأزواج وتعاملوا به فيما بينهم، لعاشوا بسعادة غامرة بنسبة كبيرة وعالية جدّاً. ولكن، هذه القدرات الفطريّة من الواضح أنها تحتاج لصقل وتطوير لتكون النتائج أفضل وأجمل، وبدون ذلك فإنها تظل خامدة ساكنة. ولهذا ما زال الكبار يوصون الصغار، والآباء ينصحون الأبناء منذ قديم الدهر وفي مختلف مناطق العالم، بما يحقق لهم السعادة والاستقرار، لما اكتسبوه من الخبرة وما علّمتهم إياه التجارب، ولم يقل أحد منهم (الفطرة تكفي)!

1 . «مجالس القرآن». د، فريد الأنصاري/ صـ 275/ دار السلام/ 1431-2010. بتصرف يسير

إن كل الدلائل تؤكد على أنّ طبيعة العلاقة بين الزوجين تؤثر تأثيراً بالغاً على الزوجين كما على الأطفال ومسار شخصياتهم. وقد أدرك الحكماء والعلماء هذه الحقيقة من قديم الدهر، فاهتموا بالعلاقة الزوجيّة وبالأسرة اهتماماً بالغاً، حتى إننا نجد اليوم علماً خاصاً بالأسرة هو علم النفس الأسري، والذي تفرّعت عنه فروع أخرى تصب في مجال العلاقة الزوجية والعلاقة بين الأبوين وأطفالهم، وكيف يستطيع الزوجان النجاح في زواجهم ومع أطفالهم.

يكفي أن نعلم أنه بين عام 1980 وعام 2008 صدر في الغرب (61،555) كتاباً في موضوعات علم النفس الأسري بمختلف شعبه، كما أنّ عدد الدراسات والمقالات والبحوث المنشورة حول علم النفس الأسري بجوانبه النظرية وجوانبه التطبيقية بلغ (24،051) بحثاً ومقالاً.[1] أما في تراثنا الإسلامي، فإنك لا تفتح كتاباً من كتب الفقه إلا وتجد فيه قسماً خاصاً بالزواج والأسرة وما تعلّق من أحكام وآداب وإرشادات. كل هذا الاهتمام، أمارة على وعي العلماء والخبراء بدور الزواج والأسرة في سعادة الإنسان والمجتمع.

إنّ هذه الدعوة.. الدعوة لاكتساب ثقافة متنوعة حول العلاقة الزوجية والأسرية وما ارتبط بهما من محاور وجوانب، لست أقصد منها أن تتبنّى كل ما يقال وأن تقتنع بكل ما تقرأ، بل إن أُوجِّه إليك النصيحة ـوقد قرأتُ كثيراً مما كُتب في هذا الموضوعـ أن تقرأ بعقل ناقد، في إطار ضوابط وتعاليم الإسلام والفطرة السليمة، ذلك لأنّ كثيراً مما يقال عنه دراسات علميّة، ليس أكثر من استنتاجات متسرّعة ومتعسّفة، كما أنّ كثيراً منها إنّما هو استنساخ لما كتبه غربيون انطلاقاً من طبيعة الشخصيّة الغربيّة والسياق الاجتماعي الغربي!

❁❁❁

---

1 . «علم النفس الأسري». د، علاء الدين كفافي. صـ 31/ دار الفكر/ 1430-2009.

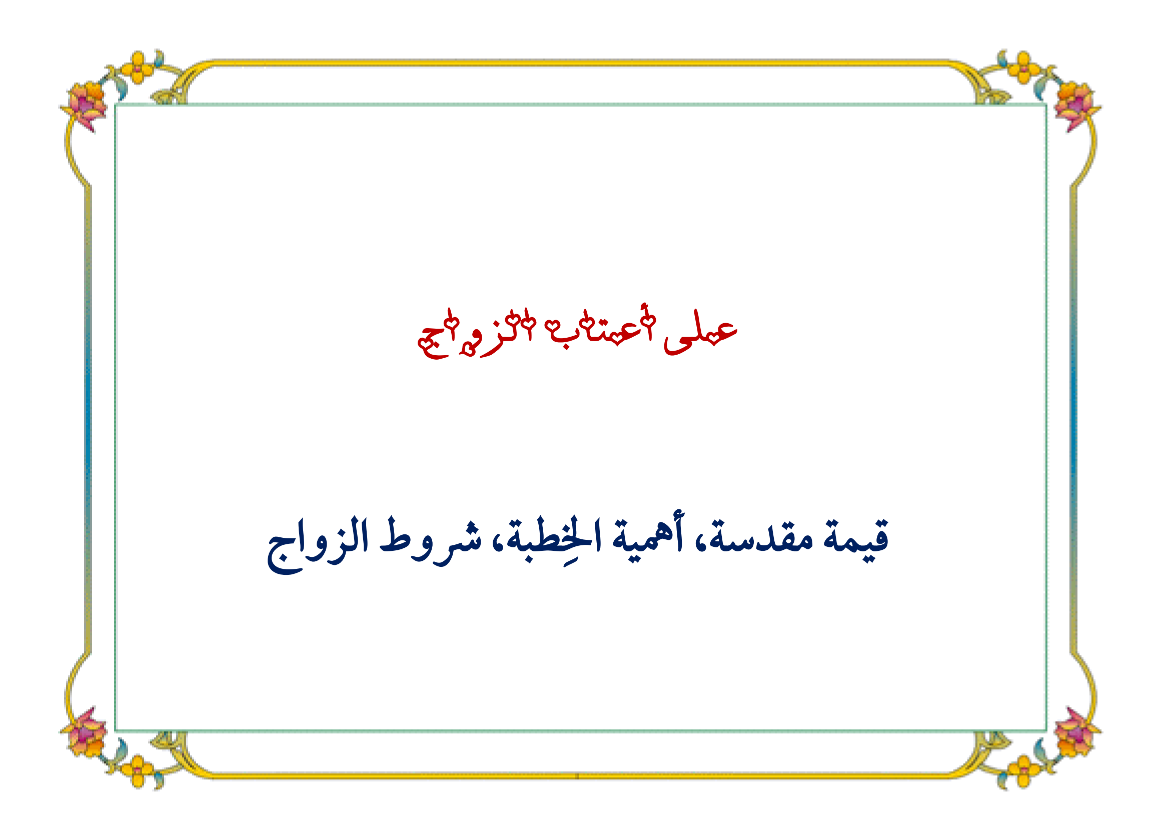
إنني لا أقول بأن قراءة هذا الكتاب، أو حتى عشرات الكتب مثله، كفيلةٌ بأن تحوّل حياة كل زوجين إلى سعادة وهناء، وإلى روعة ومثالية جميلة، فمن المؤكد أنّ هناك الكثير من العوامل من أفكار مغلوطة وظروف ضاغطة، تحول بين المرء وما يطمح إليه في واقع الحال، ولكن كل ذلك لا يمنع من الإصرار والعزيمة. ولهذا قلنا آنفاً بأن هذا الكتاب مجرد إضاءات وتنبيهات وإرشادات ومعالم في الطريق. غير أنّني أنبّه هنا على أن الذكي هو الذي يقرأ ويجمع المعلومات المفيدة، ثم يقوم بتكييفها حسب ظروفه والبناء على أسسها لتحقيق أهدافه.

ثم إنّي أود أن أشير إلى أنّ هذه النسخة مختلفة في كثير من المعالم عن النسخة التي صدرت قبل سنوات عن دار الصفوة بمصر. فقد حذفت منها ما حذفت، وأسقطت منها ما رأيته غير صالح، وأعدت صياغة بعض العبارات والجمل والفقرات، كما أضفت إليها بعض الإضافات والنقول والاقتباسات. ولهذا ستكون هي النسخة المعتمدة دون النسخة الأولى، وإنني أعلن الآن أنني غير مسؤول عن أي نقل من نسخة دار الصفوة.

وأخيراً، لقد حاولت أن تكون أفكار هذا الكتاب نابعة من جوهر الإسلام ومعاني الحياة الجميلة وواقع الفطرة في الرجل والمرأة، كما أنني حاولت أن تكون أطروحاته ومقترحاته موضوعيّة بنسبة كبيرة، فإن وجدتَها كذلك، فالحمد لله على حسن توفيق وإلهامه، وإن كانت الأخرى، فعسى يأجرني الله على نيتي ويغفر لي بها زلّتي. ولست أنفي أن يتصور بعض القراء والقارئات وهو يطالع فصول هذا الكتاب، بأنه طرحه طرح مثالي بعيد جداً عن الواقع!

وأقول لهؤلاء وهؤلاء: لا مشكلة أن يكون كذلك، وإنما دورك أنت هو أن تأخذ من هذه المثاليات بقدر ما تستطيع لتستعين بها على إضفاء لمسات الجمال على حياتك الزوجية إلى أقصى ما يمكن. وأعتقد أن ذلك خير وأحسن عقبى. ولا حول ولا قوة إلا بالله.





على أعتاب الزواج

قيمة مقدسة، أهمية الخِطبة، شروط الزواج

قيمة مقدسة



قيمة الزواج:

يكتسب الزواج في المنهج الإسلامي قيمة عظيمة جداً، لا يلبث الإنسان ـوهو يتأمل معانيهاـ أن تبهره بروعتها المتألقة وتميّزها المتسامي، بحيث يمكن القول بكل يقين: إنّ المنهج الإسلامي قد سما بالرابطة الزوجيّة سمواً رائعاً عجزت كل الفلسفات والمذاهب عن مجاراته فيه!

لقد رسم الإسلام للزواج صورة جميلة جداً، وحدّد لها مساراً متفرّداً جداً، ووضع لها إطاراً واضحاً جداً من الأحكام والآداب. يقول الحق ﷻ: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.[1]

هكذا رسمت الآية المباركة بريشتها الروحانيّة الشفيفة صورة العلاقة الزوجيّة.. تذكير بوحدة النفس، وتحديد لإطار العلاقة الثنائية بين الذكر والأنثى (سكن، مودة، رحمة)، ثم لفت الانتباه لضرورة التفكر في عظمة الخالق في هذا التوفيق العجيب بين الذكر والأنثى!

ومن هنا، تكون الرّسالة المقصودة هي أنّ العلاقة الزوجيّة ينبغي أن تكون تجربة فريدة للغاية ومثيرة جدّاً، ليس فقط لأنّ هذا هو مفتاح السعادة والاستقرار بينهما، بل لأنّه أيضاً برهان الاحترام لذلك الميثاق المقدّس: ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾.[2]

ولذلك، فالعلاقة الزوجيّة في المنهج القرآني ليست علاقة رغبات نفسيّة صرفة أو تقاليد اجتماعيّة محضة، بل بالأحرى هي وشيجة تربط روحين برباط يتجاوز قيود الجسد إلى رحابة الروح، ويمتد من ضيق تبادل الحقوق والواجبات إلى فضاء النبل والسمو في التعامل.

---

1 . الروم/21

2 . النساء/21

ثم، لكي تكتمل الصورة المشرقة، نجد القرآن الكريم يُقرّر أن ميثاق الزواج لا ينتهي بانتهاء الحياة الدنيا، بل يمتد إلى عالم الخلود السرمدي: ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُم وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.[1]

هذه الروعة وهذه القدسية نابعة من ثلاث حقائق، **(أولها) وحدة الفطرة:** ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾.[2] **(ثانيها) وحدة الغاية:** ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.[3] **(ثالثها) وحدة المصير:** ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾.[4]

إنّ كل الروافد التي تُكسب العلاقةَ الزوجيّة معناها الرائع وتُضفي عليها قيمتها المقدسة ترجع في التحليل الأخير إلى هذه الحقائق الثلاث. وهذا يعني أن يعي الزوجان المسلمان أنّ الزواج موضوع لكي يُشكّل كلاهما وحدة متكاملة وتلاحماً متماسكاً وتوافقاً منسجماً.

إنّ في أعماق الرجل أبعاداً لا يملأها شيءٌ كما يملأها وجودُ المرأة برقّتها وجاذبيّتها! وإنّ في أعماق المرأة أبعاداً لا يملأها شيءٌ كما يملأها وجودُ الرجل بعظمته وروعته! وهي حقيقة فطريّة كما يدركها الرجل والمرأة ولو بشكل مبهم غامض، فكذلك يعترف بها الإسلام ويحترمها.

ولقد اتبع المنهج الإسلامي للحفاظ على قدسيّة هذه الحاجة الفطريّة النبيلة، وعلى حرمة الميثاق الزوجي وترسيخ قيمته في النفس والمجتمع أربع طرق **(أولها)** بيان فضائله وتفسير فوائده والحثّ عليه. **(ثانيها)** بيان حقوق وواجبات كلا الطرفين. **(ثالثها)** تحريم كل ما يمكن الاستغناء به عن الزواج. **(رابعها)** النهي عن الرهبانيّة والتبتّل بدعوى التعبّد لله تعالى.

وهذا ما سنقوم ـبحول الله تعالىـ بتفصيله خلال الفصول القادمة من هذا الكتاب.

---

1 . غافر/8

2 . الزمر/6

3 . الذاريات/56

4 . العنكبوت/57

❁❁❁

أهميّة الزواج:

إنّ الزواج مقصد عظيم من مقاصد الشرائع ورسالات الأنبياء، ولذلك اعتبره العلماء أحد المقاصد الخمسة التي تعكس الغايات العليا للشريعة، تحت مقصد النسل، باعتبار أنّ استمرار البشريّة عبر آلية التناسل من خلال التقاء الرجل والمرأة هو الغاية المقصودة بالأصالة.[1]

يقول الشيخ محمد شلتوت: « لا نعرف ديناً من الأديان السماوية، إلا وكان للزواج فيه المكان الأول مما يستدعي العناية والاحترام، وكذلك لا نعرف أمة من الأمم التي تعرف قيمة الحياة، إلا كان الزواج لديها آخذاً تلك المكانة من العناية والاهتمام، وليس ذلك فقط لأن الزواج أصل الأسرة، بل لأنه -أيضاً- مما تدعو إليه الفِطَرُ وتقضي به الطبيعة ».[2]

هذه القيمة تتجلّى في أربعة معاني كبيرة:

❖ **(المعنى الأول)..** يُعتبر الزواج بيئة خصبة ليشعر الزوجان باتحادهما وتلاحمهما، ولكي يتذوقا جمال الوحدة المتماهيّة بلا حواجز ولا فواصل بينهما، عبر الإشباع الكامل لشتى غرائزهما ومختلف رغباتهما وأشواقهما. وبدون هذا التزاوج ستظل الفطرة تضغط ضغطها العنيف!

❖ **(المعنى الثاني)..** يضبط الزواج ضغوط الغرائز الماديّة الجنسية، والغرائز المعنويّة الوجدانية، في الإنسان «تثويراً وتهذيباً وترقية»، بصورة طويلة المدى عميقة التأثير. هذه الاستمراريّة هي التي تعطي للمتزوجين شعور السعادة الدائم والسكينة المتواصلة والاستقرار الراسخ.

---

1 . «المقاصد العامة للشريعة الإسلامية». يوسف العالم/ صـ 393/ دار الحديث/ 1417-1997.

2 . « الإسلام عقيدة وشريعة ». صـ 142/ دار الشروق، ط 18/ 1421-2001.

❖ **(المعنى الثالث)..** يُسهم الزواج بصورة فعّالة في تحقيق السكينة النفسيّة. وهذا من شأنه أن يساعد الزوجين المستقيمين على الالتزام بتعاليم الشريعة في مختلف نشاطات الحياة. ولهذا كان المتزوجون أدنى للاستقامة من غيرهم، كما أنّهم أحظى بالسعادة من غيرهم.

❖ **(المعنى الرابع)..** الزواج لا يختص بالجانب الجسدي أو الجانب النفسي في الإنسان، مثل باقي الغرائز التي إما أن تكون جسديّة أو معنويّة. بل هو حاجة جسديّة ونفسيّة في الوقت نفسه، وهذا ما يجعل الزواج مساهماً في نماء الشخصيّة بكل أبعادها بشكل فعّال.

النتيجة ـإذنـ هي أنّ الزواج في معناه الحقيقي ليس إلا مادة استكمال فضائل الإنسانيّة في الرجل والمرأة معاً، من خلال تثوير وتهذيب وإنماء مختلف الغرائز والرغبات والمشاعر، وإشباع شتى الأشواق والنزعات والاحتياجات الماديّة والمعنويّة فيهما.

في حديث الرسول ﷺ: ﴿ إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين، فليتق الله في النصف الباقي ﴾[1] باعتبار أنّ غاية الدين هي تهذيب الغريزة وتزكيّة النفس وترقية العقل، لكي يؤدي الإنسانُ المهمّةَ التي خلقه الله ﷻ لها ـ مهمة العبودية ـ كما ينبغي، قال سبحانه وتقدس: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.[2]

فلا عجب ـإذنـ أن نكتشف اتفاق « الإسلام وعلم النفس حول أهمية الزواج، وفي الدعوة إليه والترغيب فيه، والتخويف من العزوف عنه مع القدرة عليه. فبه تصلح النفوس، وتقوى المجتمعات، وتعمر الدنيا، وتستمر الحياة، وبدونه تضعف النفوس، وتفسد المجتمعات، وتخرب الدنيا وتتوقف الحياة ».[3]

❁❁❁

---

1 . الجامع الصغير. السيوطي.

2 . الذاريات/56.

3. «العلاقة الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس». كمال مرسي/صـ31/دار القلم، ط2/1415-1995.

فوائد الزواج:

لم يسم المنهج الإسلامي بالزواج سمواً عالياً جداً، ولم يُضْفِ على أي عقد من معاني التبجيل والتعظيم، ومن آيات التقديس والإجلال ما أضفاه على الزواج. ومن الواضح البيّن أنّه لم يفعل ذلك إلا لأنّ للزواج فوائد جليلة وثمرات طيّبة وآثاراً حميدة.

لقد تكلم كثيرون عن فوائد الزواج وأهميّته للنفس والمجتمع. ولهذا سأذكر باقة متنوّعة من هذه الفوائد والثمرات، لتنكشف للقارئ بوضوح أصالة الزواج ومركزيّته في نظام الحياة. فالشيء إذا ظهرت فوائده، رغبت فيه النفسُ أشدَّ الرغبة وسعت إليه بكل حيلة.

(أولاً).. الزواج آية من آيات الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾.[1] وهو آية عظيمة من آيات الله للأسباب التّاليّة:

- لأنّه سنّة من سنن الله تعالى في جميع عناصر الكون والحياة: ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.[2]
- لأنّه نعمة جميلة امتنّ بها الخالق الجليل على عباده: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾.[3]
- لأنّه سبب لاستمراريّة النسل في العالم: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾.[4] أي أقواماً لاحقين يخلفون أقواماً سابقين.

هذه واحدة، وأما الفائدة الثانية، فهي:

---

1 . الروم/21

2 . الذاريات/49

3 . النحل/72

4 . البقرة/30

(ثانيّاً).. الزواج من أسباب إحسان العبادة، فإذا كانت عبادة الله تعالى واجبة، كان كلّ ما يساعد الإنسان على أداء هذا الواجب كما ينبغي مرغوباً. والزواج يحقق هذا الغاية، للتالي:

- لأنّه يساعد الإنسان على إشباع غرائزه الفطريّة، فيعبد الله تعالى بنفس هادئة مستقرّة. فالطاعة لا تستقيم مع ضغط الشهوة الجنسيّة والإحساس بالفراغ العاطفي.
- لأنّه نصف الدين، بحيث مَن لم يتزوج كان في دينه نقص. إذ مقصود الدين أن يعبد الإنسان ربّه بنفس مطمئنّة، والزواج من أهم الأشياء التّي تحقق شعور بالطمأنينة.
- لأنّه من سنن المرسلين، ونحن مأمورون بالاقتداء بهم، فذلك مقتضى الإيمان بنبوتهم: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾.[1]

هذه ثانية، والفائدة الثالثة، هي:

(ثالثاً).. الزواج متجر لكسب الحسنات. فالله تعالى يعطي الحسنات على كل ما يساعد العبدَ على الطاعة والاستقامة. والزواج يحقق كل هذا للأسباب التّاليّة:

- لأنّه لما كان الزواج من أسباب إحسان العبادة، لزم أن يكون كل ما يتعلّق به سبباً لكسب الأجر، كما قال رسول الله ﷺ بقوله: ﴿ وفي بُضع أحدكم صدقة ﴾.[2]
- لأنّه سبب في تكثير المسلمين، قال رسول الله ﷺ: ﴿ تزوجوا الودود الولود، فإِنّي مُكاثرٌ الأنبياءَ يومَ القيامةِ ﴾.[3] وهذا فيه مسرّة عظيمة للنبي ﷺ.
- لأنّه سبب في وجود ولد يدعو للوالدين. قال رسول الله ﷺ: ﴿ إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: أو ولد صالح يدعو له ﴾.[4]

---

1 .الرعد/38

2 . رواه مسلم. و قوله " بُضع أحدكم " كناية عن الجماع.

3 . رواه ابن حبان.

4 . رواه ابن حبان.

هذه ثالثة، والفائدة الرابعة، هي:

(رابعاً).. الزواج سبب في توطيد العلاقات الاجتماعية. فالله تعالى يحب أن تكون الأمة الإسلاميّة متماسكة. والزواج سبب في توطيد العلاقات للأسباب التّاليّة:

- لأنّه يساعد على شيوع المحبّة بين الناس ومشاعر التّعاون وتوطد الأواصر بينهم. ولهذا حثّ الإسلام على تيسير سُبل الزواج، كما نهى عن وضع العراقيل دونه!
- لأنّه عامل بارز في تحقيق صحة جسديّة قوية وصحة نفسيّة مستقرة، إذ إنّ الزواج يشجّع الطرفين على تبادل الرعاية والعناية بشكل دائم ومتواصل.
- لأنّه سبب قوي في محاصرة الفواحش المدمرة للمجتمعات،[1] كما أخبرنا الرسول ﷺ بأنّه لم تظهر الفاحشة في قوم إلا فشت فيهم الأمراض المختلفة.[2]

هذه رابعة، والفائدة الخامسة، هي:

(خامساً).. الزواج من عوامل تهذيب النفس، لأنّ أحد أهم مقاصد الشرع هو تهذيب وتزكية الضمير، والزواج له دخل عظيم في تحقيق هذا المقصد الشريف، ويتجلّى ذلك في:

- لأنه يمنح العبد فرصة واسعة ودائمة وممتدة للتدرّب على الصبر وكظم الغيظ واحتمال الأذى، والتزام محاسن الأخلاق وجميل الآداب.
- لأنه عامل فعّال للغاية في تثوير مكامن النفس وتفعيل طاقاتها الكامنة ومشاعرها النبيلة، مثل الحب والتسامح والتضحية والصبر والتعاون.

---

1 . قال فيلسوف الحضارة وِل ديورانت: «اختراع موانع الحمل وذيوعها هو السبب المباشر في تغيّر أخلاقنا... ولسنا ندري مقدار الشر الاجتماعي الذي يمكن أن نجعل تأخير الزواج مسؤولاً عنه». (مباهج الفلسفة/ الكتاب الأول/ صـ 125 و127/ مكتبة الأنجلو مصرية/1955).

2 . الترغيب و الترهيب. المنذري.

- لأن فيه تذكيراً قويّاً بلذة الجنة ونعيمها، فالنفس إذا ذاقت لذة الحب والجماع قاست عليها لذات الجنة، فانبعثت إلى العمل الصالح، عسى أن تفوز باللذة الأبدية.

كانت تلك هي أهم أصول الفوائد المقصودة من الزواج. وقد جمع العلامة محمد التهامي كنّون الإدريسي الفاسي(توفي 1915/1333) هذه فوائد الزواج، فقال[1]

فوائد النكاح غَضّ البصرِ ... تحصين فرجٍ ورجا نسلٍ دَرِ
تصفية القلب كذا تقويتُهْ ... على العبادة كذا استراحتُهْ
من تدبير المنزل والتكلّفِ ... رياضة النفس فرَاعِ واكْتَفِ
والغنى أيضاً واطلاع الإنسانِ ... على الذي يُشوِّقُه إلى الجنانِ

وإذ قد فهمنا أبرز فوائد الزواج، نقول مع الشيخ محمد أبو زهرة: « وفي الحق إن الزواج مظهر من مظاهر الرقي الإنساني، وهو راحة النفس الفاضلة ومستقرّها و أمنها وسكنها، وهو تكليفات اجتماعيّة، فمن أحجم عنه فقد فرّ من الواجبات الاجتماعية ونزل إلى درجات الحيوان ».[2]

والشيخ رحمه الله لا يقصد مَن تعذّر عليه الزواج، خصوصاً من الناحية المادية، بل يقصد الذي توفرت له ظروف الزواج، ومع ذلك رفض خوض تجربة الحياة وغمارها ومعاناتها، إذ كان الزواج التزامات ومسؤوليات، والحيوان لا يعرف ذلك كما يعرفه الإنسان.

---

1 . «قرة العيون بشرح نظم ابن يامون في آداب النكاح». محمد كنّون الإدريسي الفاسي/ صـ45 /دار ابن حزم/2004،1425.
2 . «الأحوال الشخصية». الإمام محمد أبو زهرة/ صـ21 /دار الفكر العربي.

في هذا السياق نذكر كلمة سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ لأحد الأشخاص الذي أعلنوا رفض الزواج: « لا يمنعك عن النكاح إلا عجزٌ أو فجورٌ »، أي لا يمنعك عن الزواج إلا عجز مادي أو مرض مثلاً، أو فجور واتباع سبيل الرذيلة والزنا. والعجز والفجور أغلب موانع الزواج.

ولا ينبغي الاحتجاج ببعض العلماء الذي لم يتزوجوا، فأولاً مثل هؤلاء الكبار لابد أنه كانت لهم ظروف وأسباب خاصة، فليس يُعقل أن أمثالهم يزهد في فضائل الزواج، وثانياً هذه حالات قليلة والقليل لا يقاس عليه في نظام الحياة. وثالثاً نحن مأمورون بالاقتداء بالشرع فقط.

رغم كل هذه الأهمّية البالغة والفوائد العظيمة للزواج، ها نحن أُولَاءِ اليوم نشهد كيف تتم محاربة الزواج والتنفير منه والتزهيد فيه في بلداننا الإسلاميّة، عبر أجهزة وأذرع الإعلام العلماني المسيطر في بلداننا، في سياق التمكين للعلمانية ومحاولة صبغ شخصية المسلم المعاصر بها!

لكن حسبنا هنا أن نتلو قول الحق تبارك شأنه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.[1] و قوله سبحانه: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾.[2]

❁❁❁

الترغيب في الزواج:

وهكذا يتبيّن لنا سرّ ذلك الحرص الشديد من الإسلام على ضرورة أن يسارع المسلم بالزواج، وأن يذلّل الآباء وأولياء الأمور سُبُله وتسهيل كل صعب لأجله. ولكن؛ في عصرنا الحاضر صار الكل (الآباء، الفتيات، الشباب، المجتمع) يضعون العراقيل في طريق الزواج وتكوين الأسرة، بكثرة الشروط التي لا يستطيع كثيرون الالتزام بها ولا يتوفرون عليها!

---

1 . النور/17

2 . الصف/8

قال رسول الله ﷺ: ﴿ يا معشر الشباب مَن استطاع منكم الباءة فليتزوج ﴾.[1] والباءة هي القدرة ماديّاً ومعنويّاً. وهذا الأمر النبوي كما أنه يتضمن التحريض على الزواج، فإنّه يتضمن دعوة للآباء بتيسير سبل الزواج وتذليل الصعاب، وأيضاً يتضمن دعوة للشباب وحثّهم على العمل لتوفير الأسباب المعينة على التمكن من الزواج، بل ويتضمن دعوة للحكومة الإسلاميّة بالمساهمة والمساعدة في إشاعة ثقافة الزواج وتسهيل أمره.

والدعوة للتزويج لم تقتصر على الآباء مع أبنائهم وبناتهم، بل قد خاطب الله تعالى الأولياء بأن يسعوا في تزويج مَن لهم الولاية عليهم، فقال: ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾.[2] قال الإمام الطاهر بن عاشور رحمه الله، في تفسيره حول هذه الآية: « أَمَرَ الأولياء بأن يُزَوِّجوا أياماهم ولا يتركوهن متأيّمات، لأنّ ذلك أعف لهن وللرجال الذين يتزوجونهن. وأمر السادة بتزويج عبيدهم وإمائهم ».[3]

قال الإمام الأوزاعي ﷺ: « ليس حب النساء من حب الدنيا ». أي بسبب مقاصد الزواج الشريفة يتحول الزواج من مجرد متعة شهوانيّة ولذة نفسيّة عابرة إلى حسنة عظيمة تنفع صاحبها عند الله تعالى في الآخرة. ولهذا كان السلف ﷺ حريصين أشد الحرص على الزواج، والابتعاد عن العزوبة، حتّى قال ابن مسعود ﷺ: « لولم يبق من الدنيا إلا يوم واحد أحببت أن يكون لي فيه زوجة ». ونجد أن الإمام علي ﷺ تزوج بعد وفاة السيدة فاطمة بأسبوع واحد.

من أجل ذلك، لم يتردد الإسلام في تحريم الرهبانيّة والتبتّل، أي منع النفس من الطيّبات التي أحلّها الله لعباده المؤمنين : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ

---

1 . صحيح البخاري.

2 . النور/32

3 . «التحرير و التنوير». الطاهر بن عاشور/ جـ 18/صـ 215 /الدار التونسية للنشر/1984.

﴾.[1] إذ يكفي أن الرهبانية تعمل على قطع النسل الذي يُعتبر مقصداً كبيراً من مقاصد الشرائع، بالإضافة إلى أنّها تعمل على تدمير الشخصية والمجتمع.

ويكفي في هذا السياق التذكير بالفضائح التي لا تزال تظهر للعلن عن مسؤولين داخل الكنائس المسيحية في مختلف أنحاء العالم، تخص حالات تحرّش واغتصابٍ للأطفال والراهبات، وبعلم أعلى المسؤولين في الفاتيكان، فلا يجدون في حال انكشاف الجريمة الشنعاء إلا إرغام الكاهن على تقديم الاستقالة أو نقله إلى كنيسة أخرى! وكل هذا بسبب مصادمة هؤلاء للفطرة!

وفي الغرب حيث الانفلات الأخلاقي والمتعة الجنسيّة المتاحة بسهولة كبيرة وقريبة المنال بيسر واسع، إلا أنّ الباحثين هناك يصدرون دراسات مختلفة تؤكد على أن المتزوجين أفضل من غير المتزوجين من حيث الصحة النفسية والجسدية، لأن الزواج المستقر يعطي للزوجين الشعور بالمعنى والقيمة.[2] ذلك لأنّ الإنسان مهما انغمس في حمأة الزنا وأوحال الرذيلة، فإنّه لا يجد استقراره وسعادته إلا في ظلال علاقة زوجية نظيفة ومنسجمة.

إنّ الإسلام منهج واقعي، يتعامل مع الإنسان كما هو، بكل نزعاته وشهواته، ذلك لأنّه يعلم أنّ تلك النزعات والشهوات لم تُخلق عبثاً، بل لمقاصد جليلة وغايات شريفة، ولا سبيل لتحقيق ذلك إلا بفسح المجال لها لتُشبع وتُروى في إطار الحلال النظيف. ويوم التزم المسلمون بهذه الدعوة الربانيّة، لم تكن المجتمعات الإسلامية تعاني من عزوبة أو عنوسة أو مشاكل جنسية، أما اليوم فحيث التزم المسلمون بالتقاليد الجاهلية، ولهث بعضهم وراء الغرب، النتيجة معلومة للجميع!



1 . الأعراف/32

2 «العلاقة الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس». د، كمال مرسي/صـ33 /دار القلم طـ2 /1415-1995.

أهمية الخِطبة



مرحلة الخطِبة:

لم يهتم المنهج الإسلامي ـكما يقول الإمام أبو زهرة رحمه الله[1]ـ بمقدمات أي عقد من العقود سوى بعقد الزواج، لما له من الشأن العظيم والدور الكبير في حياة الإنسان وحياة المجتمع، ليس فقط في عالم الدنيا بل وفي عالم الآخرة أيضاً!

هذا الاهتمام وثيق الصلة بقيمة الإنسان في الرؤية الإسلاميّة. يقول الدكتور يوسف حامد العالِم: « عني الشرع الإسلام بعقد الزواج، وأعطاه مكانة سامية من بين العقود، لأنّ مناط عقد الزواج هو النفس الإنسانية التي أعزّها الله بالكرامة والتفضيل، بخلاف باقي العقود».[2]

إن مرحلة الخِطبة مهمّة للغاية في حياة أي شخصين يرغبان في تأسيس علاقة زوجية تتّسم بالاستقرار والسعادة. ولذلك كانت مرغوبة شرعاً وعُرفاً. يقول الشيخ سيد سابق رحمه الله: « الخِطبة من مقدمات الزواج، وقد شرّعها الله قبل الارتباط بعقد الزوجيّة، ليتعرف كلٌّ من الزوجين صاحبَه ويكون الإقدامُ على الزواج على هدًى وبصيرة ».[3]

وما من شك في أن الخِطبة تساعد بشكل فعّال ـبالنسبة للطرفين الناضجين ـ على غرس بذور هذا التفاهم والانسجام بينه الطرفين، والتقريب بينهما، ومن ثم سيكون لديهما مقدرة عالية بعد الزواج على تجاوز كل التحديات المرصودة لهما في الطريق. وذلك لأنّ الخطبة تسمح للطرفين معاً ـأو هكذا ينبغي أن تكون ـ على امتحان تلك الصورة المثالية عن شريك الحياة التي رسمها كل

---

1 . «الأحوال الشخصيّة». صـ 26/ دار الفكر العربي.

2 . «المقاصد العامة للشريعة الإسلامية». د، يوسف حامد العالم/ صـ 410/ دار الحديث/ 1417-1997.

3 . «فقه السنة». جـ 2 صـ 16/ دار الفتح للإعلام العربي/ 1425-2004.

واحد منهما خلال سنوات طويلة، وضبطها وتهذيبها في إطار الواقع الحقيقي لشخصية الإنسان كما تظهر منها جوانب لابأس بها خلال هذه المرحلة، خصوصاً عندما يتوفر الصدق والجدّية. ومن ثم، يدخلان عالم الزواج بنظرة موضوعية عن الشريك المثالي بنسبة كبيرة جدّاً. فحريٌّ بالعاقلين ألا يغفلا عن أهميّة هذه المرحلة المهمة التي يُفترض أنّها تمهيد للحياة الزوجيّة الآتية بعدُ.

أما حين ينحرف طرفا مشروع الزواج بالخِطبة عن مقاصدها الصحيحة في الاعتبار الديني والنفسي والاجتماعي، فإنّ النتيجة الحتميّة لهذا الانحراف الذي يتجلّى في لامبالاة غافلة أو أحلام عابثة، لهي يقظةٌ صادمةٌ بعد مدة قصيرة من بداية الزواج، وذلك حين تتكشّف الحقائق المخبوءة في الطرفين بفعل الظروف المختلفة والواقع المتقلب وسوء إدارة العلاقة الثنائيّة. ولهذا نجد كثيرين يشتكون من تغيّر شريكهم بعد أسابيع قليلة من الزواج!

على أنّ مسؤولية نجاح مرحلة الخطبة، لا تقع ولا تقتصر فقط على الشاب والفتاة، بل تقع وتشمل أيضاً أهل الطرفين معاً. فمن الواجب على هؤلاء الأهل والأولياء جميعاً أن يُوجهوا ابنهم وابنتهم لضرورة التعامل مع هذه المرحلة بكل جديّة وأهميّة، كما أنّ عليهم واجب تنبيههم على ما يرونه تجاوزات وقعا أو قد يقعان فيها، فالخطبة _كما قلنا_ تُعتبر مرحلة تمهيديّة وتأسيسيّة لعلاقة زوجيّة راسخة ومستقرة وواضحة.

❁❁❁

فروق أصيلة:

من المفيد أن ندرك أنّ هناك فروقاً واسعة جداً بين الخِطبة وبين الزواج. إذ إنّ كثيرين يخلطون بينهما، فيعتقدون أنّ الفرق لا يعدو أن يكون متعلّقاً ببعض الشكليّات غير المهمّة، ومن ثم يندفعون نحو أمور لا يمكن أن تكون مقبولة في ميزان الشرع والأخلاق!

الذي يجب فهمه بخصوص مسألة الفروق بين الخطبة والزواج، هو أنّ الخِطبة شيءٌ مختلف بشكل كامل عن الزواج، سواء من حيث **(الحقيقة)**، أم من حيث **(الوظيفة)**، أم من حيث **(التبعات)**، أم من حيث **(الأحكام)**. بيان ذلك هو:

- **من حيث الحقيقة**: فالخِطبة وعد بالزواج وليست زواجاً. إذ إنّ الوعد بالشيء شيءٌ، والشيء نفسه شيءٌ آخر تماماً. وهذا متفق عليه بين العلماء والعقلاء.
- **من حيث الوظيفة**: الخِطبة هي مرحلة تعارف بين الخطيبين، يتم في إطار عام جداً، دونما تجاوز للحدود والضوابط التي أذن الشرع بتجاوزها بعد الزواج.
- **من حيث التبعات**: الخِطبة تبعاتها منتفية، لأنّها ليست عقداً يقتضي تبعات، أما عقد الزواج فهو يقتضي تبعات المهر والنفقة والسكن والنسب والاستمتاع.
- **من حيث الأحكام**: الخِطبة عليها أحكام مشدّدة، بحكم أن الطرفين يُعتبران أجنبيان شرعاً، عكس الزواج حيث يُعتبران مباحان لبعضهما بشكل كامل.

يقول الدكتور محمد العمراني: « القول المعتمد أن الخِطبة لا تُمثّل لدى عامة فقهاء المذاهب الإسلاميّة، أي التزامات أو تبعات لطرف على آخر، بل ولا تُمثّل أكثر من عرض طرف رغبته في التزوج بالطرف الآخر، وبالتالي فإنّها لا تمنح أي حق، ولا تُلزم بأي واجب. كما يُعتبر الطرفان أجنبيان عن بعضهما في نظر التشريع الإسلامي ما دام لم يتم العقد بجميع أركانه ».[1]

بعد هذا البيان للفروق بين الخطبة والزواج، نأتي الآن إلى ذكر الضوابط الواجب مراعاتها بين الخطيبين، على سبيل التلخيص والاختصار دون الإطناب والإكثار، إذ يمكن مراجعة ذلك في أبواب النكاح في كتب الفقه أو كتب أحكام الأسرة في الإسلام:

1 . «فقه الأسرة المسلمة في المهاجَر». د، محمد العمراني/ جـ 1 صـ 303/ دار الكتب العلمية/2001،1422.

❖ **عدم حلّيّة إطلاع الخطيبين على بعضهما،** إلا بمقدار ما هو مأذون فيه شرعاً، وهو الوجه والقَوام الظاهر. قال رسول الله ﷺ: ﴿ انظر إليها، فإنّه أحرى أن يُؤْدَم بينكما ﴾.[1] أي يُؤَلَّف بينكما نفسيّاً وعاطفيّاً. وذهب بعض أهل العلم إلى جواز النظر إلى المرأة المقصودة بغير علمها أو علم أهلها، مراعاة للجانب النفسي ولكرامتها وكرامة أسرتها إذا لم تصادف من نفسه هوى وإعجاباً، فيتراجع بدون إثارة أية بلبلة لها ولأسرتها. وفيما تعشق النفوس مذاهب.[2]

❖ **حرمة الخلوة بين الخاطب وخطيبته،** فحق اطلاع الخطيبين عل بعضهما بعضاً، ليس يعني إباحة الخلوة بينهما. قال رسول الله ﷺ: ﴿ لا يخلونَّ رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان ﴾.[3] وهذا التحريم لأجل دفع خواطر السوء ووساوس الشيطان، لأنّ النفس إذا أمنت الرقيب نفخ فيها الشيطان ـببطء وبهدوءـ نار الشهوة والرغبة، فإذا ذاقت القليل لم تزل تحايل للوصول إلى ما بعد ذلك، حتى تدركه ولو بعد حين!

❖ **حرمة أن يتقدم الرجل لخطبة امرأة محرّمة عليه حرمة مؤبدة أو مؤقتة.** كأن يخطب امرأة متزوجة، أو امرأة معتدّة بطلاق أو وفاة. اللهم إلا للمتوفى عنها زوجها فيجوز التعريض لها بالرغبة فيها، كما قال الله سبحانه: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ ﴾.[4] قال ابن عباس رضي الله عنه: « التعريض أن تقول: إني أريد التزويج، وإني أحب امرأة من أمرها ومن أمرها يُعرّض لها بالقول بالمعروف ».

❖ **حرمة أن يتقدم الرجل لامرأة مخطوبة.** وهذا في حال تم التصريح بالإجابة، أو لم يلغ الخاطب الأول طلبه. قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: ﴿ نهى رسول الله ﷺ أن يخطب الرجل على

---

1 . «رواه الترمذي».

2 . قال الشيخ وهبة الزحيلي رحمه الله: « وهذا هو المعقول، عملاً بظاهر الأحاديث التي تدل على أنّه يجوز النظر إليها، سواء أكان ذلك بإذنها أم لا ». (الفقه الإسلامي و أدلته). جـ 7 صـ 24/ دار الفكر. 1405-1985.

3 . «رواه الترمذي». والخلوة قد تكون مباشرة، وقد تكون غير مباشرة عبر الهاتف وتطبيقات التواصل الاجتماعي.

4 . البقرة/235

خطبة أخيه ﴾.[1] وأما إذا لم تتم الخِطبة وكان الأمر في مرحلة الأخذ والرد، فالصحيح عند العلماء أنّه لا تحرم خطبة الخاطب الثاني. واستدلوا بحديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها حين خطبها ثلاثة رجال فشاورت الرسول ﷺ فيهم: أيّهم تقبل؟

جاء في (موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي) : « إذا أجابت المخطوبة الخاطب، أو أذنت وليّها في إجابته، أو تزويجه، فقد حرم على غيره خطبتها بالإجماع.... أما إذا ترك الخاطبُ الخطبةَ رغبة عنها، أو أذن في الخطبة الجديدة، فقد اتفقوا على جواز الخطبة على خطبته ».[2]

والسبب في هذا التحريم يرجع إلى أنّ الشريعة تريد لأفراد المجتمع أن يكونوا إخوة متحابين، قلوبهم صافية ونفوسهم طاهرة، تجمعهم جامعة المودة والرحمة. وتقدم شخص آخر لخطبة فتاة يعلم أنّها مخطوبة لغيره لا شك أنّ ذلك يؤذي الخاطب الأول، إذ ربما طلبت المرأة أو أهلها فك الخِطبة معه بسبب الثاني إما لغناه أو لشيء آخر، وهو شيء وقع فعلاً بين النّاس، وذلك ما يؤجج نار الحقد والعداوة بين أفراد المجتمع.

وبعد: لقد أورثت الاستهانة بهذه الضوابط الكثير من المآسي المؤلمة والفضائح المخزية! فإنّ كثيراً من النّاس في عصرنا لبّس عليهم إبليس: فمنهم من يعتقد أنّ منع ابنته من الخلوة والخروج مع خطيبها رجعيّة وتخلف! ومنهم من يعتقد أنّه يستطيع أن يتوقف مع خطيبته عند حدود معيّنة كالكلام أو القبلة والعناق، لا يتجاوزها! ومنهم من يعتقد أن الخطبة فترة تجربة كاملة بين الطرفين لينظرا مدى التوافق والانسجام بينهما من عدمه، وأن تفشل الخطبة بعد ذلك خير من أن يفشل الزواج لاحقاً ويتشرد الأطفال وتكثر المشاكل والأزمات! لكن الذي يحدث هو أنّ الجميع لا يدركون هول الخطأ وشناعة هذه الميوعة إلا بعد فوات الأوان!

---

1 . «رواه أحمد».

2 . «موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي». سعدي أبو جيب/ جـ 2 صـ 1182/ دار الفكر، ط 2/ 1404-1984.

إن المسلم الذي يعي معنى كونه مسلماً، لا يبالي بتخاريف العلمانيين والفاسقين وشعاراتهم، بل معياره الذي يُخضع له كل شيء هو الإطار الإسلامي وأحكامه الشرعية. ومن ثم؛ فهو يدرك أن الخطبة ـ كما قلنا ـ مجرد وعد بالزواج، والتعارف يتم في نطاق محدد للغاية، ومن ثم؛ فحتى لو لم يتفق الطرفان وتم فسخ الخطبة، فكل واحد منهما يظل محتفظاً بكرامته ونزاهته وعفافه وأسراره الشخصيّة. وإن زوجين قررا الطلاق بعد استنفاذ كل طرق العلاج واستئناف الحياة معاً، لهما خير وأفضل في نظر الشرع والعُرف والأخلاق من خطيبين سرحا ومرحا وتجاوزا كل الحدود والقيود، بدعوى التجربة والاختبار!

لقد أحاط الإسلام الخطبة ـ التي هي مجرد تمهيد غير واجب شرعاً الالتزام به قبل الزواج مباشرة ـ بسياج منيع متين من كل ما يمكن أن يُضعضع كيان الأسر والمجتمع، لأنّه يعلم طبيعة الإنسان عموماً وطبيعة الشباب خصوصاً ذات الغرائز الملتهبة والعواطف الجيّاشة والنزوات العارمة. وجاء كل هذا من أجل الحفاظ على نقاء الأعراض وشيوع الفضيلة وثبات الأواصر الاجتماعية، ومن أجل حماية قدسية الارتباط بين الرجل والمرأة من العبث والطيش.

قال الحق تبارك و تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾.[1] قال ابن كثير: « يعني: طرائقه ومسالكه وما يأمر به. ثم نقل عن ابن عباس قوله أي (عمله). وعن قتادة (كل معصية فهي من خطوات الشيطان) ».[2] و تفسير ابن عباس فيه دقة وعمق، فهو دلالة على أنّ كل معصية مُحبّبة للشيطان ومرضية عنده، و لذلك أمكن وصفها بأنّها عمله.

❁❁❁

حسن الاختيار:

1 . النور/21

2 . «تفسير القرآن العظيم». جـ 6 صـ 30/ دار طيبة/ 1420-1999.

إنّ الخِطبة لا يمكن أن تكون ناجحة ما لم تكن لدى كل طرف صورة واضحة المعالم لشريك الحياة الذي ينشد أن يحقق معه أهدافه وأشواقه في الزواج. غير أنّ طبيعة الاختيار ومعايير القبول والرفض تختلف من شخص لآخر، بحسب مجموعة من الاعتبارات الدينيّة والنفسيّة والتربويّة والاجتماعية والثقافيّة.

من أجل ذلك لابد من إحسان عمليّة الاختيار، عبر تحديد أسس واضحة ومعايير صريحة وموضوعيّة لشريك الحياة، عسى ألا تقع مفاجآت كارثيّة بعد الزواج، فالمسلم مأمور باتخاذ ما أمكن من الأسباب، مع ضرورة الارتباط بخالق الأسباب سبحانه وتعالى، فإن سبق القدر بشيء يخالف لهواه ولم يكن كما أراد ورغب، صبر واحتسب.

إنّ ضرورة الاختيار بمعايير معتبرة في الدين والأخلاق، ناتجة عن كون العلاقة الزوجيّة لا تقتصر آثارها على الزوجين فقط، بل تشمل الأولاد والأُسَرَ والمجتمع أيضاً، بل ولا تقتصر آثارها على الحياة الدنيا، بل تمتد لتشمل عالم الآخرة أيضاً! وإنّ علاقة لها مثل هذه الآثار الخطيرة والمتشعّبة، جدير بالعاقل أن يهتم بمن يتخذه شريكاً له فيها.

لقد شهدنا ـوشهد الناسـ الكثير من الشباب الذين تسرّعوا بالزواج اغتراراً ببعض المظاهر والأمور التي ما كان ينبغي لهم أن يجعلوها معايير في الاختيار، ومن ثم لم يلبثوا إلا قليلاً حتّى عضوا الأيدي ندماً! كما شهدنا ـوشهد الناسـ الكثير من الفتيات تسرّعن في الموافقة لدوافع متهوّرة، فخاب ظنّهن وتمنّين لو أنّهن لم يكن وافقن، فلم ينفعهن الندم!

وإنّ عجبي لا ينقضي عندما تأتيني رسالة استغاثة من زوج أو زوجة تتضمن طلب المساعدة في إيجاد حل نهائي لهذه العلاقة الزوجيّة وأجوائها وظروفها التي صارت أشبه بالسجن الكئيب. فهذا يشكو من زوجته التي لا تبالي به قليلاً ولا كثيراً، ولا تحترمه ولا تهتم برأيه، ولا تقدر حقوق الزوجية، ولا تتردد في الضغط عليه ليوفر لها مستوى معيشة أكثر من دخله!

وتلك تشكو من عجزها عن الاستمرار مع زوجها في بيت أهله، حيث إن الأبوين والأخوات والإخوة يعاملونها كخادم ليس لها أدنى اعتبار، بل وحتى الزوج في أحسن الأحوال لا يجد سوى أن يطالبها بالصبر على مأساتها! فهي لكل ذلك لا تشعر بأنه أنثى ولا بأنها زوجة، بل تقضي ساعاتها وأيامها بين الشغل في المطبخ والنكد والصراخ مع أمه وأخواته!

بلا شك، فإن مثل هذه المشاكل إنما سببها التهور في الاختيار وعدم تقدير الأمور من كل جوانبها منذ البداية. قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: « الزواج رِقٌّ، فلينظر أحدُكُم أين يضع كريمَتَه ». لأنّ الزواج يضيّق حرية الطرفين مقارنة بمرحلة العزوبة. فلا جرم أنّ كان الزواج روضة من رياض السعادة، أو حفرة من حفر الشقاء، فجدير بالمرء أن ينظر ماذا يختار.

وإذا كنا نوجه الدعوة للشاب أن يحتاط كثيراً في عملية الاختيار، فإنّنا نشدد على الاحتياط أكثر بالنسبة إلى الفتاة، إذ كانت بحكم طبيعتها أضعف الجانبين. قال الشيخ سيد سابق: « على الولي أن يختار لكريمته، فلا يزوجها إلا لمن له دين وخلق وشرف وحسن سمت، فإن عاشرها عاشرها بمعروف، وإن سرّحها سرّحها بإحسان ».[1]

وقال الإمام أبو حامد الغزالي: « ويجب على الولي أيضاً أن يراعي خصال الزوج، ولينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خُلقه أو خَلقه، أو ضعف دينه، أو قصّر عن القيام بحقها، أو كان لا يكافئها في نسبها ... ومهما زوّج ابنته ظالماً أو فاسقاً أو مبتدعاً أو شارب خمر، فقد جنى على دينه وتعرّض لسخط الله ».[2]

لكن، نقول بكل أسف، اليوم هناك آباء كثيرون يُزوّجون بناتهم لأول طارق، بِدَاراً للعنوسة وكلام العائلة والجيران، أو اغتناماً للفرصة الذهبية لأن هذا الطارق من أصحاب المال والجاه! غير

1 . «فقه السنة». جـ 2 صـ 16/ دار الفتح للإعلام العربي/ 1425-2004.
2 . «إحياء علوم الدين». صـ 472/ دار ابن حزم، ط 1/ 1426-2005.

أنّ الرياح كثيراً ما تجري بما لا تشتهي السفن، فلا تلبث هذه البنت إلا قليلاً حتى ترجع إلى أهلها بطفل أو طفلين، وحينها فقط يدركون أي جرم اقترفوا!

إن من المهم جدّاً أن يدرك الأهل أن فتاة اليوم في عصرنا الحاضر ليست كفتاة الأمس. ففتاة الأمس كانت تقضي مدة ما قبل الزواج في هدوء تام، بين أفراد أسرتها وعائلتها، ورغم شعورها بأشواق الفطرة فيها ورغبات الأنثى، لأنها أنثى مثل كل الإناث، إلا أن ذلك لم يكن يُشكّل عليها ضغطاً قويّاً يترصّدها في كل خطوة وفكرة. فكان يمكن أن تقبل بأي شاب زوجاً لها، مهما قيل أنه طيب وصالح.

أما اليوم، فبسبب خروجها للدراسة، ثم للعمل والشغل، وبحكم اطلاعها على أفكار وثقافة وتصورات مختلفة، عبر التلفاز وبرنامجه وأفلامه ومسلسلاته، وعبر الانترنت ومواقعه وفضاءاته المختلفة، صارت الفتاة تنظر لنفسها نظرة معيّنة، وصارت ترسم لحياتها صورة خاصة، وبالتالي تكون شروطها لشريك عمرها مختلفة في قليل أو كثير عما هو راسخ في عقول الآباء والأجداد. والحقيقة أن هذا من حيث المبدأ ليس عيباً ولا هو محظور في الديانة.

نحن ندرك تماماً الضغوط التي يشعر به الأبوان كلما تأخر سن زواج الابنة، وفي الواقع هذه الضغط يشمل الابنة أيضاً. لكن، أحياناً من الأفضل أن يفوتك القطار على أن تركبه، فلا يلبث أن تقع حادثة مهلكة. إن البنت في بيت أبيها تكون مكرمة ومعززة ولو في الحدود الدنيا، رغم المشاعر الضاغطة بسبب كلام الناس، لكن حين تُزوَج من شخص لا يعرف قيمتها أو تعيش في بيت زوج يذلّونها بطرق مختلفة، فلا شك أنها تمنى حينئذ سجن أبيها على زوجها وأهله!

ولهذا نشدد على أهميّة أن يحترم الأهل رأي الابنة، فهي التي ستتزوج وهي التي تعيش مع هذا الرجل، إن خيراً وإن شرّاً. كما نكرر ونشدد على ضرورة أن تكون معايير التقييم للمتقدم

للزواج هي الدين والخُلق ورجاحة العقل، قبل أي اعتبار آخر، إلا أنّ لهم على الابنة حق النصح والتوجيه، دون حق الإرغام والإجبار.

❁❁❁

معايير الاختيار:

تختلف معايير الاختيار بين الأمم والشعوب، على حسب نفسية وثقافة هذا الشعب وذاك، كما تختلف أيضاً من شخص لآخر داخل نفس المجتمع والأمة الواحدة. والواقع أن اختلاف هذه المعايير بين الأفراد والمجتمعات وثيق الصلة بطبيعة النظرة للعلاقة الزوجيّة، التي هي بدورها لا تنفصل عن رؤية شمولية للذات والحياة.

لقد ذكر الرحالة والعلماء طقوساً وشروطاً مختلفة عن معايير الاختيار للشعوب والقبائل في شتّى أنحاء العالم. فهناك شرط القوة والإقدام والشجاعة، وهناك شرط القدرة على الصبر والتحمل، وهناك شرط المال والغنى والحسب والنسب، وهناك شرط العرق واللون والقبيلة.. إلخ، وبالجملة فللناس أهواء ونزعات في طقوس وشروط الموافقة ومعايير الاختيار.

وإذ كان الأمر كذلك، فإنّ المنهج الإسلامي قد حدّد هو أيضاً مجموعة من الضوابط والشروط والمعايير لعمليّة الاختيار الزوجي، وهي شروط ومعايير لا تنفصل عن الغاية الكبرى التي خُلق لأجلها الإنسان "الرجل و المرأة"، غاية إقامة شرائع الله تعالى وأحكامه في النفس والمجتمع ونشاطات الحياة المختلفة: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.[1]

من الطبيعي ـإذنـ أن يكون الشرط الأول والمعيار الأكبر في المنهج الإسلامي لاختيار شريك الحياة هو **(الدين)**. ولسنا نحتاج لتأمل عميق لكي نفهم أنّ سبب تشديد الإسلام في

1 . الذاريات/56

معيار الدين، كما أنّه مرتبط بالغاية التي وضعها لوجود الإنسان، فإنّه يرجع إلى أنّ الدين معقد كل الفضائل والعواطف الإنسانيّة التي تموج بها نفسيّة الإنسان.

إنّ الدين هو القيمة الوحيدة التي تُضفي على الفضائل والعواطف الإنسانيّة كلّها جمالها وعمقها، وتنفخ فيها روعتها وجلالها، وتمنحها معناها وقيمتها، بحيث مهما فقدت هذه الفضائل والعواطف عنصرَ الدين تصير قيماً ناقصة مرذولة، وأسباباً جالبة للشقاء والتعاسة!

يقول الرسول الكريم ﷺ: ﴿ إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه، فأنكحوه. إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾.[1] ويقول: ﴿ تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها. فاظفر بذات الدين تربت يداك ﴾.[2] أي فُز بذات الدين وإلا خسرت فندمت ندماً شديداً!

والمنهج الإسلامي يستند في اعتبار الدين شرطاً أعلى في عمليّة الاختيار على الحقائق التالية:

1. **الدين يُشكل بين الزوجين هدفاً مشتركاً**، وهو ابتغاء رضوان الله تعالى واللقاء في الجنّة. وأحد أهم شروط السعادة الزوجيّة هو وحدة الهدف بين الزوجين، لكي ينسجما ويتعاونا على بلوغه. وإلا فمع تناقض الهدف الأعلى في الحياة لا شك في نشوب شتّى الخلافات والمشاكل بينهما بشكل دائم ولأتفه الأسباب، إذ تكون لكل واحد منها وجهة معاكسة للآخر!
2. **الدين يُشكل صمام أمان للزوجين معاً**، فهما إن لم يستطيعا التّسامي إلى آفاق التعاون والتناغم في التّعامل والتواصل، فإنهما لن يسفلا إلى دركات التظالم والطغيان بينهما، كما يحدث بين كثيرين، الذي من آثاره تشويه براءة الطفولة في الأبناء، وإظهار الاستهزاء والاحتقار لبعضهما بعضاً، وحرمان بعضهما من مختلف الحقوق، بل قد يصل الأمر إلى حد الخيانة!

---

1 . «رواه الترمذي».

2 . «رواه البخاري».

3. **الدين يحمل الزوجين على إحسان التواصل بينهما**، لأنّهما معاً يبتغيان الأجر عند الله تعالى. وهذا من شأنه أن يساعدهما على التنازل عن بعض الحقوق بينهما، والتغافل عن جملة من العيوب فيهما، حرصاً على زواجهما واشتغالاً بتطويره وإنمائه، وحرصاً على توفير أوقاتهما فيما يفيدهما في الدنيا والآخرة. فابتغاء الأجر عند الله تعالى يُشكّل عزاء قويّاً للتضحية والصبر.

4. **الدين ليس إلا باقة من الأخلاق الجميلة**. الحياة الزوجيّة الصحيحة والمستقرّة إنما أساسها حسن المعاملة. فبقدر ما تسمو أخلاق الزوجين، بقدر ما تحلو وتستقر علاقتهما. كما أنّ الأخلاق الرفيعة تساعد على تحقيق التفاهم والتعاون، وبالتالي منع نشوب الصراعات والاتهامات التي تحدث بين الآخرين. وكل هذا من شأنه أن يؤثر إيجاباً على نفسيّة الأبناء ونماء شخصيتهم.

إذن فائدة الدين العظمى تتجلّى في مساهمته بصورة فعّالة جداً في تيسير أسباب السعادة والاستقرار للزوجين وحمايتهما من المآسي والاضطرابات، فضلاً عن أهميّته في استنزال فيوضات رحمات الله تعالى ودفقات بركاته الطيّبة. فما كان موصولاً بالله تعالى بقي ودام واستمر.

إنّ الشاب المسلم إذا اختار لزواجه فتاة ذات دين زانه أدبٌ، فإنّ أقل ما يربحه معها هو الشعور برجولته والطمأنينة على أطفاله. وإنّ الفتاة المسلمة إذا اختارت لزواجها شابّاً ذا دين زانه عقل، فلئن فاتها معه حلاوة دنيا زائلة، فلن يفوتها معه الإحساس بكرامتها وقيمتها.

لقد أهمل كثيرون في عصرنا عنصر الدين والأخلاق في شريك العمر، فماذا كانت النتيجة؟ لقد كانت بائسة جدّاً وأليمة للغاية: صراعات واتهامات لا تنقضي، وأطفال يشبّون بلا شخصيّة، بل تائهون حائرون، وملفات ضخمة في المحاكم بسبب المشاكل والمطالبة بالطلاق!

لكن، حين نقول بأن الدين هو الشرط الجوهري والعنصر الأصيل في عملية الاختيار، فليس معنى ذلك إلغاء الاهتمام بأشياء أخرى في الشريك المرغوب. ذلك لأنّ عنصر الدين رغم أهميّته

القصوى؛ إلا أنّه **ليس كافياً لتحقيق السعادة الزوجيّة بأبعادها الواسعة ودفقاتها النديّة**، بل لابد من وجود عناصر أخرى داعمة وروافد أخرى مساعدة لتحقيق ذلك.

كثير من الملتزمين والملتزمات يحتجّون بالنصوص المشيدة بالدين معياراً في الاختيار، دون أن يضيفوا إليها باقي النصوص وتوجيهات العلماء التّي تحث على مراعاة أشياء أخرى سيأتي بيانها، لتحقيق الانسجام والاستقرار الزوجي والأسري! تماماً كيف يحرص كثيرون على الزواج بسبب الجمال، أو الوظيفة، أو المكانة الاجتماعية لأهل الفتاة!

إن الواقع يؤكد لنا على أنّ هذين الصنفين (إهمال المعايير المتكاملة/ التركيز على المعايير المادية) يدفعون ثمناً باهظاً بعد الزواج. فإذا كان الصنف الأول الذي يركز على التدين مع إهمال باقي المعايير يشعرون بالحرمان من إشباع مختلف الاحتياجات مع شريك الزواج، فإن الصنف الثاني الذي يركز على المعايير المادية يقاسي أنواعاً من الذل والإهانة والمتاعب!

وأيضاً، حين نقول بأنّ الدين شرط ومعيار جوهري في عملية الاختيار، فليس المقصود منه أن يكون الشاب أو الفتاة ممن يصوم النهار ويقوم الليل، ولا يدع المصحف من بين يديه في اليوم والليلة، ولا يترك درساً شرعيّاً لأحد من العلماء إلا حضره أو شاهده، وما شابه هذا المعنى، كما يتصور كثيرون وكثيرات ويشددون عليه!

هذه أمور ليست سوى نتاج حماسة بعض الشباب الملتزم، وقد ساهم ـللأسفـ بعض الدعاة في ذلك، خصوصاً مع انتشار مواقع التواصل الاجتماعي وتداول مثل هذه الأفكار والتصورات الخاطئة! والحقيقة أنّ شرط الدين المقصود هو أن يكون الشخص (الشاب والفتاة) ملتزماً بالفرائض الشرعيّة، نائيّاً عن الكبائر الموبقة، كالزنا والسرقة، متحلّياً بالفضائل الأخلاقيّة، كالصدق والأمانة.

أما غير ذلك من السنن والنوافل وفضائل الأعمال، أو بعض الأمور التي عمّت بها البلوى في عصرنا كحلق اللحية، فكل هذا ليس واجباً مراعاته، رغم أنها أمور جميلة و مرغوب فيها شرعاً. وكلنا يعلم قصة الأعرابي الذي جاء إلى رسول الله ﷺ ليُسلم، وسأله عن الإسلام، فذكر له الرسول ﷺ فرائضه من صلاة وصيام وزكاة وحج، فقال الأعرابي (والله لا أزيدُ على هذا ولا أَنْقُصُ)، فقال صلى الله عليه وسلم ﴿ أفلح إن صدق أو دخل الجنة إن صدق ﴾.[1]

والمقصود هو أن يعيد الشباب مفهوم شرط الدين في عملية الاختيار، وأن يتركوا جانباً تلك التصورات الرائجة التي ليست سوى أوهام وأحلام مرسلة بلا زمام!

والواقع أن علماءنا وسلفنا الأولين كانوا يراعون هذا المعنى ويشيرون إليه وينبّهون عليه، رغم وعيهم البصير بأنّ الالتزام والتدين الصحيح هو العمدة والأساس. فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: « شر خصال الرجال، خير خصال النساء: البخل، والزهو، والجبن. فإن المرأة إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها، وإذا كانت مزهوة، استنكفت أن تُكلّم كل أحد بكلام ليّن مريب، وإذا كانت جبانة، فزعت من كل شيء، فلم تخرج من بيتها واتّقت مواضع التُّهَم، خيفة من زوجها » وقال بعضهم: « ينبغي أن تكون المرأة فوق الرجل بأربع: بالجمال، والأدب، والخُلق، والورع. وتكون دونه بأربع: بالسن، والطول، والمال، والنسب، وإلا استحقرته ».[2]

❁❁❁

عناصر داعمة:

---

1 . «صحيح البخاري»

2 . « مقنع المحتاج في آداب الأزواج ». أبو العباس ابن عرضون/ جـ 1 صـ 241/ دار ابن حزم، ط 1/ 1430-2010.

إذن ما هي العناصر التي ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار في عملية الاختيار، بالإضافة إلى عنصر الدني والالتزام؟ إذن فلنذكر هذه العناصر الداعمة والمهمة للغاية في تحقيق السعادة والاستقرار والانسجام بين الزوجين.

❖ **(الجمال)..** أشاد النبي ﷺ بضرورة توفر صفة الجمال في المرأة، بل جعلها صفة مُقَدَّمة على باقي الدعائم الأخرى، فقال: ﴿ خير النساء: **امرأة إذا نظرتَ إليها سرّتك** ﴾.[1] وقال الحق تعالى: ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾.[2] قال الطاهر بن عاشور: « معنى "ما طاب" ما حسن، بدليل قوله "لكم"، ويفُهم منه أنّه مما حل لكم، لأن الكلام في سياق التشريع.. لكن جيء بـ"ما" الغالبة في غير العقلاء، لأنّها نُحِي بها مَنْحى الصفة، وهو الطيّب بِلا تعيين ذات، ولو قال "مَن" لتبادر إلى إرادة نسوة طيبات معروفات بينهم ».[3]

أي إنّ الآية تشير إلى جواز أن يختار الرجل مِن النساء مَن تحلو في عينه وتطيب بها نفسُه، فَمُيُولُ الرجال في النساء مذاهب، هذا يحب الرشيقة، وآخر يُفضل الممتلئة، وهذا يميل إلى البشوش الضاحك، وغيره يعجب بالهادئة الصارمة.. إلخ. وكذلك الشأن بالنسبة إلى النساء، لهن في الرجال رغبات مختلفة، ويعشقن في الرجال ما يعشق الرجال فيهن، ولله في خلقه شؤون. والحقيقة أنّ هذا التلميح لأهميّة صفة الجمال ـفي الرجل والمرأة سواءـ نابع من كون الجمال غريزة فطريّة في الإنسان، فلا أحد يمكن أن يزعم محبة القبح، أو تساويه مع الجمال!

والإسلام لا يقمع الغرائز وإنما يفتح لها مجال البروز والنماء في إطار النظافة والاستقامة. كما يعلم الإسلام أنّ الإنسان عندما يفقد الجمال مع شريكه، لا يمكن أن تكون لديه رغبة قويّة وصادقة في الاستمرار معه إلا بمشقة النفس وكره بغيض وصبر شديد! وما من شك في أنّ نتيجة

1 . «رواه البزار»

2 . النساء/3

3 . «التحرير و التنوير». الطاهر بن عاشور/ جـ 4/صـ 224/ الدار التونسية للنشر/1984.

افتقاد الشريك لمسة الجمال في شريكه، هي أنّ الحياة بينهما تصير جافة قاحلة، لا مذاق لها ولا حلاوة فيها! والعلاقة الزوجيّة عندما تتدلّى إلى هذا المنحدر وتسقط في هذه الحمأة الوبيئة، فإنّها تتحول إلى شقاء ومأساة كئيبة، وهذا بدوره يؤثر بشكل سلبي على الأطفال!

قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: « الحث على الدين وأن المرأة لا تُنكح لجمالها ليس زاجراً عن رعاية الجمال، بل هو زجر عن النكاح لأجل الجمال المحض مع الفساد في الدين، فإن الجمال وحده في غالب الأمر يُرغّب في النكاح ويُهوّن أمر الدين. ويدل على الالتفات إلى معنى الجمال أن الألفة والمودة تحصل به غالباً، وقد ندب الشرع إلى مراعاة أسباب الألفة ولذلك استحب النظر ».[1] وأستغل هذا السياق لأقول: من واقع خبرتي وتواصلي مع الأزواج، فإن بعض الملتزمين حين يرغبون في الزواج يركزون فقط على صلاح الفتاة وصلاح أهلها، بدعوى أن ذلك هو الأصل والسنة، ولا يلتفتون لعنصر الجمال، فماذا تكون النتيجة؟

النتيجة هي أن هذا الشاب بعد الزواج، يكتشف أنه وقع في خطأ كبير! يكتشف أنه مجبر على العيش مع إنسانة متواضعة الجمال في شكلها وقوامها وإشراقة محيّاها، ولذلك فهي لا تسره ولا ترتاح لها نفسه! ثم مع الأيام يتسلل النفور منها إلى قلبه، فتصير علاقته بها مجرد شكليات ومظاهر باردة وجافة! بل إنّ بعضهم تهجم عليهم فكرة الطلاق رغم وجود الأطفال، وحتى في حال عدم وجودهم ، فإنّهم يقعون في صراع نفسي: كيف أبرر للناس رغبتي في الطلاق، وهي ملتزمة وقائمة بشؤون البيت، وفي الوقت نفسه لا أستطيع الاستمرار معها؟!

أدرك تماماً أن الشباب الملتزم قبل الزواج يكون منسوب الحماسة عندهم مرتفعاً، فيتوهمون بأنّ الالتزام هو كل شيء، وأنهم مع شريكة ملتزمة إذن الحياة الزوجيّة ستكون حلوة ورائعة ومستقرة! لكنهم بعد الزواج يقعون في مشاكل وصراعات نفسية كان من الممكن تفاديها لو أنهم

1 . «إحياء علوم الدين». أبو حامد الغزالي /صـ 476. و قوله (استحب النظر) أي النظر إلى المرأة المراد الزواج بها قبل الزواج.

فقهوا معايير الزواج بشكل متكامل! هذه ليست دعوة لاختيار بارعات الجمال، فالجمال الفائق فتنة، ولكنها دعوة لضرورة اختيار مَن ترتاح لها النفس، وكل إنسان يتذوق الجمال في الأنثى بطريقة معيّنة: ﴿ **إذا نظر إليها سرّته** ﴾. فهذا معيار كلي، أما التفاصيل فحسب كل إنسان.

على أنّ مسألة الجمال ليست متعلقة بالمرأة فقط، بل يجب أن يدرك الأولياء بأن من حق فتاتهم ألا تُزوّج إلا ممن يحسن في عينها ويحلو في نفسها، إذ المرأة هي الأخرى تحب من الرجل ما يحبه هو منها، كما قال سيدنا عمر بن الخطاب: « لا تكرهوا فتياتكم على الرجل القبيح، فإنّهن يحببن ما تحبون ». وهذا يرجع ببساطة إلى أنّ الأنثى لها نفس رغبات وشهوات وأشواق الرجل، بل لأن الأنثى بطبعها رقيقة ورومانسية، لا تجدها تحب إلا الشيء الجميل المعجب، فكذلك تحب أن ترى زوجها وسيماً، إذ كان ذلك مما يوافق أنوثتها أولاً ومما يثير شهوتها ثانياً.

لقد شدّد الإسلام على إلغاء الجمال وعدم اعتباره معياراً لشريك الحياة في حالة واحدة فقط، وهي عندما يكون هذا الشريك عاطلاً عن فضيلة الدين، ومتجرّداً من محاسن الأخلاق. لأنّه لا قيمة للجمال عندما يكون منفلتاً جامحاً، وعندما يكون مبتوت الصلة بأعماق الروح وآفاق السماء، بل بالحريّ أنه يكون سبب هلاك الزوجين وشقائهما وتعاستهما، ولا يسلم الأولاد من التأثر السلبي بذلك. ولهذا ما زالت الحكماء يحذرون طُلاّب الزواج من الجميلة المستهترة، تلك التي لا تقوى تحجزها ولا أدب يضبطها ولا عقل يحرسها!

❖ **(العمر)..** تتجلّى أهميّة تقارب السنّ بين الزوجين في فائدة عظيمة، تتفرّع عنها باقي الفوائد، وهي (الشعور بالانسجام). إنّه الانسجام الذي يشعر به هذان الزوجان في كل شيء بينهما: الأفكار والهوايات، الأحلام والأهداف، التخطيط والتدبير، الأشواق والرغبات. وبهذا كلّه تكون الحياة الزوجيّة بينهما أدنى إلى التوافق والتعاون، وبالتّالي أقرب إلى السعادة والاستقرار والسرور الجميل، وهذا كله ينعكس إيجاباً على الأطفال واستقرار الأسرة بشكل عام.

إذا راجعنا العلاقة الزوجية في الجنة كما عرضها القرآن الكريم، سنكتشف أن الزوجين في الجنة يكونان في سن واحدة، هو سن الشباب، إذ هو منبع الحيوية والشهوة والإثارة. قال الله تعالى في وصف نساء الجنة: ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾.[1] وفي آية أخرى: ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾.[2] الأتراب جمع تِرْب أي المقارنة في العمر. العروب أي الزوجة الحسنة الدلال مع زوجها. والكواعب جمع كاعب أي المرأة ذات الصدر الممتلئ والنهد القائم.

ولكن من المؤسف أن نعرف أنّ كثيرين في عصرنا الحاضر أهملوا هذا الشرط، (شرط العمر)، لُهاثاً وراء اعتبارات فارغة، إما رغبة في غنى الرجل أو فراراً من شبح العنوسة أو تقيّداً بتقاليد قبليّة واجتماعيّة تنضح منها روائح الجاهليّة، لتكون النتيجة الأليمة مأساة عنيفة وشقاء طويلاً، خصوصاً بالنسبة للزوجة، إذ من الصعب جدّاً أن تشعر المرأة بأنوثتها مع وجود فارق سن كبير بينها وبين زوجها! إنها الفطرة، ومن يعاندها ويصطدم بها يكون جزاؤه أليماً جدّاً!

إنّ الفتاة التي تتزوج ـأو تُرغم على الزواجـ شخصاً أكبر منها بكثير جداً، إما فراراً من مآسي البيت والأهل، أو رغبة في الخروج من قائمة الانتظار الطويل، أو بدعوى أن الشخص الكبير أفضل من الشاب الغِرّ.. هذه الفتاة ترتكب خطيئة عظيمة في حق نفسها، لأنّها تغتال معاني الأنوثة فيها. وبالتّالي تتجرّع ـاختياراً أو اضطراراًـ مرارة الموت البطيء وألمه القاسي! ولهذا قال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: « لا يُزوّج الرجل وليته للقبيح الذميم، ولا للشيخ الكبير ».

يقول الشيخ عطية صقر: « ليس من الإنصاف أن يزج الإنسان بفتاة في مقتبل العمر وريعان الشباب؛ تمنى أن تبتسم لها الآمال، وتستبح في بروحها في عالم الخيال، وكانت تؤمّل أن يسوق لها القدر مَن يشاركها آمالها، ويحقق لها خيالها، ليس من الإنصاف أن يُزجَّ بهذه الفتاة بين أحضان

1 . الواقعة/37

2 . النبأ/33

شيخ لا ترى منه إلا نوم العشاء وسعال السحر... إن هَمَّ النساء في الرجل معروف كَهَمِّ الرجل في المرأة، كلٌّ يريد طرفاً آخر ينسجم معه في سنه وعواطفه ».[1]

ما من شك في أنّ النتيجة الحتميّة لمثل هذا الزيجات هي الانحراف واقتراف الرذيلة مع شخص آخر، أو على الأقل القابلية لذلك، أو على الأقل مصابرة الألم والمعاناة حتى يفرّق الموت بينها وبين زوجها، إن كانت من أهل المروءة والتقوى! ونحن هنا نتحدث عن قاعدة الزواج وطبيعة الحياة بين الرجل والمرأة، أما الحالات النادرة والشاذة، كزواج فلانة من شخص يكبرها بسنين كثيرة أو زواج فلان من امرأة تكبره بسنين فلا اعتبار بها. ولهذا كان الاحتجاج بزواج الرسول ﷺ من السيدة عائشة رضي الله عنها خطأ، لأنّ هذه حالة خاصة.

صحيح أنّ هذه الزوجة قد تحصل على كل شهوات الدنيا، من لباس ومجوهرات، ومنزل وأثاث وسفريات .. إلخ، إذا كان الزوج من أرباب الثراء المادي. ولكن الحقيقة المرّة أنّها ستظل دائماً تحنّ برغبة مشتاقة ولهفة مشتعلة إلى الشعور بجماليات أنوثتها، وتذوق حلاوة رغباتها وأشواقها المكنونة، مع شخص مقارب لها في السنّ، يفهم رغباتها ويحس بنبضات أنوثتها ويحقق لها الإرواء الكامل لمختلف احتياجاتها! بل نزيد هنا كلمة ضروريّة يغفل عنها الآباء الجهال الذي يقذفون بفلذات أكبادهم حتى لو تقدم عجوز قد سقط حاجباه:

إنّ من مقاصد الزواج تحقيق الإعفاف الجنسي، وهذا متعذر التحقق بشكل كامل بين طرفين بينهما فارق عمر واسع. فالزوجة حين تكون شابة صغيرة، تكون شهوتها الجنسية قوية للغاية، وإذا كان الزوج متقدماً في السن، فإنه بالضرورة يعجز عن تحقيق الإشباع الكامل لها، بل وحتى لو تم ذلك خلال السنوات الأولى من الزواج، فإنه مع تقدم العمر يضعف شيئاً فشيئاً، أما هي فتظل شهوتها لسنوات في مستوى الهيجان، فلا تجد إلا مقاساة الألم بصمت كئيب بسبب الحرمان! ثم

1 . «موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام». جـ 1 صـ 237/ مكتبة وهبة، ط 1424/1-2003. بتصرف يسير.

قد تميل تعويض هذا النقص العنيف إلى الانغماس في التسوق والاستهلاك أو كثرة الخروج والزيارات، هذا طبعاً إذا لم يستزلّها الشيطان فتسقط في الرذيلة!

فواجب لكل هذه الاعتبارات أن يتقي الأهل اللهَ تعالى في بناتهم، فلا يجوزوهن إلا المناسب لهن، في العمر كما في الدين، فهم مسؤولون عنهن يوم القيامة، وإلا فإنهم يسعون في شقائهن وتخريب بيوتهن وتشريد أحفادهم. إنّ من العجب العجاب أن بعض الآباء تهون عليهم فلذات أكبادهم فتراهم يزوجون الابنة الصغيرة لرجل كبير هو في الحقيقة في عمر أبيها أو جدها!

❖ **(العذرية)..** من الواضح أن الرجل بطبعه يميل إلى الأنثى البكر، فهذا شيء محبوب لكل الرجال في كل زمان ومكان. غير أّن هذا الميل الفطري في الرجل نحو الأنثى البكر، ليس مرتبطاً بكونه سيشعر بلذة أكبر ليلة الدخلة، كما يتوهم بعض الشباب! بل إن هذا الحرص وثيق الصلة بالجانب النفسي في شخصيته. وذلك هو شعوره بأنّه أول رجل فتح أنوثة هذه المرأة. ولا شك أنّه شعور رخي ندي، فهو يُشعر الرجل بالقوة والتقدير الذاتي، كما التملّك الكامل لهذه الأنثى!

بالإضافة إلى هذا المعنى ذي البُعد النفسي، فإن الرجل يعتقد أن الفتاة البكر يمكن توجيه العلاقة الزوجيّة معها نحو الوجهة التي يريد، على عكس التي سبق لها الزواج، فإنّها تكون ذات خبرة وتجربة، ويمكن لكل ذلك أن يؤثر بشكل سلبي على زواجهما أو نظرتها إليه، فقد يحدث في لحظة غضب مع زوجها الحالي أن تفلت منها كلمة تقارن بين زوجها السابق وزوجها الحالي! ولهذا جاء الحث على الزواج من الأبكار، كما في قول سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: « انكحوا الأبكار، فإنهن أعذب أفواهاً، وأسخن أقبالاً، وأكثر أولاداً، وأرضى باليسير ».[1]

1 . «مقنع المحتاج في آداب الأزواج». ابن عرضون/ جـ 1 صـ 250. أسخن أقبالاً، القُبُل هو الفرج.

كما أنّ بعض الشباب يحتجون بمثل قول الرسول ﷺ لبعض الصحابة الذين تزوجوا أرملة: ﴿ أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك ﴾،[1] على أفضلية البكر مطلقاً! وهذا خطأ في الفهم وسوء تصور لمراد النبي ﷺ ومراد أهل العلم. فكلامهم يشير إلى جانب نفسي قبل أي شيء آخر، أي إنّ النفس تميل بطبعها إلى أول شيء جديد، فتعظم بذلك ألفتها ولذتها. وإلا فقد تزوج كثيرون أبكاراً فلم يجدوا معهن شيئاً من الألفة ولا اللذة الهنية، وتزوج آخرون ثيّبات فوجدوا معهن اللذة والألفة كما الاستقرار والانسجام. بل إن رسول الله ﷺ لم يكن من زوجاته سوى السيدة عائشة رضي الله عنها بكراً، أما الأخريات فكلهن ثيّبات، أي سبق لهن الزواج.

إن كل ما يقال من مدح وإغراء بالفتاة البكر، حق في نفسه لا جدال في ذلك، إذ إنّ طبيعة الرجل تهوى الجديد الذي لم يُسبق إليه، كما أن الفتاة البكر تكون كالمادة الخام. ولكن هذا المعنى هو أصدق بالنسبة للعصور الغابرة منه لعصرنا الحاضر، يوم كانت الفتاة لا تكاد تعرف سوى أهلها وبيتها، فتشبّ وتنمو أنوثتها وهي تنتظر فقط رجلاً يفتح مغاليقها ويذيب جليدها، فكان إذا تزوجت يكون زوجها هو كل شيء في حياتها، لأنها لم تعرف رجلاً غيره.

أما اليوم في عصرنا الحاضر ـوليس هذا من باب التضخيم بل هو الواقع المريرـ فبحكم الخروج للدراسة منذ الصغر، وبحكم الاختلاط في فصول الدراسة وفي الشارع، وبحكم مواقع التواصل الاجتماعي، بسبب كل هذا، صارت الفتاة تعرف وتعجب وتهوى ـربماـ أكثر من شخص خلال مرحلة ما قبل الزواج، بل إن كثيرات يمارسن كل شيء من المتع الجنسية ـإلا الفاحشة الكبرىـ مع هذا الحبيب أو ذاك، بذريعة أو أخرى، فهي بذلك عذراءُ جسديّاً ثيّبٌ معنويّاً.

فإذا أضفنا جانباً آخر وهو أنّ الفتاة المعاصرة في ظل مراحل الدراسة والشغل والانترنت والهاتف، ترسم لنفسها شخصية معينة، لها أفكار معينة وأحلام معينة، كما أنها تنظر للرجل وللزواج

---

1 . «رواه البخاري».

وللحياة نظرة معينة، فكيف إذن يمكن أن يقال بأن الزواج من البكر ـهكذا مطلقاًـ أفضل، لأنها ستكون طيّعة للزوج يمكن أن يوجهها الوجهة التي يريد؟

نحن لا نريد بهذا الكلام أن نقلل من قيمة الرغبة النفسية للرجل في الأنثى البكر، لكن نريد فقط الإشارة لجوانب لا ينتبه إليها كثيرون. ومن ثم، نقول بأنّ على العاقل الذي ينشد حياة مستقرة وهانئة أن يبحث عن ذات الدين والأدب والعقل، سواء أكانت بكراً أم ثيّباً، فلا البكر تشفع لها بكارتها إذا كانت تافهة الرأي شاردة بلا زمام، ولا الثيّب يطعن في قيمتها أو يشكك في قدرتها على تحقيق السعادة والاستقرار أنها ثيّب. والرجل الحكيم هو الذي ينظر ويهتم بالمضمون والجوهر ولا يعنيه في شيء الشكليات والمظاهر، خصوصاً في هذا العصر.

☜ **(النسب)..** في الواقع، فإنّ الزواج ليس علاقة بين رجل وامرأة، بل هو أيضاً علاقة بين عائلتين، بكل امتداداتهما وشعبهما. وما زال الناس في مختلف الدهور والعصور، وفي مختلف الأمم والشعوب يهتمون بعائلة الزوجة والزوج، والعناية بالأنساب الفاضلة، والحرص على الارتباط بها والمصاهرة إليها، لما وَقَرَ في النفوس وثبت بالتجربة من أنّ الفروع تتأثر بالأصول، وأن الأبناء مرآة للآباء، وأن للوسط الأسري الذي يعيش فيه الإنسان تأثيراً ملحوظاً.

لكن، إذا كان المسلم يهتم فعلاً بعنصر النسب، فإنّ اهتمامه الأكبر ومعياره الأهم هو الدين والأخلاق وحسن العقل، خصوصاً في عصرنا الحاضر. فكم من فتاة صالحة مباركة بين أهل لا يعرفون من ذلك شيئاً، خصوصاً بعد أن انتشرت الصحوة الإسلاميّة المباركة بين الشباب. وقل نفس الشيء عن الشباب، فكم من شاب نشأ وشبّ في وسط أسري وعائلي لا يكادون يعرفون عن الإسلام والفضيلة إلا الاسم والقشور، إلا أنك تراه في مرتبة عالية في الدين والعقل.

ولقد كان الاهتمام بالاعتبارات الحقيقيّة (العقل، الدين، الأخلاق) وتفضيلها على الماديات المزيّفة (المال، الجاه، السلطة، النسب والحسب)، من سمات منهج السلف الصالح في الزواج،

فقد كانوا يُفضّلون تزويج بناتهم من أهل الصلاح وإن لم يكونوا من ذوي الجاه والنسب الفخم. فقد رفض الإمام سعيد بن المسيب ـمن فقهاء التابعين_ أن يُزوّج ابنته من الوليد بن عبد الملك وهو ولي العهد، وزوجها أحد طلبته النجباء وهو فقير لا يملك شيئاً.

وقل نفس الشيء عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم، حين تزوجوا وهو فقراء من المال والنسب الشريف، من الحرائر وذوات النسب الأصيل، لأن الأولياء لحظوا فيهم معنى الاستقامة ورجاحة العقل وقوة الدين والالتزام، إذ كانت هذه المواصفات هو وحدها ضمان كرامة بناتهم بعد أن يخرجن إلى بيوت أزواجهن. قال أبو الأسود الدؤلي لبنيه: « قد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً، وقبل أن تُولدُوا. قالوا: وكيف أحسنت إلينا قبل أن نُولد؟ قال: اخترت لكم من الأمهات مَن لا تُسبّون بها ». أي ذات الدين والنسب الصالح، فلا يُعيّر بها الأبناء ولا يخجلون من الانتساب إليها ولا إلى الجد والجدة من جهتها.

إن المسلم الواعي بحقائق الإسلام في عصرنا الحاضر ينبغي عليه أن يتجاوز عقلية القبيلة، فالإسلام لا يهتم بالمظاهر بل بالقلوب والقيمة عند الله سبحانه هي التقوى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾.[1] وقال رسول الله ﷺ: ﴿ إنَّ اللّهَ لا ينظرُ إلى صورِكُم وأموالِكُم، ولَكِن ينظرُ إلى قلوبِكُم وأعمالِكُم ﴾.[2] ولئن كانت مسألة النسب لها قيمة في بعض الأزمنة الماضية لعوامل اجتماعيّة معيّنة، فلا شك أنّ عصرنا الحاضر قد تجاوز ذلك بمراحل بعيدة.

ولست أرمي للتقليل من أهميّة العناية ببيوتات النسب الأصيل، ولكني أشدد وأؤكد على أنّ بيوتات الصلاح والدين مظنّة قوية لإصابة شريك حياة طيب وصالح، يمكن أن تؤسّس معه أسرة طيبة مباركة. وإلا فما ينفع المرء أن يتزوج من فلانة ذات الحسب والنسب، إلا أنّها لا

1 . الحجرات/13

2 . «رواه مسلم».

تعرف للزواج قدسية ولا للحياة الأسرية معنى؟! وما ينفع المسلمة أن تتزوج من فلان ابن الحسب والنسب الفخم، إلا أنّها تعيش معه في سجن كئيب وهدر للكرامة؟!

(المال).. عندما يعيش الإنسان في وسط أسري ذي مستوى مادي مرتفع، فمن الطبيعي أن يؤثر ذلك على شخصيّته، من حيث نمط الحياة والتفكير والسلوك، ومن ثم يكون من العسير عليه التحرر من هذا التأثير لاحقاً إلا بشق الأنفس وبصعوبة بالغة. ولهذا ما زالت الحكماء والخبراء يوصون بالحذر من هيمنة الماديات وسلطانها الطاغي.

وما من شك في أنّ الإنسان ـرجلاً أم امرأةـ يحب بطبعه الماديات، وأن يتوفر له من الأسباب ما يشبعه نهمته من مختلف الرغبات. فكل إنسان يحب أن يكون له بيت نخم، وطعام جيد، ولباس أنيق، وأن تكون القدرة المالية على السفر والسياحة. وحب المال مبدئياً لا حرج فيه، وإنما الحرج ما يترتّب على الاسترسال مع هذه الرغبة بلا حدود ولا قيود.

من أجل ذلك؛ ما فتئ الإسلام يحذر من مغبة التهافت والتكالب على المال والحرص البالغ عليه، بسبب أن اللهاث وراء جمعه وتحصيله والارتباط الوثيق به، عنصر بارز في تفكيك شخصية المسلم، وإلهائه عن القيام بدوره الأصيل في الحياة، كما أنّ هذا التهافت والتكالب على المال مما لا يجعل المرء يطغى و ينسى اللهَ تعالى والدار الآخرة.

في سياق موضوعنا عن معايير الزواج وأسس الاختيار، نقصر الكلام على المرأة، إذ هي أشد تأثراً بالماديات، كما أنّها تجد صعوبة شديدة في الانتقال من الجو المادي الذي كانت تعيش فيه عند أبويها، إلى العيش في وسط لا يحقق لها ذلك المستوى الذي قضت فيه سنوات طويلة من عمرها. خصوصاً عندما لا تكون واعية بحقائق الإسلام الذي تنتمي إليه.

هذه حقيقة لا جدال فيها، إلا أنّنا نعتقد بأنّ المسلمة التي تعي جيّداً وظيفتها في الحياة، وتدرك جيّداً الأبعاد النبيلة للزواج، ويكون لديها طموح كبير إلى الجنة.. هذه المسلمة لا شك في أنها

تكون لها القدرة الكافية للتحرّر من قيود المستوى المادي ومؤثراته. و من ثم لا يمكن أن تجعل المال (الدخل/ المرتب) معياراً لشريك حياتها المستقبلي.

إن المسلمة الناضجة عقلياً ونفسياً تدرك أن عصرنا الحاضر فيّاض بالتحديّات أمام شريحة واسعة من الشباب، وأن المراهنة على انتظار ذلك الشاب الذي يجمع بين الاستقامة والوسامة والتعليم العالي والدخل المالي المرتفع، هي مراهنة ليس من الحكمة خوضها، بل هي مخاطرة متحققة! ومن المؤكد أنّني لا أقصد أن تقبل المسلمة بالرجل الفقير المعدم، بل أقصد عدم المبالغة في شرط الدخل المالي للمتقدم إليها، من أجل الفوز بأشياء أخرى أكثر أهميّة ونبلاً وقداسة.

كما ينبغي على الشاب المسلم أن يحذر من الرغبة في الزواج من صاحبة المال، حتى وإن كان حسن النية ولا يبالي به، فإنه بعد الزواج إذا منعت مالها والمساهمة المعقولة في مصاريف الشهر أورثه ذلك قلقاً وانزعاجاً، وهذا بدوره سيؤثر ولابد على العلاقة الثنائيّة بينهما، وإن أعطته منه فربما مع كل خلاف ينشب بينهما تُذكّره بأنّها أيضاً تعطيه المال من مرتبها وتمن به عليه، وقد يتعود على مرتبها ومالها، فمهما فعلت له وجد نفسه مضطراً للصبر على إذلالها له لأجل مالها!

إذن لا شيء أفضل بالنسبة للمسلمة المعاصرة التي تبحث عن الاستقرار وتلبية مختلف احتياجاتها، أن تركز على الدين والخُلق أكثر بكثير من التركيز على المستوى المادي للمتقدم إليها، وإلا فما فائدة أن تعيش معه في نعيم مادي واسع، بيْدَ أنّها محرومة معه من كل إحساس نبيل وشعور صادق وانسجام ثابت! لست أعتقد أن ناضجة النفس والعقل فضلاً عن الملتزمة الواعية يمكن أن تؤثر هذه الحياة الكئيبة البائسة لمجرد أن تحصل على ما تريد وتشتهي!

(المؤهل الدراسي).. أشاد الإسلام بالعلم إشادة عظيمة، كما هو معلوم في موضعه. ولا يمكن لأحد أن يشكك في قيمة وأهمية العلم والمعرفة للإنسان، وحسبك أن تعلم أن الجاهل يأنف

من تذكيره بأنه جاهل، رغم علمه بأنه جاهل، وفي هذا دلالة كبيرة على رسوخ النزعة العلمية والمعرفية في الإنسان، أي إن الإنسان يحب العلم بطبعه.

أما في سياق حديثنا عن معايير الزواج؛ فالأمر فيه تفصيل، بدون ذلك الكلام المرسل الذي يطلقه البعض بلا زمام، إذ يختلف الأمر بين الفتاة والشاب. فنحن ننصح ونشدد على ألا تقبل المسلمة مَن هو أقل منها مؤهلاً دراسيّاً ومستوى ثقافيّاً، على عكس الشاب، فليس واجباً ولا شرطاً أن يختار مَن تكون في مستواه الدراسي والثقافي أو قريباً منه.

وسبب ذلك مرتبط بطبيعة المرأة. فالأنثى تبحث دائماً في الرجل عن معاني القوة والقوامة عليها، إذ في ظلالها فقط تشعر بروعة أنوثتها الرقيقة النديّة! وبلا شك فإنّ الزوجة حين تكون أعلى مستوى علماً وثقافة من الزوج، تكتشف غياب الانسجام بين أنوثتها وبين رجولته، على مستوى التفكير والتخطيط والأحلام، وبالتالي ـومع مرور الوقتـ يتسلّل النفور إلى قلبها منه!

أما الزوج فبسبب أنفته سيحرص على إشعار هذه الزوجة بأنها رغم مؤهلها الدراسي المتفوق إلا أنها أقل منه، فلا تجد هذه الزوجة منه إلا الطعن في رأيها وشخصيتها، لكي يشعر هو بالتفوق! و نحن هنا نتحدث من الناحية النفسية والمبدئية، وإلا فهناك أزواج مؤهلهم الجامعي عالي جدّاً، وزوجاتهم كذلك، ومع ذلك يتعامل معها بأسلوب استبدادي واحتقاري إلى أقصى الحدود!

وأيضاً، حتى حين يختار الشاب فتاة من طالبات العلم الشرعي أو الشواهد الجامعية العليا، فالواجب عليه في حكمة الرأي الرشيد أن يعتبر فيها العقل والحياء والأدب، أكثر من اعتبار طلبها للعلم الشرعي أو شهادتها الجامعية. فهناك حالات كثيرة تكون الزوجة طالبة علم شرعي أو حاملة شهادة جامعية كبيرة، لكن العلاقة الزوجية بائسة وكئيبة ومؤسفة!

وليحذر الشاب الصالح كل الحذر الزواج والارتباط بعلمانية منكرة للشريعة أو ترفض تطبيقها في الواقع الحياتي، ومنهن مَن تلبس الحجاب شكلاً! فقد اتفق أهل العلم على عدم جواز زواج مَن

فيه ناقض من نواقض الإسلام، ويصر على ذلك رغم محاورته والبيان الحكم الشرعي لموقفه. ومن الواضح المؤكد أن إنكار الأحكام الشرعية أو بعضها مما ثابت في الديانة أو رفض إخضاع شؤون الحياة الخاصة والعامة لها، ردة واضحة وزندقة ثابتة. وإذا كان أهل العلم ينكرون الزواج من فاسقة ماجنة لما في ذلك من المفاسد والأضرار خصوصاً على الأبناء، فكيف بمن يتزوج من علمانية لديها خلل كبير في العقيدة وتحارب الله ورسوله؟

وليس حسناً أن يفهم القارئ بأن هذه دعوة للشاب بأن يزهد في طالبات العلم الشرعي أو حاملات الشواهد الجامعية، بل المقصود هو أن يهتم بما تقوم عليه العلاقة الزوجيّة قياماً صحيحاً. وليس ذلك سوى العقل والحياء والأدب والاستقامة. فكم من مثقفة غبية في شؤون التعامل الزوجي والأسري، وكم من أمية أو شبه أمية ذكية في شؤون التعامل الزوجي والأسري!

وعموماً نحن ننصح بأن يختار العاقل لنفسه المتعلمة تعليماً وثقافة وسطاً، رغم كل التنديد والمزايدة التي تطلقها بعضهن و بعضهم. فداخل البيت الزوجان يحتاجان أن يشعر بمعنى كونه زوجاً، وبأن الآخر قريب منه، راغب فيه، حريص على تلبية احتياجاته المختلفة بأسلوب جميل وراقي. أما الدروس والمحاضرات والنقاشات فإنها لا تصنع سعادة ولا تحقق استقراراً!

يقول الشيخ عطية صقر ـ من كبار علماء الأزهر ـ: « صاحبة اللقب العلمي الناشئة في الوسط العالي تميل بحكم التنشئة إلى النواحي العلمية والنقاش والبحث والأخذ والرد، وقد تزهى وكثيراً ما يكون ذلك... وهنا تكون معاملتها له معاملة الزميل للزميل لا معاملة الزوجة للزوج، إن نادته فبلقب الزميل أو الأستاذ، وإن ناداها فبلقب الدكتورة أو الأستاذة. تراها طوال نهارها أو في أكثر أوقاتها متنقلة بين المكتبات ودور العلم أو أمام مكتبتها بين الكتب والمجلدات... وهنا يضيع فيه معنى الزوجة وحنان المرأة، ويعيش معها كرجل مع رجل... إن مقامها الرفيع يأبى إلا أن يكون لها من الخدم ما يساعدها على التفرغ لعلمها وبحوثها، التي يصعب عليها أن تتركها، وكيف

وهي التي أنفقت زهرة شبابها في الحصول عليها؟... كثير من المتشبّعات بروح هذا التعليم يحملن بين جوانحهن المعاني المطلقة لكلمات الحرية والمدنية والتقدم والتطور والديموقراطية والمساواة، وتستخدمها في الحديث والزيارات وفي المقابلات... ليس معنى هذا أننا نبخس العلم قدره، ولكنا ننعى على التعليم العالي الذي صرف عن الواجبات الزوجية ويبعد المرأة عن رسالتها الحقيقيّة في الحياة، أما لو استعملت علمها في تحقيق رسالتها كزوجة وأم فإنها تكون المرأة المثالية، ولا يتم ذلك إلا إذا صاحب العلم خُلق ودين وفهم صحيح لرسالة المرأة وعلاقتها بالرجل ».[1]

على أن كل ما ذكرناه نوصي به الملتزمة طالبة العلم الشرعي، فليس كل شاب طالب علم شرعي له عقل وفهم في أسلوب التعامل الزوجي والأسري! فكم من زوجات طيّبات تزوجن طلبة علم شرعي أو دعاة، متأملات أن يعشن حياة هنية وسعيدة، إلا أن الخيبة كانت لهن بالمرصاد، لأنّ الزوج لا يعرف شيئاً من أبجديات التعامل مع الأنثى!

لكن من المؤسف أن جمهرة عريضة من الملتزمين من الجنسين يغفلون هذه الحقيقة، إلا أنّهم يُصدمون لاحقاً بعد أن يعيشوا الزواج حقيقة واقعيّة!

وبعد: ليس من الحكمة أن يغتر العاقل وينخدع بالحالات الشاذة الناجحة في العلاقات الزوجيّة، كزوجين سعيدين رغم فارق العمر بينهما أو كفقير تزوج غنية فمنحته كل تقدير واحترام أو شخص تزوج طالبة علم أو حاملة شهادة جامعية عالية لكنها مع ذلك عرفت حقوقه وقيمته وتعاملت معه بمنطق الزوجية، وعاش معها في هناء وعافية، وغير هذا من الحالات، فهي في جميع الأحوال تبقى حالات شاذة، والقاعدة تقول (الشاذ لا يقاس عليه).

إنّ الإنسان عندما يبذل جهده في اختيار شريك حياته مناسب له على أسس صحيحة ومعتبرة دينيّاً وأخلاقيّاً، ثم يصاب بخيبة صادمة بعد الزواج، لأنّه وجد ما لم يكن يتوقعه، فإنّه لا يكون

1 . «موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام». جـ 1 صـ 195/ مكتبة وهبة، ط 1/1424-2003. بتصرف يسير.

مَلُوماً لا من الناحيّة الدينيّة، ولا النفسيّة الشخصيّة، ولا العائليّة الاجتماعية، لأنّه قد بذل جهده المطلوب منه شرعاً وعقلاً وعُرفاً ولكنّه حُرِم التوفيق.

أما لو فرّط في الاختيار واعتبر في مواصفات شريك حياته ما لا يصح أن يكون معتَبَراً في الحقيقة، فإنّه يكون ملوماً من النواحي كلها، الدينيّة والنفسية والعائليّة والاجتماعية، لأنّه يكون بسوء الاختيار كأنّه اختار التعاسة على السعادة، وتلك عاقبة الجاهلين! فالزواج له آثاره الكبيرة والخطيرة فلا يجب الاستهانة بمعايير الاختيار الصحيحة والموضوعيّة

لقد قال رسول الله ﷺ: ﴿ احرص على ما ينفعك ولا تعجز. واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا. ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل. فإنّ لو تفتح عمل الشيطان ﴾.[1] وذلك لأنّك تملك حريّة تصرّفاتك واختياراتك، تستطيع أن تفعل وألا تفعل. لكنّك لا تملك حريّة النتائج والعواقب المترتبة على اختياراتك، فهذه ليست بيدك ولا تستطيع تغييرها، لأنّ النتائج هي قضاء رباني مطلق لا يستطيع مخلوق تغييره، إلا أن يشاء الله شيئاً. فأنت تستطيع أن تختار ذات الدين والأخلاق وتستطيع أن تختار السفيهة الطائشة، وفي الحالتين معاً النتيجة معلومة سلفاً: في الحالة الأولى تكون السعادة والاستقرار، وفي الحالة الثانيّة يكون الشقاء والقلق. وكذلك يقال للمرأة.

بقي أن أشير إلى أمر مهم وهو: المفروض أن الشاب لا ينبغي أن يتقدم لخطبة فتاة إلا بعد أن يجمع عنها وعن أهلها معلومات كافية ترسم له صورة واضحة عنها وعنهم. بهذا فقط يستطيع أن يتقدم وهو عازم على الزواج، وإما أن يتراجع عن خطته وعزمه ومراده بدون أن تعرف هي وأهلها شيئاً. هذا هو المفروض والواجب في حكمة العقل، لكن الذي يحدث أن بعض الناس _هداهم الله_ يهجمون على أبواب الناس، فإذا دخلوا وسمعوا الرد بالموافقة، يذهبون، ثم يختفون،

1 . «رواه مسلم».

لأنهم حينها فقط يخوضون نقاشات مختلفة حول هذا الزواج والارتباط بهذه الإنسانة والمصاهرة مع هؤلاء الناس، وتستمر الأيام والليالي كذلك، أما الفتاة وأهلها فهم يعيشون كل لحظة بترقب وتوجس وقلق وتوتر! فالواجب أن يتقي اللهَ تعالى الشابُ وأهلُه في المسلمين.

وأخيراً، يحسن التنبيه على أدب نبوي مهم، وهو صلاة الاستخارة. فالزواج مشروع كبير وتاريخ جديد، فمن الواجب أن يتضرّع العبد إلى مولاه ﷻ عسى أن يهديه لما فيه صلاحه وخيره في الدنيا والآخرة. قال رسول الله ﷺ: ﴿ إذا هم أحدكم بأمر فليصلِّ ركعتين، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنتَ تعلم أن هذا الأمر ـ(هنا الزواج)ـ خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري عاجله وآجله، فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به ﴾.(1)

إذن الاستخارة معناها: طلب الخيرة في الأمر، أي أنّك تطلب من الله تعالى أن يختار لك الخير في أمرك الذي أنت مقبل عليه، لأنّه يعلم كل شيء ويقدر على كل شيء، أما أنت فإنّك إذا علمت شيئاً وقدرت على شيء، فإنّك تجهل أشياء وتعجز عن أشياء. إن الإنسان في الحقيقة لا يتزوج لشهر أو لعام ثم تنتهي القصة، بل يتزوج للعمر كله، كما أنه قد يكون له يقين جازم بصلاح واستقامة هذا الذي وقع عليه اختياره، إلا أنه في الواقع لا يدري إن كان سيظل كذلك مدة الزواج التي يُفترض أنها ستستمر إلى الموت أم لا؟

والاستخارة لا تنفي الاستشارة، بل يجب على المسلم والمسلمة استشارة الأهل ومَن يراه أهلاً للرأي الصحيح. فإذا اطمأن لقرار وعزم، فليتوكل على الله تعالى.

---

1 . «رواه البخاري».

❁❁❁

إطالة الخِطبة:

قبل أن أختم هذا الفصل، لأنتقل إلى الفصل التالي، أجد من المهم التنبيه على قضية تطويل مدة الخِطبة. إذ إنّ هذه الإطالة التي يحرص عليها كثيرون وكثيرات لذرائع مختلفة، من أية جهة نظرنا إليها وجدنا لها آثاراً سلبيّة جداً على الخطيبين معاً، نذكر منها:

- **(أولاً)..** إطالة الخِطبة تذيب الكثير من الحواجز. يبدأ الذوبان خفيفاً، ثم يستمر بوتيرة متصاعدة، فالنفس لا تشبع أبداً، ولا يكاد يوجد خطيبان طالت مدة الخِطبة بينهما إلا وتجاوزا الحدود الشرعيّة، إما بشكل كامل (الزنا) وإما بشكل جزئي (مقدمات الزنا)!
- **(ثانيّاً)..** إطالة الخِطبة ـعلى فرض عدم تجاوز الحدودـ تُولّد بين الخطيبين مع مرور الوقت الملل والنفور، فلا يعود أحدهما مثيراً للآخر كما كان في البداية. وهنا تنشأ حالة شعور بالضغط والهواجس من الاستمرار أو التراجع قبل فوات الأوان!
- **(ثالثاً)..** إطالة الخِطبة بذريعة "أريد أن أعرفه جيّداً" وهم كبير، فالإنسان لا يمكن معرفته على حقيقته المطلقة، فهو عالم مجهول. فكم من شخص (الشاب أو الفتاة) يكون قبل الزواج مستقيماً ورائعاً، ثم بعد الزواج ـلعوامل مختلفةـ يتغيّر بشكل جذري!
- **(رابعاً)..** إطالة الخطبة لابد أن يكون هناك تواصل بين الطرفين، وهذا من شأنه أن يزيد من شحنات الشعور بالرغبة الجنسية، فيجدان أنفسهما يعيشان يوميّاً تحت ضغوط قاهرة، وهذا قد يتسبب لهما في مشاكل صحيّة، لأن الشهوة لا تجد لها مصرفاً.
- **(خامساً)..** من الخطأ الشنيع التذرع بتكاليف الزواج وتوفير المال لأثاث المنزل. فهذه الذريعة تعكس سخفاً في التفكير وانغماساً في أوحال التقاليد الجاهلية، فالتبذير مناقض لتعاليم الإسلام وفطرة العقل. وعجيب أنّ يؤخر عاقل الزواج لأجل تقاليد باردة!

إذن لا يوجد شيء يمكن أن يكون سبباً معتبراً لتأخير الزواج، فمن أراد فعلاً صلاح حاله وسعادة نفسه والتعاون مع شريك حياته، لن يعدم حلولاً مناسبة، فإنّ لكل مشكلة حلاًّ، وأما من يعشق التفلسف الفارغ والتنطّع الغبي والرضوخ لتقاليد الناس، فلا يلومن إلا نفسه!

إنّ مَن يظن أن مدة الخِطبة كلما طالت كانت امكانيّة معرفة شخصيّة الشريك أفضل وأعمق، وبالتالي نسبة تحقيق النجاح في الزواج تكون أعلى، هو شخص واهم جدّاً. وذلك لأنّ شخصيّة الإنسان ثلاث مناطق بعضها أخص من بعض:

- **(المنطقة الأولى)..** يعرفها عامة الناس، خاصة الجيران والأصدقاء. ومعرفة الخطيبين لهذه المنطقة لن تغنيهما في معرفة مدى امكانية تحقيق علاقة زوجيّة متميّزة.
- **(المنطقة الثانيّة)..** يعرفها فقط الأهل داخل أبواب البيت المغلقة. ومعرفة الخطيبين لهذه المنطقة غير ممكنة، إذ لابد لها من المعاشرة بمختلف مظاهرها، وهذه تكون بعد الزواج.
- **(المنطقة الثالثة)..** يعلمها الله وحده، ثم تتجلّى خلال مدة العمر. ومعرفة هذه المنطقة مستحيلة، لأنّها غيب، ولا يعلم الغيب إلا علاّم الغيوب سبحانه.

ولهذا نقول: لا يمكن معرفة الطرف الآخر أثناء مرحلة الخِطبة، للأسباب التّاليّة:

- **(محدوديّة التواصل)..** أي إن الخطيبين لا يتواصلان إلا لمدة زمنية وجيزة جدّاً يوميّاً أو أسبوعيّاً. وحقائق الشخصيّة تنكشف بالتواصل المتواصل والمباشر الدائم.
- **(انتقائيّة التواصل)..** أي إن الخطيبين لا يتواصلان بشكل مكشوف وتلقائي، بل يحرصان على الظهور بمظهر الشخصيّة الرائعة. والشخصيّة إنّما تنكشف بالتواصل التلقائي والصريح.
- **(آليّات التواصل)..** أي إن الخطيبين لا يعرفان جيّداً آليات معرفة شخصيّة كلٍّ منهما. ومع شيء من العواطف وأحلام الحب يتصوران أنّهما يمكن أن يظلا كذلك بعد الزواج!

إذا فهمتَ هذه المعطيات، فهمتَ سر انفصال كثير من الذين طالت بينهم مدة الخِطبة، في العام الأول من الزواج، أو على الأقل شعورهم بالصدمة الضاغطة! ولهذا من المفيد أن نعلم أنّ استقرار العلاقة الزوجيّة واستمرارها لا علاقة له بقضية إطالة الخِطبة.

إنّ الاستقرار والاستمرار، وتحقيق التفاهم والانسجام، والتعاون على مواجهة التحديات المختلفة، وجني قطوف السعادة وثمار المتعة، كل هذا وثيق الصلة بشيئين اثنين:

- **(أولاً)..** وعي الزوجين بمعاني الزواج ودوره في بناء الذات والمجتمع.
- **(ثانيّاً)..** مدى رغبة الزوجين في تحقيق أهداف الزواج، الشرعيّة والنفسيّة.

أما الذين يشددون على ألا تقل مدة الخِطبة عن ستة أشهر أو عام كامل أو أكثر فهم في الواقع يبيعون الوهم الخادع للشباب. إذ لا توجد قاعدة ثابتة، ولا يمكن أن توجد، فكم من طرفين تزوجا في أول أسبوع أو أسبوعين من تعارفهما وعاشا تجربة علاقة زوجية مليئة بالحب والتفاهم والاستقرار والتعاون، وكم من طرفين لم يدخلا الزواج إلا بعد شهور أو أكثر من عام من الخِطبة، ومع ذلك فشلت زواجهما بعد أن تجرّعا مرارة أليمة وخيبة أمل عنيفة!



شروط الزواج

إطار مقدس:

لقد تبيّن لنا سابقاً مدى أهميّة الزواج، سواء في حياة الفرد أو حياة المجتمع، وفي نواحي الحياة كلّها، الدينيّة والفكريّة والنفسيّة والأخلاقيّة والاجتماعية. ولما كان الأمر بهذه الأهميّة الكبيرة وله هذه الغاية المنيفة الشريفة، فإنّ كلّ أمة خلت في التاريخ ـ كيفما كان منهجها الديني ووضعها الاجتماعي ومستواها الحضاري ـ قد وضعت له طقوساً وأحكاماً، ومراسم وآداباً.[1]

هذا الاهتمام وهذا الحرص الشديد على طقوس معيّنة لإعلان الزواج بين الأمم، يدل دلالة قاطعة على شعور الإنسان الباطني بقدسيّة العلاقة الزوجيّة، وقيمتها الكبيرة في الحياة، ونبل غايتها وأهدافها. إذ ما كان إجماع البشريّة كافة في مختلف مراحلها الزمنيّة ومواقعها الجغرافيّة ومستوياتها الحضاريّة على تحديد إطار مقدس لميثاق الزواج، إلا دليلاً على ذلك الشعور بقدسيّته.

والإسلام لم يكن بِدْعاً من هذه الحقيقة النفسيّة والاجتماعية والتّاريخيّة حول العلاقة الزوجيّة، فلقد اعتبر عقد الزواج عقداً عظيماً: ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾.[2] قال أهل العلم بالتفسير، وهو قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وغيرهم كثير: الميثاق الغليظ هو الإمساك بالمعروف أو التسريح بالإحسان، أي حسن المعاملة ما دام عقد الزوجية قائماً، فإذا استحالت الحياة للرجل أن يطلق بلا ضرر لزوجته.

---

1 . لأخذ فكرة عامة عن طقوس الزواج والنظرة للغريزة الجنسية وطرق تلبيتها وإشباعها عند الكثير من الأمم والشعوب، انظر «موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام». الشيخ عطية صقر/ جـ 1 صـ 67 وما بعدها/ مكتبة وهبة، ط 1424/1-2003. فقد تحدث طويلاً عن ذلك.

2 . النساء/21

من أجل ذلك، لم يكن عجيباً أن يضع الإسلام للزواج مجموعة من الأحكام والآداب التي تحفظ له في النفس والمجتمع قدسيّته الجميلة ومكانته الساميّة، حتى يكون معصوماً من عبث العابثين والعابثات وفوضى الفارغين والفارغات.

نعم؛ إن الأصل في تزاوج الرجل والمرأة هو التناسل والتكاثر، مثل تزاوج أي ذكر وأنثى من الحيوانات والنباتات. لكن، إذا كان الله سبحانه أذن للحيوانات أن تقودها غرائزها لتنفيذ وتحقيق هذه الغاية الوجودية، أي التناسل والتكاثر، وهو إذنٌ مرتبط بالدور المحدد للحيوانات في الحياة، فإنه سبحانه لم يرض أن يكون الإنسان كذلك وهو ينفذ ويحقق ويلبي تلك الغاية والهدف الوجودي من ارتباط والتقاء الذكر والأنثى.

لو عدنا إلى قول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.[1] سنجد أنّ هناك إثباتاً للدور الوظيفي المجرّد لالتقاء واتصال الرجل والمرأة، وهو مضمون قوله (**خَلَقَ لَكُم**)، كما أننا سنجد التنبيه على السمو والقدسية والغاية التي ينبغي أن ترتقي إليه ممارسة هذا الدور الوظيفي، وهو مضمون قوله (**لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً**).

فكما نرى؛ فإنّ الآية لم تقتصر على الجانب الوظيفي للتزاوج والذي تشترك فيه الحيوانات والنباتات مع الإنسان، بل نبّهت على الجوانب الجمالية والنبيلة التي ينبغي أن تطبع تزاوج واقتران الرجل والمرأة ببعضهما. ولا تتجلّى قيمة هذه الجوانب المشرقة والسامية أكثر مما تتجلّى فيه في مرحلة الشيخوخة، حيث لا تعود هناك امكانية تنفيذ وتحقيق التناسل بين الزوجين، بل يحتاجان معاً لذلك السكن الروحي والاستقرار النفسي والشعور بالانتماء لبعضهما معنوياً.

---

1 . الروم/30

غير أنّ ميزة التشريع الإسلامي للعلاقة الزوجيّة ـوهي ميزة شاملة لكل أحكامه وشرائعهـ تتجلّى في سمتين كبريين، تُكسب الزواج قيمته المقدسة وتألّقه الجميل، وهما **(الأولى).. أنه ربانيّ**؛ بحكم أنّ الله تعالى هو من حدّده وفصّله للزوجين: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾.[1] و **(الثانيّة).. أنّه فطريّ**؛ بحكم أنّ الله تعالى لا يشرّع إلا ما يناسب فطرة الإنسان: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾.[2]

والزوجان المسلمان عندما تكون هذه الحقيقة واضحة عندهما، فإنّ النتيجة هي:

1. **الشعور بالطمأنينة والأمان**، لأنّ كلاًّ منهما يدرك أنّ الله تعالى هو مَن فرض له حقوقه وأوجب عليه واجباته، وبالتّالي لا يشعر بأدنى مشاعر الظلم فيها، لأنّه يدرك تماماً أنّ أحكام الله تعالى عدل كلّها، رحمة كلّها، حكمة كلّها.
2. **المعرفة بأنّ الزواج لا يستقيم إلا بأداء هذه الواجبات والحصول على هذه الحقوق**، لأنّ الله تعالى هو الذي خلق الإنسان وهو وحده أعلم بما يصلح له وما يُصلحه، في الدنيا وفي الآخرة، ومن ثم، فكما يحرص على نيل حقوقه، يحرص على أداء واجباته.
3. **حرص كل واحد منهما على كسب الحسنات**، من خلال القيام بواجباته تجاه شريكه. وبالتّالي يحرص على أن يكون هذا الأداء في أرقى مستويات الإتقان والجمال، إذ إن هذه الواجبات ليست مجرد تقاليد اجتماعية، بل فرائض شرعيّة وآداباً نبويّة.[3]

---

1 . المائدة/3

2 . الروم/30

3 . تأمل مثلاً حديث رسول الله ﷺ: ﴿ إن الله يحبُ إذا عملَ أحدكُم عملاً أن يتقنهُ ﴾ [السلسلة الصحيحة للألباني]. بل تأمل قول الله سبحانه: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [الملك/2].

إنّ كل الذي ذكرناه يساعد الزوجين الصالحين على العمل والحرص للفوز بعلاقة ثنائيّة تكون مطبوعة بالسمو والمسؤولية والفضيلة، وأسرة تكون محاطة بالتعاون والتماسك والتضحية، ثم رضوان من الله أكبر في جنّات النعيم ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾.[1]

إنّ المنهج الإسلامي أنّ الحياة في المجتمع الإنساني لا تستقيم إلا أن يكون اجتماع الرجل والمرأة في إطار مقدس، كَيْمَا تسير هذه العلاقة الثنائيّة بينهما سيرها الطبيعي وفي مسارها الصحيح، فتؤتي أُكُلها الطيّب وثمارها اليانعة، سواء في الفرد أم في المجتمع.

من أجل ذلك، فإنّ الإطار المقدس لاجتماع وعلاقة الرجل والمرأة، والإفادة الكاملة من آثار ذلك (الاستمتاع الجنسي، إنجاب الأطفال، تبادل الخدمات المختلفة، التوارث بينهما)، لا يمكن أن يمنحه المنهج الإسلامي المصادقة عليه ما لم يكن ملتزماً بأربعة شروط، وهي:

(حضور الولي)، **(رضا الزوجة)**، **(إعلان الزواج)**، **(تسمية المهر)**.[2] وبيان ذلك هو:

❁❁❁

حضور الولي:

(حضور الولي).. لابد من حضور وليٍّ للمرأة المسلمة أثناء عقد الزواج. قال الله تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾.[3] فهذا أمر للأولياء أن يتولوا عقد

1 . المائدة/85

2 . لقد تكلم أهل العلم كثيراً عن عقد الزواج وكل ما يمت إليه بصلة. ولكن، لأن الخوض في نقاشات أهل الفقه حول الموضوع، لا يليق بطبيعة هذا الكتاب، سأكتفي ـ إذن ـ بذكر خلاصة عامة تكفي المسلم العادي، ومن شاء التفصيل فعليه بكتب الفقه.

3 . النور/32

الزواج مع الرجل الخاطب. وقال جل جلاله: ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾.[1] وهذا نهي للأولياء عن منع مَن هي تحت أيديهم من العودة إلى زوجها إذا أرادا المراجعة.

قال العلماء: لو لم يكن حضور الولي واجباً، ولو لم يكن له الحق في الولاية على المرأة لما خوطب الأولياء بهاتين الآيتين، حتّى قال الشافعي ﷺ: «إنهما أصرح آيتين في اعتبار الولي في النكاح». وقال تعالى: ﴿ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ ﴾.[2] وقال رسول الله ﷺ: ﴿ لا نكاح إلا بولي ﴾.[3] وقال أيضاً ﷺ : ﴿ أيما امرأة نُكِحَت بغير إذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل ﴾.[4]

إنّ شرط حضور الولي ليس انتقاصاً لكرامة المرأة وشخصيّتها أو اعتبارها ليست أهلاً للتّصرف في حياتها، كما يحلو للجاهليّين المعاصرين أن يشيعوا بين النّاس. بل يتضمن إقرارها باحترام أبويها والتعبير عن امتنانها لهما على ما بذلاه لأجلها إبّان حياتها. كما أنّ فيه معنى حفظ حقوقها، فالمرأة التي لا ناصر لها لا يتورّع الزوج النذل عن هضم حقوقها. وأيضاً لأنّ الرجل أخبر بالواقع ويستطيع البحث والسؤال، عكس المرأة التي لا يمكنها ذلك.

يقول الشيخ الدكتور محمد أبو النور: « إن الولاية دعم للشهادة على الزواج، وارتفاع بمستواه عن أن يكون علاقة سفاح أو زنا، وإحاطة له بهالة تتناسب مع كونه نواة لبدء لتكوين أسرة سوف تؤدي دورها بعد قليل كعضو في الجسد الاجتماعي الكبير، فضلاً عن أن فيها وقاية للمرأة من آثار الاندفاع العاطفي الذي قد تنزلق في مهاويه لو تركنا الأمر إليها ».[5]

---

1 . البقرة/232

2 . النساء/25

3 . «رواه أبو داود».

4 . «رواه الترمذي». الأيامى: مفردها أيم، وهي المرأة التي لا يكون لها زوج، سواء كانت بكراً أم كانت ثيّباً [سبق لها الزواج]. الإماء: مفردها أمة، وهي العبدة. لا تعضلوهن: العضل هو المنع، أي لا تمنعوا البنت أو الأخت أو من هي تحت ولايتكم من العودة إلى زوجها الذي طلقها، إذا حصل بينهما اتفاق على العودة.

5 . «منهج السنة في الزواج». صـ 136/ دار السلام، ط 5/ 1417-1996.

وبعد كل هذا، فإنّ شهود الولي من حقوقه الواجبة له، إذ لا يحق لهذه المرأة أن تُزوج نفسها من غير الكفء في الدين والأخلاق، فتلُحق العار بأهلها وأسرتها. قال أهل العلم: « فإن رضيت بغير كفء وأباه الأولياء لم يكن لها أن تُنكح إلا برضاهم، لأنّ ذلك حق لهم، إذا كان وضعُها نفسَها في غير كفء يلحق العار بهم، فلهم دفع ذلك العار عن أنفسهم ».(1)

وكم من فتاة ألغت اعتبار وليّ أمرها، بدعوى إثبات الشخصيّة أو الثورة على التقاليد الباليّة أو التضحية في سبيل الحب، فزوّجت نفسها وتبعت الحب الموهوم، فعضّت يديها ندماً! وذلك بعد أن اكتشفت أنّ ذاك الحبيب الذي أقسم لها الأيمان، لم يكن له همّ إلا التمتع بها لمدة من الوقت، ثم يمضي و يتركها تقاسي أهوال الأحزان والفضيحة!

بل اليوم في عصرنا الحاضر صرنا نجد مسلمات يتزوجن أشخاصاً دون بحث عنهم قبل إعلان الموافقة، ثم يكتشفن لاحقاً أن هذا الشخص ملحد كتم إلحاده أو نصراني أخفى نصرانيته أو علماني ستر علمانيته، فلا تسأل عن المشاكل التي تقع فيها هذه المسلمة وأهلها، خصوصاً إن هناك حالات يكون فيها إنجاب! والله المستعان.

❁❁❁

رضا الزوجة:

لابد من الموافقة الصريحة أو الضمنية من المعنية بأمر الزواج. ومن هنا، فإن الزواج إذا كان بغير رضاها ولم تُجزه فهو ملغى. فعن عائشة رضي الله عنها أنّ فتاة دخلت عليها، فقالت: ﴿ إنّ أبي زوجني ابن أخيه ليرفع به خسيسته ـأي مكانته الاجتماعيةـ وأنا كارهة، قالت: اجلسي حتى يأتي النبي ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ فأخبرته، فأرسل إلى أبيها فدعاه، فجعل الأمر إليها، فقالت: يا رسول الله: قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردتُ أن أُعلِمَ النِّساءَ أن ليس إلى الآباءِ من الأمرِ

---

1 . «مقنع المحتاج في آداب الأزواج». ابن عرضون/ جـ 1 صـ 302.

شيءً ﴾.[1] وقال رسول الله ﷺ: ﴿ لا تنكح الثيّب ـأي المطلقة أو الأرملةـ حتى تُسْتأمر، ولا البكر إلاّ بإذنها. قالوا: يا رسول الله وما إذنها؟ قال: أن تسكت ﴾.[2] لأنّ العادة أنّ الفتاة البكر تكون حييّة خجلة، وإلاّ فلا مانع أن تجهر بالموافقة.

قال أهل العلم: « البنت البكر الكبيرة، والثيّب، لا يجوز للأب ولا لغيره تزويجها إلا بإذنها ورضاها بالاتفاق. وقال الحسن والنخعي: يجوز للأب إجبارها على النكاح، وهو شاذ خلاف أهل السنة وأهل العلم. ولابد أن يكون إذنها بالنطق أو ما في حكمه، وعليه الإجماع... فإن زوّجها الأب من غير أن يستأمرها، فكرهت ذلك، فالنكاح مفسوخ عند أهل العلم ».[3]

إنّ اشتراط رضا الزوجة في عقد الزواج، له معان جميلة ورائعة للغاية، منها أنّه تشريف جميل للمرأة واحترام كبير لشخصيّتها واعتراف بأهليّتها واعتبار لرغبتها. ومنها أنّه دعوة للرجل أن يفهم أنّ المرأة لا يمكن الحصول عليها إلا برضاها. ومنها أنّه إغراء للرجل أن يكون فاضلاً نبيلاً لكي تقبل به المرأة رفيقاً لحياة. ومنها أنّه تنبيه على امكانية وجود مانع نفسي أو عضوي من الزواج لا تعلمه إلا المرأة.

يقول الدكتور محمد الأحمدي أبو النور عن مسألة مشاورة المعنية بالزواج: « وفي هذه المشاورة تشريف للمرأة وتكريم لها، وإشعار لها بأهليّتها وحقها في إبداء رأيها في أخص الأمور تعلّقاً بحياتها ومستقبلها.. وفيه أيضاً منع ما قد يكون من زواج لا يدفع إليه إلا استبداد الولي أو طمعه وأنانيّته. وقد جعل الإسلام الأمر في هذا شورى بين الولي والمرأة ما دامت أهلاً للتمييز والاختيار، بكراً كانت أم ثيّباً ».[4]

1 . «رواه الطبراني».

2 . «رواه أبو داود».

3 . «موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي». سعدي أبو جيب/ جـ 2 صـ 1186/ دار الفكر، ط 2/ 1404-1984.

4 . «منهج السنة في الزواج». صـ 87.

من أجل هذا نقول: ليس من الدين في شيء أن تُحطم معاني الأنوثة في الفتاة المسلمة بسبب التقاليد الجاهليّة أو بدعوى أن تصبر وتحتسب الأجر عند الله تعالى! أو بدعوى أن الشخص المتقدم إليها وإن كان على دين وخُلق إلا أنه غير كفء لها ماديّاً واجتماعيّاً! فليس شرط موافقة المرأة في الإسلام سوى لأنّه يعلم أنّ الحياة الزوجيّة لا يمكن أن تستقيم إلا أن يكون الطرفان على اقتناع ببعضهما بعضاً، وإلا تحوّلت علاقتهما إلى جحيم ملتهب!

ولهذا في وقائع مختلفة، كانت تأتي الفتاة إلى رسول الله ﷺ تسأل عن مدى جواز إتمام الزواج رغم أن أباها لم يطلب رأيها ولا إذنها، فكان عليه السلام يرد الزواج، دونما اعتبار للكفاءة المادية ودونما التفات لكون السائلة بكراً أم ثيّباً، بل لمجرد أنّها لم تُستأمر في شيء يخصها شخصيّاً ويخص حياتها ومستقبلها! ذلك لأنّ « أمر الأسرة لا يُبنى على التكافؤ المادي، وإنما يُبنى على التعاطف الوجداني، والميل القلبي، والهوى والحب بين كلٍّ من الزوجين. فهذا هو أساس ما سيكون بينهما من سكون نفسي وجنسي، وما سيظلّل حياتهما بعدئذ من مودة ورحمة ».(1)

صحيح أنّ الزوجة إذا كانت من أهل التقوى، فإنّها تصبر ولا تدّخر جهداً في خدمة الزوج والقيام بشؤونه والرعاية لأطفاله، ابتغاء الأجر عند الله تعالى. ولكن ـورغم أن هذه حالة نادرةـ ليت شعري أنّى تعرف إشراقة البسمة سبيلاً إلى حياة لا تشعر الزوجة فيها بقيمتها وأنوثتها، بل تشعر كأنها في سجن كئيب، قد حُكم عليها أن تقضي فيه ما بقي لها من العمر!

❁❁❁

إعلان الزواج:

مقصد الشريعة من الاجتماع البشري هو سريان الأمن في نفوس أفراده ليقوموا بأدوارهم في الحياة كما ينبغي. ولا يكون هذا إلا بسلامة الصدور ونقاء القلوب من سوء الظنون ببعضهم بعضاً.

---

1 . «منهج السنة في الزواج». صـ 122.

وأنت إذا تأملت ضرورة الشهود في عقد الزواج، وجدت أنّ الغرض منه هو حفظ الحقوق المعنويّة للزوجين معاً بين أفراد المجتمع، فنقاء عرض المسلم والمسلمة أمام الآخرين مقصد شرعي.

تحقق هذه الغاية الشريفة عبر إعلان النكاح بالدف وشيء من اللهو. قال رسول الله ﷺ: ﴿ فصل ما بين الحلال والحرام الصوت بالدف ﴾.[1] وهذا بشرط أن يخلو الفرح واللهو من الغناء الحرام والاختلاط المحظور والمنكرات القبيحة، كما يفعل كثيرون بدعوى فرحة العرس، فهو أمر باطل، فالمعصية معصية، ولا يمكن تبريرها بدعوى الفرح!

وأيضاً عبر وليمة في حدود المعروف، لأنّ الغرض هو إظهار الفرحة والسرور بهذا القِران لا غير، ولهذا قال رسول الله ﷺ: ﴿ أَوْلِم ولو بشاة ﴾.[2] أي اصنع حفلة صغيرة ولو بذبح شاة واحدة. أما الإسراف والبذخ، فليس من الإسلام في شيء. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾.[3]

وكم من أناس استدانوا الأموال العظيمة للولائم الباذخة، ثم ماذا كان؟ كثيرون منهم حدث بينهم الطلاق في الأشهر الأولى من الزواج! وكثيرون منهم بقيت الديون تطارهم لمدة طويلة! فالواجب الحرص على بدء الحياة الزوجيّة بطاعة الله تعالى، وعدم الانسياق وراء أهواء وتقاليد الناس، فرضا الله تعالى و طاعته أهم.

والحذر كل الحذر من السماح بالمنكرات في هذا الحفل أو هذه الوليمة، فذلك إثم عظيم، وليت شعري كيف يبارك الله تعالى في زواج بدأ بالمنكرات والمعاصي؟ كمن يسمح بالاختلاط بين الرجال والنساء، بل والرقص والأغاني المحرمة، وظهور الفتيات والنساء متبرجات شبه عاريات.

---

1 . «رواه ابن ماجة».

2 . «رواه البخاري».

3 . الإسراء/27

فالرجل في بيته أحق به، ويُحظر عليه الخضوع لهذه الجاهليات التي يقترفها كثير من الناس بسبب جهلهم وقلة تقواهم، فإنما الإثم الأكبر عليه، إذ سمح بذلك في بيته.

❁❁❁

الإيجاب والقبول:

المسلم يُقَدِّر الكلمة ويحترم العهد. وعقد الزواج مفتاحه هو هذه الكلمة وذاك العهد، بين أطرافه الثلاثة (الولي، المرأة، الرجل). ولهذا وجب أن تكون تلك الكلمة وهذا العهد واضحة بيّنة، لا لبس فيها ولا غموض.

والغرض من ضرورة أن يكون الإيجاب والقبول في مجلس واحد وبكلمة واضحة، أن يتحمّل كل طرف مسؤوليّته تجاه العلاقة الزوجيّة وما لها من آثار وتداعيات كبيرة في حياة الزوجين وحياة أطفالهما وحياة الأسرتين، بل وحياة المجتمع بأكمله. ومن هنا لا تهم صيغة الإيجاب والقبول، بقدر ما يجب أن تكون واضحة ودالّة على الغرض ويفهم الطرفان أنّهما صارا زوجين، كأنّ يقول الوليّ: زوجتك ابنتي فلانة. ويقول الزوج: قبلت.

❁❁❁

حكمة المهر:

المهر حق للزوجة على الزوج، وقد تعارفت عليه أكثر أمم وشعوب العلم من قديم الزمان وفي مختلف الحضارات، رغم اختلاف شكله وطبيعته وقيمته. والإسلام حثّ عليه وأمر به، كما قال سبحانه: ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾.[1] وقال سبحانه: ﴿ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾.[2] قال أهل العلم بالتفسير: أجورهن أي مهورهن. كما أنّه متعلّق بما يصطلح عليه

1 . النساء/24

2 . النساء/25

الطرفان، سواء كثيراً أم قليلاً، وليس بالضرورة أن يكون مالاً، بل أي شيء قام مقامه واصطلح عليه الطرفان.

إنّ دلالة تقديم المهر معنويّة أكثر منها ماديّة. لأنّه لما كان المال ـوهذا غالب ما يُقدّم كمهر للمرأةـ محبوباً للنفس، والإنسان يبذل جهداً شاقاً ووقتاً طويلاً للحصول عليه، كان تقديم الرجلُ قدراً منه للمرأة، رمزاً جميلاً وإيحاءً عميقاً على صدق رغبته وإخلاص نيّته، وأنّه مستعد للمحافظة على هذه الإنسانة والرعاية لها والاهتمام بها والعمل على توفير حياة مريحة لها.

في هذا الإطار يمكننا أن نفهم بأنّ المهر في الإسلام يتضمن رمزيّة دالّة على قدسيّة العقد الزوجي في إحساس الزوجين، ومن جهة أخرى يتضمن رمزيّة دالّة على أنّ المرأة قيمة كبيرة تستحق أن يبذل الرجلُ لأجل الحصول عليها كل غالي ونفيس، لأنّها تستحق ذلك، إذ هي مأوى الرجولة وظلالها من لهيب الواقع وضغوطه، كما أنها محضن الإنسانيّة ومرعى طفولتها.

وهذا في الواقع من باب « الأشياء لا تُؤخذ إلا بمقابل ». فالزوج لما أعطته الشريعةُ حق الاستمتاع بزوجته، لا عجب أن تفرض عليه لها مقابلاً رمزيّاً لهذا الحق. وأما المرأة، فإنّها لما اقتصرت علاقتها بزوجها على أحقيّة الاستمتاع به دون أحقيّة التملك له، إذ يحل لغيرها من النساء أن تشاركها في زوجها، لم يكن من الحكمة أن يُفرض عليها تقديم المهر لزوجها. وهذا عين العدل و الحكمة: حق مقابل واجب، وعطاء مقابل حرمان.

ولهذا عرّف العلماء عقد الزواج شرعيّاً بأنّه « عقد وضعه الشارع، ليفيد ملك استمتاع الرجل بالمرأة وحل استمتاع المرأة بالرجل ».[1] أي أنّ العقد يفيد بالنسبة للرجل « أحقيّته وحده الاستمتاع بالزوجة »، فيحرم على غيره من الرجال أن يتزوج ويستمتع بهذه الزوجة، ما دامت في

1 . «الفقه الإسلامي وأدلته ». وهبة الزحيلي/ جـ 7 صـ 29. دار الفكر، 1417-1996.

عصمته. إذ بهذا تُحفظ الأنساب وتنتفي الفوضى من المجتمع. كما أنّ هذا الوضع مناسب جدّاً لفطرة الإنسان والحياة معاً.

ويفيد بالنسبة للمرأة: « أحقيّتها الاستمتاع بهذا الزوج، مع امكانيّة أن تشاركها فيه غيرُها »، أي لا يحرم على غيرها من النساء ـثلاث إضافة إليها بشروط معيّنةـ أن تستمتع معها بزوجها إذا تزوجها، فتصبح أحقيّة الاستمتاع حقاً مشتركاً بينهن. وبهذا نفهم أنّ: « تعدد الأزواج ممنوع شرعاً، وتعدد الزّوجات جائز ـبشروطـ شرعاً ». والله أعلم.

ولكن للأسف قد غفل جمهور النّاس في عصرنا عن حكمة المهر وفلسفته الرمزيّة، فانطلقوا يتهافتون في المزايدة فيه، كأن المرأة ـوالغريب أن تجد بعضهن هنّ مَن يُطالب بالمهر الغالي!ـ صارت شيئاً من الأشياء الثمينة التي تجلب الكثير من المال لوالديها! بل إنّ المرأة وأهلها حين يغالون في مهرها، فذلك دلالة على شعورهم وإحساسها بأنّها مجرد أَمَة في سوق النخاسة!

لقد نسي هؤلاء أن الرسول ﷺ قال: ﴿ إن من يُمْنِ المرأة: تسهيل أمرها وقلّة صداقها ﴾.[1] وقال عمر بن الخطاب ﷺ: « ألا لا تغالوا بصداق النساء. فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها النبي ﷺ ». وهذه كانت سنّة المسلمين الأوائل، لأنّهم كانوا يهتمون بدين الرجل وأخلاقه، وكانوا يعتبرون المرأة قيمة كبيرة لا تُقدر بثمن.

وهذا لا يعني حرمة أن يكون المهر باهظاً. يقول الشيخ عطية صقر: « مع أن الإسلام لم يجعل للمهر حدّاً أعلى فقد ندب إلى اتّباع هدي الرسول ﷺ فيه، والميل إلى يسره ترويجاً للزواج وصرفاً للنظر عن كونه تقويماً ماديّاً للمرأة أو ثمناً لسلعة من السلع ».[2]

---

1 . « رواه ابن حبان».

2 . «موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام». جـ 1 صـ 394/ مكتبة وهبة، ط 1424/1-2003. بتصرف يسير.

ثم نُذكر الأولياء بأن المهر حق خالص للعروس، لا يحق لهم أخذ شيء منه إلا برضاها، إذ إن الأصل في المهر أنه يُعطى لكي تشتري به الزوجة بعض حليّها وملابسها، وإن فضل شيء تشتري به بعض أغراض البيت. وأعرف بعض القصص المؤسفة وهي أن الأب يأخذ مهر ابنته وينفقه في الوليمة وتعظيم أصناف الطعام ودعوة كل مَن هب ودب، ثم إذا ذهبت هي إلى زوجها، لا يمر شهر أو شهران حتى يجدها بدون لباس ولا ثياب ولا عطور، فتنشب الصراعات.

❁❁❁

ضرورة التيسير:

وبعد: إن الأهل حين يغالون في شروط الزواج؛ فلا شك أنّهم يرتكبون جريمة نكراء ضد هذه الابنة التي لا تملك حولاً ولا قوة معهم. فهم لا يدركون ما تقاسيه من الآلام بصمت، ولا يدركون كيف تختنق تلك الأحلام والأشواق الفطريّة فيها كلما طال أمد الزواج وبعد أوانه. إن الواقع والحس والدراسات العلمية كلها يؤكد على الشاب والفتاة حين البلوغ، فإن الأجهزة الجنسيّة تأخذ في النشاط بقوة وحيوية، ولذلك تضغط عليهما بعنف وقسوة مهما لم تجد سبيلاً لإشباعها وامتلائها.

بل إن الفتاة بشكل خاص لا تكون رغبتها في الزواج لمجرد إرواء الغريزة الجنسيّة، بل الأكثر أهميّة هو رغبتها في الشعور بالاستقرار والاطمئنان، وهو رغبتها في الإحساس بأنها محبوبة من رجل، وهو رغبتها في تلبية غريزة الأمومة. فمنذ سن البلوغ، والهواجس تغزو أعماقها: متى سأتزوج؟ هل سأظل بلا زواج؟ إذا لم أتزوج ماذا سيقول عني الآخرون؟ إلى آخر قائمة الأسئلة المزعجة بالنسبة لها. فهل يتصور الأهل هذه المعاناة العنيفة الصامتة؟

أرسلت بعض الفتيات إلى أحد برامج الإرشاد الأسري، تقول فيها: « إن حاجتنا نحن الفتيات إلى الزواج ليسا بدافع مادي ولا بدافع من الغريزة الحيوانية، بل إن الزواج هو بالدرجة الأولى

مبعث استقرار واطمئنان روحي ونفسي بالنسبة لنا، ليس بإمكان أي شيء آخر ـحتى الدراسة الجامعية العلياـ أن يحل محل الزواج ويعوض عنه في تأمين مثل هذا الاستقرار النفسي للفتاة، كما أن كلام الناس ولاسيما الأقارب والأصدقاء وانتقاداتهم اللاذعة تجرح مشاعرنا وتؤذينا نحن الفتيات. صدقوني إن قلت بأني لا أحضر أي حفل زواج أُدعى إليه، لأن الناس يتعاملون معي بطريقة أشعر معها بالحقارة والإهانة ».[1]

وبسبب هذه العراقيل التي يضعها الأهل، بالإضافة إلى تجاهل الحكومات للقضية وخطورتها، فلا يهتمون بتنمية الشباب نفسيّاً وعقليّاً ومهارات وتوفير أسباب العمل لهم، لأول مرة في التاريخ البشري صار سن الزواج متأخراً جدّاً، بل صار العزاب طبقة جديدة ضمن طبقات المجتمعات! كما قال الدكتور فريدريك كهن: « لقد ازداد عدد العزاب إلى درجة أصبحت تؤلف فئة اجتماعية جديدة، وهذه الفئة تضم ملايين الرجال والنساء البالغين ».[2]

ولا شك أن هناك بعض الأهل العقلاء ممن يرغبون في تيسير الزواج، لكن تبقى قضية البطالة أو قلة الدخل الحادة، تحول وتقف بالمرصاد لكثير من الشباب في سن العشرين أو حتى الثلاثين، وعندما يقفون على أرجلهم بعد أن ادخروا نصيباً جيداً من المال، يكتشفون أنهم على أبواب الأربعين!

مرة قال الفيلسوف الألماني "عمانويل كانت" : « يوم أردت الزواج لم يكن في استطاعتي إعالة الزوجة، واليوم، بعد أن استطعت ذلك، صرت عاجزاً عن الزواج ».[3] أي في السابق كانت لديه رغبة في الزواج لكنه كان فقيراً، وبعد أن صار قادراً على إعالة زوجة وفتح بيت، وجد نفسه عاجزاً بسبب تقدمه في العمر!

---

1 . «العلاقات الزوجية: مشاكل وحلول». علي أكبر الحسيني/ صـ 15/ مؤسسة النور للمطبوعات، لبنان، ط 2/ 1424-2004.

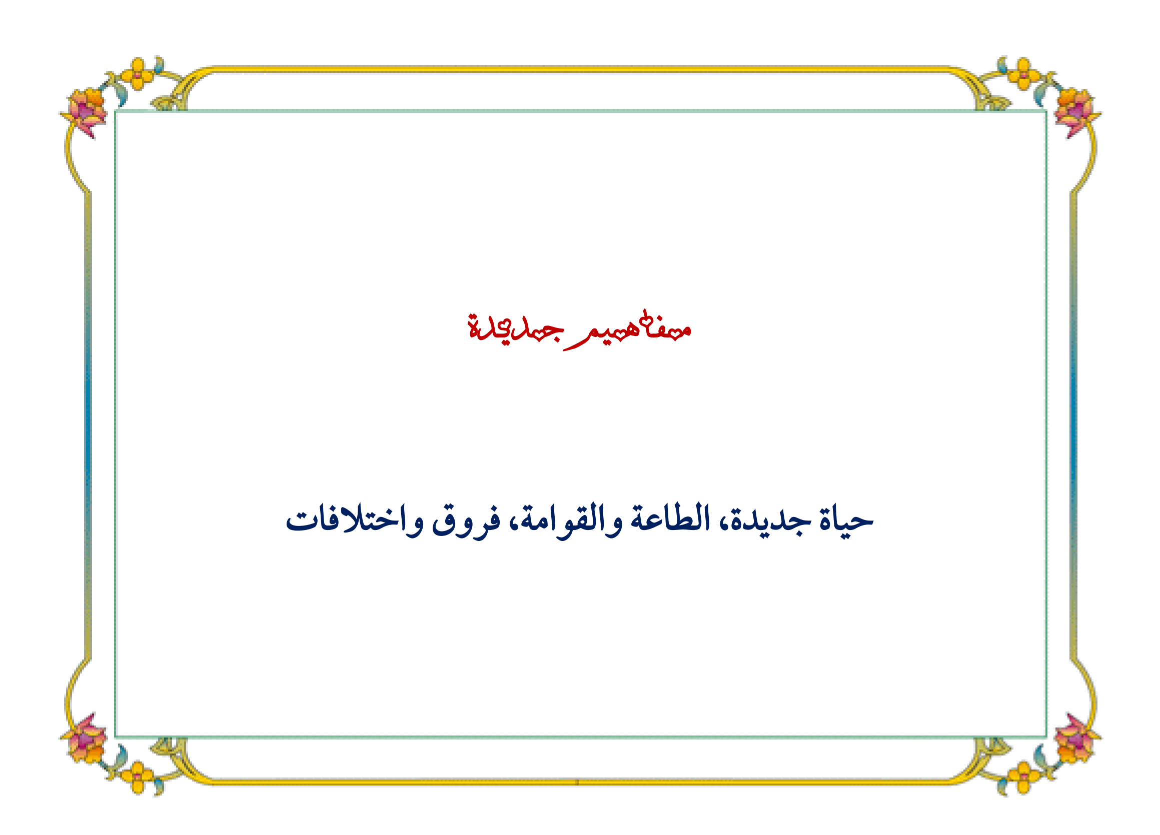
2 . « حياتنا الجنسية: مشاكلها وحلولها». فريدريك كهن/ صـ 331/ المكتب التجاري، ط 19/ 1402-1982.

3 . « حياتنا الجنسية: مشاكلها وحلولها». فريدريك كهن/ صـ 330.

نخلص من هذا البيان إلى القول: الزواج عقد من العقود، يُنشئه طرفا العلاقة الزوجيّة، لأجل تحصيل مجموعة من المنافع المتبادلة والمصالح الثنائيّة، لفسح المجال لغرائز راسخة وأشواق نبيلة. غايته لا تنتهي بحدود الأرض أو تقاليد الناس، بل ترتبط أولاً وآخراً بالمهمة التي خلق الله تعالى لها الإنسان، الرجل والمرأة: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.[1] وحريّ بالزوجين المسلمين أن يكونا على وعي واضح بهذه الحقيقة، لكي يتعاونا على تحقيق أهداف الزواج ومقاصده النبيلة، سواء من الناحية الدينيّة أم النفسيّة أم الاجتماعيّة.



1 . الذاريات/56



مفاهيم جديدة

حياة جديدة، الطاعة والقوامة، فروق واختلافات

حياة جديدة



الزواج نعمة:

الزواج نعمة جميلة، تُبارك العمر وتزكّيه، فيعيشه الزوجان بامتداد واسع وفي مجال رحيب. فلا جرم أنّ نقرر هنا بأنّ الزواج حياة جديدة وتجربة فريدة، لها مذاق خاص ومعنى متميّز، بأفكارها ومشاعرها، بأشواقها وأهدافها، بسلوكيّاتها وعلاقتها، وبتحدّياتها وعراقيلها.

وأعظم من هذا كلّه وأروع، أنّ العلاقة الزوجيّة ـفي التصور الإسلاميـ لا تنتهي بانتهاء الدنيا، بل تظل ممتدة لتشمل الآخرة بخلودها السرمدي. قال الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.[1]

يقول سيد قطب خلال كلامه على هذه الآية: « دخول الجنة نعيم وفوز، يضاف إليه صُحبة مَن صلح من الآباء والأزواج والذريات. وهي نعيم آخر مستقل. ثم هي مظهر من مظاهر الوحدة بين المؤمنين أجمعين. فعند عقدة الإيمان يلتقي الآباء والأبناء والأزواج، ولولا هذه العقدة لتقطّعت بينهم الأسباب ».[2]

وإنّه لإحساس رخيٌّ نديٌّ، أن يعرف الزوجان المسلمان أنّ علاقتهما الزوجيّة ـبكل ما فيها من عواطف ومواجيد، وبكل ما تتدفق به من مودة وحنان، وبكل ما تتسم به من نبل وقداسةـ ستظل خالدة بلا انقطاع ولا انتهاء في عالم الخلود الجميل. وبلا شك؛ فإنّ هذا الوعي وهذا الإحساس يحمل الطرفين على التعامل بأسلوب جدّي ومسؤول وراقي.

---

1 . غافر/8

2 . «في ظلال القرآن». سيد قطب /جـ 5 صـ 3071.

يقول الدكتور محمد العمراني: « إن الرابطة الزوجية المسماة في القرآن الكريم بالميثاق الغليظ، والمبنية أساساً على المودة والرحمة والسكن بين الزوجين، والمبغوض إلى الله السعي في تقويضها وانفصامها، لجدير بكل مسلم الحفاظ عليها، وتمتين روابطها، وتقوية أواصرها، وتجاوز كل ما يهدد كيانها، وتحصينها من الفيروسات الفتّاكة التي قد تنشأ داخلها ».[1]

من المفيد ـإذنـ أن تفكر طويلاً في هذه المرحلة الجديدة التي تنوي دخولها: كيف يمكنك أن تحقق مع شريك حياتك أهدافكما المنشودة، من سعادة واستقرار وسكينة وانسجام؟ كيف يمكنك أن تتعاون معه لمواجهة مختلف الضغوط والتحديّات التّي قد تحوّل حياتكما إلى بؤس ومأساة؟ كيف يمكنكما أن يكون البيت مجالاً صالحاً لنمو أطفال أسوياء؟

هذا التفكير وطرح مثل هذه الأسئلة يبدو طبيعيّاً في إطار حياتنا الدنيوية اليومية، أليس عندما تقرّر شراء جهاز جديد، فإنّك تتريّث قليلاً قبل عملية الشراء، لتسأل الخبراء وذوي التجربة، محاولاً جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عنه، ليكون ذلك الجهاز في مستوى طموحاتك ويشبع فيك نزعة الإتقان والجمال؟

إذا كان الجواب: نعم، إذن لماذا لا تتعامل مع الزواج بمثل هذا المبدأ، فتعتبره حياة جديدة، وتحرص على جمع أكبر قدر من المعلومات الصحيحة عنه، سواء من الناحية الشرعيّة أم الثقافيّة، وتفكر في أمثل الطرق التي تحقق الأهداف المنشودة في إطار التعاون مع الشريك الذي اخترته لهذه الرحلة الطويلة، والتي كما قلنا أنها تبتدئ هنا في الدنيا ثم تستمر في عالم الجنة؟!

وإن كان الجواب: لا، فدعني أصارحك بأنّني أعتقد ـوهذا شيء مؤسف للغاية!ـ أنّه ينبغي عليك أن تعيد النظر في عقلك، فلا شك أنّه مصاب بخلل ما! إذ في الفطرة الإنسانيّة ميل قوي

---

1 . «فقه الأسرة المسلمة في المهاجَر». د، محمد العمراني/ جـ 2 صـ 112/ دار الكتب العلمية/2001،1422.

وعميق نحو السعادة والارتياح والاستقرار والإحساس بجمال الحياة، ولا يوجد إنسان سَوِي النفس يرفض أن يعيش علاقة زوجيّة هنيّة نديّة!

إنّه لا خيار لك، سوى خيارين اثنين: إمّا أن تعيش علاقتك الزوجيّة بمنهج الدين وقواعد الحياة وجماليات الحب، وبهذا من المؤكد أنّك ستسعد سعادة رائعة جدّاً. وإمّا أن تقتفي نهج البؤساء التعساء كما تراهم في الواقع من حولك، وإذن لن تحصد من الزواج إلا حصادهم المر: كثرة الخلافات والصراعات، وإحساس بخواء عنيف!

بل أقول بأنّ من الواجب على الزوج والزوجة أن يشكرا هذه النعمة العظيمة، إذ يسر الله تعالى بفضله وقدرته لقاءهما والارتباط بينهما، فهناك آلاف من الشباب والفتيات يتمنون الزواج ولكنهم لا يجدون إليه سبيلاً، وهناك آلاف من الشباب والفتيات لا يتذوقون لذة الجماع إلا في الحرام وبالمال الحرام. فإذ كان الأمر كذلك، فإنّ من الشكر لله تعالى أن يحرص الطرفان على الحفاظ على هذه النعمة ويُقدّراها للغاية. وقد قال رب العزة والجلال: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾.[1] أي قد أعلن الله ووعد أنّ مَن شكر نعمه عليه أن يزيده ويبارك له فيها.

❁❁❁

الأفكار أولاً:

تقول الحكمة: « إذا أردت أن تحصل على نتيجة مختلفة، يجب عليك أن تسلك طريقة مختلفة ». تنزيل هذا المبدأ على موضوعنا هو: مَن ينفر من أن يكون زواجه مثل زواج البؤساء التعساء، فلا شك أنّ أول ما ينبغي عليه لتفادي ذلك، هو تغيير منظومة تصوراته وطريقة تفكيره ونظرته للعلاقة الزوجيّة وكيف ينبغي أن تكون.

---

1 . إبراهيم/7

وإنما نشدد على تغيير الأفكار أولاً حول العلاقة الزوجيّة، وطبيعتها ودورها وغايتها، لأنّ أفكار الإنسان هي محركه، وهي الإطار الذي يتفاعل داخله مع الآخرين الذين يرتبط بهم بعلاقة معيّنة. فكما تكون هذه الأفكار من حيث النضج والوعي والاستقامة، أو التخلف والسذاجة والانحراف، تكون ـولابدـ أفعال الإنسان وتصرفاته!

وكذلك نشدد على الأفكار أولاً، لأنّ كثيرين يستقبلون زواجهم بأفكار سلبيّة مترسخة في عقولهم، تصور لهم العلاقة الزوجيّة على أنها ساحة حرب، إما النصر أو الهزيمة! كما أن بعضهم يدخل العلاقة الزوجيّة وهو أسير أوهام شاردة، تُصوّر له أن دغدغة المشاعر الرقيقة كافية لتحقيق السعادة الزوجيّة! وسواء هؤلاء وهؤلاء في الخطأ وسوء الفهم!

بخصوص التوكيد على أهميّة الأفكار، يقول ستيف. آر. كوفي: « أحد المبادئ التّي كان لها أعمق الأثر في حياتي هو: إذا أردت تحقيق أقصى طموحاتك، وتجاوز أكبر التحديات التّي تواجهك، حدّد المبادئ أو القوانين الطبيعيّة التّي تحكم الأهداف التّي تسعى وراءها، واعمل على تطبيقها ».[1] وفي الحقيقة، فإنّ هذا المنهج هو منهج كل الناجحين في حياتهم.

بل لعل في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾.[2] إشارة إلى أهميّة وأصالة الأفكار أولاً، وأنّ بين الأفكار والتصورات، وبين السلوك التطبيقي والعملي علاقة وثيقة، عنها وفي إطارها يتشكّل واقع الإنسان وشخصيته وعلاقاته وأحلامه.

إنّ الفعل التطبيقي والشعور النفسي لا يمكن الفصل بينهما، بل بينهما علاقة تأثر وتأثير، سواء كان التطبيق سلبيّاً أم إيجابيّاً، وسواء كان الشعور سلبيّاً أم إيجابيّاً. ولهذا ينصح علماء النفس بأنّك إذا أردت اكتساب مهارة وخبرة جديدة ينبغي أن تخوضها شعوراً وسلوكاً في آن واحد.

---

1 . «العادات السبع للناس الأكثر فعالية». ستيف آر كوفي. صـ 13.

2 . الرعد/11

يقول الدكتور مصطفى حجازي: « يتطلّب نجاح الحياة الزوجيّة توافقاً على عادات وإجراءات حياتية مشتركة، وعلى إيجاد قواسم مشتركة لنظم التوقعات الذاتية لكلٍّ من الزوجين.. ومن الضروري أن لا تظل هذه التوقعات ضمنية تطمسها فورة الحماس الرومانسي لشهر العسل وتساهلاته وتنازلاته المعروفة ».[1]

بل إنّ هذا الالتزام العملي ليس فقط لأنّه دليل شكر نعمة الزواج، بل أيضاً لأنّ هذه الممارسة العمليّة هي وحدها الكفيلة بإثراء العلاقة الزوجيّة، وتحقيق السعادة فيها بشكل ملموس، والإحساس بأنّها فعلاً حياة جديدة. وهذا ما يحقق الأهداف والمقاصد الكبرى للزواج.

ما من شك في أنّ هناك فرقاً شاسع جدّاً بين أن يدخل الزوجان الزواج وتصوّرهما يوحي على أنّه ساحة حرب ضروس، فتكون الفكرة المسيطرة عليهما هي كيف أنتصر على الآخر؟! كيف أرغمه على احترامي وتقدير شخصيّتي؟! والحقيقة أن هذه الفكرة كامنة في عقول كثيرين جدّاً!!

وبين أن يدخلاه وتصوّرهما لهذه العلاقة يوحي على أنّها حياة جديدة، ترتقي فيها الروح مرفرفة متساميّة. فتكون الفكرة المسيطرة عليهما هي كيف أتعاون مع شريكي لتحقيق السعادة وجلب الاستقرار لعلاقتنا الثنائيّة؟! كيف يمكنني وشريكي أن ننشئ أطفالاً أسوياء؟!

إنّ من أهداف إخبار الإسلام بأنّ العلاقة الزوجيّة ستظل مستمرة في عالم الخلود، تنبيه الزوجين على ضرورة أن يعيشا هذه العلاقة على أنّها حياة و تجربة راقية، تعكس البُعد الأبدي في علاقتهما: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾.[2]

❁❁❁

ضرورة المبادرة:

---

1 . «الأسرة وصحتها النفسية». د، مصطفى حجازي/ صـ 84/ المركز الثقافي العربي. 2015. بتصرف يسير.

2 . الرعد/23

كثير من الشركاء تمضي حياتهم رتيبة، كئيبة! ومع إقرارهم بسلبيّة هذا الوضع حتّى بعد مضي سنوات طويلة من تاريخ زواجهم، إلا أنّهم يرفضون أن يغيّروا حياتهم، وشكلها ومسارها، أو أي شيء فيها! والجواب الحاضر بطبيعة الحال هو: لا فائدة، لقد فات الأوان!

لقد عرفت بعض هؤلاء.. يرفضون اتخاذ أية مبادرة، ويرفضون القيام بأدنى تغيير في التعامل فيما بينهم. يكفي أن أذكر قصة سيدة مضى على زواجها سنوات طويلة، لكن بحرمان ومعاناة! اقترحت عليها خطة التغيير، رفضت بشدة، والسبب: لا أستطيع، لقد فات الأوان!

المشكلة العويصة بين الأزواج التعساء، هي أن كل طرف ينتظر مبادرة الآخر، والآخر ينتظر مبادرة الآخر، وهكذا يظل كل طرف ينتظر مبادرة الطرف الآخر، غير أنهم خلال الانتظار يتجرّعون المأساة ببطء، ويموت بينهما كل شيء جميل أو عاطفة نبيلة!

في هذا المعنى، يقول ستيفن كوفي: « الناس الذين يتمتعون بالمبادرة السريعة يدركون تماماً معنى تحمّل المسؤوليّة ولا يعلقون سلوكيّاتهم على الظروف أو الأحوال، لأنّهم يعون تماماً أنّ سلوكيّاتهم هي نتاج لاختيارهم الواعي المبني على أساس من القيم وليست وليدة الظروف التّي يمرّون بها والمبنيّة على المشاعر ».[1]

إنّنا لا نحتاج لتأمل طويل لكي ندرك أنّ رفض المبادرة نابع من خشية أن يفسر الآخر مبادرة شريكه بأنّه لحوح ومزعج، وبأنّه بارد الإحساس، كما أنها الأنفة من الإحساس بالمهانة وعدم القيمة والكرامة الشخصيّة، ولذلك دائماً يقول: ولماذا لا يبادر هو/هي؟

لكن الحقيقة هي أنّ المبادِر للإصلاح وللإنقاذ ولمحاولة استئناف يوميات ثنائيّة جميلة ورائعة، ليس عديم الإحساس وليس مزعجاً، كما أنّه ليس قليل الكرامة الشخصيّة، بل من الجدير أن نقرّر أنه شخص ذكي جدّاً ورائع جدّاً، لأنه حريص على تحمل مسؤولياته والقيام بدوره كما ينبغي.

---

1 . «العادات السبع للناس الأكثر فعّاليّة». صـ 88.

وأيضاً هناك شيء آخر لا يقل فعّالية في التشويش على الحياة الجديدة أو المرحلة الجديدة، وهو تمسك الزوجين أو أحدهما بالتعامل بنفس أسلوب مرحلة سابقة. كمن يريد استصحاب كل تصوراته وقناعاته وتصرفات في مرحلة العزوبة. أو كمن يريد عيش شهر عسل دائم على حساب اللحظة الراهنة والواقع القائم والظروف المتغيّرة!

يقول الدكتور مصطفى حجازي: « ينشأ التناقض وتصدع الأسرة إذا تمسك أحد الزجين بمكانته ودوره وإشباع رغباته التي تمتُّ إلى مراحل سابقة: إصرار الزوجة مثلاً على التمسك باستمرار دور العروسة مركز الاهتمام على حساب جهود الأمومة والتنشئة، والتضحية لبناء المكانة الاقتصادي والاجتماعية. وهنا تبرز الصراعات والتناقضات التي تُهدد تماسك الأسرة ».[1]

وبسبب هذه النظرة القاصرة، لا يفهم الزوجان _أو أحدهما_ أنّ عليهما أن يدركا أنهما الآن داخل نطاق مرحلة جديدة، وأنّ هذه المرحلة تقتضي منهما أن يحرصا وأن يتعاونا على تحقيق أقصى درجات التكيّف مع ظروفها وواقعها ومختلف المؤثرات فيها. والحقيقة أنّ النجاح الفعّال في مختلف مناحي الحياة لا يمكن أن يتحقق بدون عنصر التكيّف مع الظروف والمتغيرات، وبدون المرونة في التعامل والتعاطي مع المؤثرات المختلفة. والزواج جزء من الحياة!

إنه من الواجب على الزوجين أن يتذكرا دائماً بأنّ هناك فروقاً واختلافات بينهما، تكوّن وتشكّل كثير منها خلال مسيرة حياة ما قبل الزواج، وهذا ما يؤدي بالضرورة إلى اختلاف في الميول والآراء والرغبات. « ومن هنا يحتاج كلٌّ منهما إلى أن يبذل جهداً غير قليل، بل غير موقوت في سبيل التكيف الزوجي، أي في سبيل أن يقارب بين ذاته وبين شريك حياته فكريّاً ووجدانيّاً، كما يقارب بينه وبينه جسديّاً وحسيّاً حتى يتأدّى بهما هذا التكيف الذي يسعيان إليه

[1] . «الأسرة وصحتها النفسية». صـ 53.

إلى نوعٍ من التوافق يسيران ــبعدُــ على مناهجه، ويعيشان في بَحَابِحِه، ويعالجان ما يطرأ بينهما من مشاكل في ظل حياطته وضوء هدايته ».[1]

ومع الإحجام عن المبادرة والفعل، والإحجام عن تغيير مجموعة من التصورات وأدوار سابقة، ماذا يحدث؟ الذي يحدث هو أن كل طرف يتأكد في ذهنه ذلك السيل من الاتهامات تجاه الآخر: كنت واثقاً من استحالة التوافق بيننا! كنت متأكداً من أنه شخص غير مناسب! كنت متيقناً من ذلك الحب الذي جمع بيننا يوماً قد مات!

وهكذا يظل يؤكد في نفسه أوهاماً وخيالات يظنها حقائق لا شك فيها!

هناك قصص كثيرة، التّي تبرهن على أنّه ﷺ بالرغم من تقدم عمره الشريف وتعدّد مسؤوليّاته الجسام، إلاّ أنّه كان حريصاً على استثمار الفرص والمناسبات لصالح مزيد من النجاح والسعادة ومزيد من الاستقرار لحياته الزوجيّة. فقد كان ﷺ حريصاً على أن تظل ذكراه جميلة في قلوب زوجاته ــرضي الله عنهن ــ. لقد أدّبه ربُّه فأحسن تأديبه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.[2]

تحكي السيّدة عائشة ــرضي الله عنهاــ أنّ النبي ﷺ طلب منها مرّة التسابق جرياً.[3] كما أنه عليه الصلاة والسلام كان يستحم معها أحياناً ويتبادلان الملاطفة والمداعبة أثناء ذلك.[4] وتحكي السيّدة صفيّة ــرضي الله عنهاــ أنّ النبي ﷺ مرّة وضع فخده الشريفة لكي تركب بَعِيرَها (فتح باب السيارة في عصرنا)، وهو تعبير شديد الإيحاء وعميق الدلالة بالنسبة للأنثى.

وبعد: إنّنا لا نقصد بالحياة الجديدة، أن يطلق الزوجان العنان للخيال الجامح والتوقعات المغرقة في المثاليّة، بل إنّنا نشدد على أن يكون الزوجان واقعيين جدّاً في توقعاتهما وأحلامهما، مع

---

1 . «منهج السنة في الزواج». صـ 386.

2 . القلم/4

3 . «رواه ابن حبان».

4 . «رواه مسلم».

الحرص الشديد على عيش علاقة زوجية جميلة ورائعة. ذلك لأنّ الإنسان هو الإنسان، سمته هي النقص والمحدوديّة والخطأ. ولا شك أنّ كل هذا يؤثر فيه وفي طبيعة علاقته بشريك حياته.

ومن المؤسف أن بعض الملتزمين يسمحون للأحلام والأوهام أن تشتط بهم بعيداً عن واقع الحقيقة كما ينبغي أن يتعاملوا معها. فالشاب يتصور أنه بمجرد الزواج بملتزمة فإن حياته معها ستكون في منتهى الروعة والمثالية، والفتاة الملتزمة تتصور أنها بمجرد الزواج بملتزم فإن حياتها معه ستكون في قمة السعادة والجمال، فلا مشاكل ولا خلافات ولا نزاعات!

وهذا خطأ ووهم، فالرسول ﷺ والصحابة ﵃ رغم قمة نضج العقل والوعي بمعاني الحياة ولزوم سبيل الاستقامة، إلا أنهم كانت تحدث بينهم وبين زوجاتهم مشاكل كبيرة وخلافات حادّة، حتى إن رسول الله ﷺ كانت تهجره الزوجة من زوجاته اليوم كله، وحتى إنه عليه الصلاة والسلام مرة من شدة غضبه هجرهن جميعاً شهراً كاملاً لمطالبتهن الزيادة في المصاريف!

ولهذا أقول دائماً: ليست روعة العلاقة الزوجيّة أن تتحقق أحلامنا وتوقعاتنا مع شريك الحياة دفعة واحدة، بل الروعة الفائقة هي أن نحرص في كل لحظة ونبذل المجهود الكبير بشكل متواصل، لكي نتذوق في كل محطة من محطات العلاقة الزوجيّة حلاوة النجاح، ومتعة السعادة، وروعة تحقق الحلم الذي طالما داعب أعماقنا ونحن نفكر في شريك الحياة المناسب.

إذن ليكن التعامل مع شريك العمر بواقعيّة مشبوبة بمثاليّة، بتوقعات كبيرة ممزوجة بتقدير واسع لضعفه، فميثاق الزواج قبل أن يكون عقداً شرعيّاً وإداريّاً، هو ميثاق روحين تعاهدا على أن يعيشاه اتحاداً قويّاً وتعاوناً متماسكاً، وهو اتفاق روحين على أن يعيشاه حياة مفعمة بالمودة والرحمة، بالعطاء والتسامح، بالتّضحيّة والوفاء.

عليك أن تتذكر أنّك حين تحرص على أن تكون شريكاً رائعاً، فإنّك في الحقيقة لا تسعى لتحقيق أهداف شخص آخر، أو جلب السعادة والهناء لشخص آخر، بل هي أهدافك أنت، وهي سعادتك أنت، إذ بقدر ما تعطي ستأخذ.



القوامة والطاعة



التباس الفكرة:

من مبادئ المنهج الإسلامي المتعلّقة بالأسرة، أنّ قوامة الأسرة وقيادتها تقع مسؤوليتها على عاتق للزوج. قال الحق تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾.[1] قال السعدي: « أي: قوامون عليهن بإلزامهن بحقوق الله تعالى، من المحافظة على فرائضه وكفهن عن المفاسد، والرجال عليهم أن يلزموهن بذلك، وقوامون عليهن أيضاً بالإنفاق عليهن، والكسوة والمسكن ».[2]

هذا المبدأ الإسلامي صار في عقول كثير من النّاس ضبابيّاً جدّاً ومُلْتبساً للغاية، بفعل ظروف معيّنة وأسباب مختلفة، كالتقاليد والعادات، والإعلام وبرامجه، والأفلام والمسلسلات، والشعارات العلمانية الفضفاضة! والواقع يؤكد على أنّ هذه الضبابيّة وهذا الالتباس من أعظم أسباب الشقاق ونشوب الصراعات بين كثير من الأزواج البؤساء في عصرنا الحاضر!

من المهم أن ندرك ـقبل الخوض في الموضوعـ حقيقة مهمة، وهي أنّ المخلوقات بمختلف أشكالها ومراتبها لابد لها من قيادة تحتكم إليها، ومركز تدور حوله، إذ هذه الوحدة في القيادة والمركز هي التي توحّد طاقات الأتباع للبقاء والنماء والتصدي للأعداء.

بل نجد القرآن الكريم يقرّر أن الوجود لابد له من إله واحد، قال الحق ﷻ: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾.[3] أي لو كان هناك آلهة متعددة، لدخل الفساد على الوجود، لأنّ كل إله سيحرص على أن تكون إرادته هي الظاهرة في تصاريف الكون والتشريع والأقدار!

---

1 . النساء/34

2 . «تفسير السعدي». جـ 1 صـ 302/ دار ابن الجوزي، ط 1/ 1422.

3 . الأنبياء/22

والحقيقة الثانية التي لا ينبغي إغفالها في هذا السياق أيضاً، هي أنّ القيادة العليا في مختلف المؤسسات والمكونات لا تعني أفضليّة القائد على العاملين، بل تعني فقط الأهليّة بسبب استعدادات شخصية أو مؤهلات الخبرة والكفاءة.. إلخ.

في تصوّري فإنّ هاتين الحقيقتين ينبغي تذكرهما جيّداً حين نناقش مسألة القوامة والطاعة. لأنّه إذا كانت كل المؤسسات الإنسانيّة تقتضي قائداً أعلى، له حق القوامة على الجميع، فهل يمكن أن يقول مَن يريد الخير لمجتمعه أنّ الأسرة يجب أن تخرج عن قاعدة الحياة ودستور الفطرة؟!

مبدأ القوامة ـ إذن ـ ليس خاصاً بالرجل والمرأة، بل هو مبدأ عام وشمولي. ومن ثم، لا يمكن تجاوزه ومحاولة إلغائه من العلاقة الزوجيّة، لوثاقة صلته بطبيعة الفطرة في الرجل والمرأة، وطبيعة دور كل واحد منهما في الحياة. وإلغاؤه له هذه النتائج الفظيعة المشاهدة في واقعنا الحاضر!

كما أنّ هذا المبدأ ليس قضية تفضيل، لمجرد كون الرجل رجلاً، فمعيار التفضيل في الإسلام هو التقوى كما قرّر ذلك الله سبحانه: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.[1] فامرأة مؤمنة تقية نقية خير وأفضل عند الله تعالى من ملايين الرجال العصاة والكافرين.

ولك بعبرة بأنظمة الدول، فالقول بأن وزارة الدفاع أقدر على تدبير شؤون الدفاع ضد الأعداء والطامعين، عكس الوزارات الأخرى، لا يعني التقليل من شأن تلك الوزارات، بل هو فقط وضع للأمور مواضعها اللائقة بها وكيف ينبغي أن تكون.

وإذا كان لا يصح في منطق عقل ولا في ميزان أخلاق ولا في عُرف مجتمع، أن نطالب الرجل بالبقاء في البيت للتنظيف والطهي ورعاية الأطفال، وفي المقابل نطالب الزوجة بالخروج للعمل وتوفير نفقات ومصروفات الشهر المختلفة، إذا كان هذا لا يصح، لأنه قلب للحقائق

---

1 . الحجرات/13

وعكس للموازين، فكيف تصح المطالبة بحرمان الرجل من حق القوامة على الزوجة والأبناء، علماً أننا نوجب عليه أن يوفر لهم الأمن المادي والمعنوي؟!

ولكن عقول التافهين والتافهات تستطيع استساغة وتقبل كل التناقضات!

❁❁❁

مبررات القوامة:

نبّه الله تعالى على سبب قوامة الرجل على المرأة، فقال: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾.[1] وهذه الآية يجب فهمها في إطار الرؤية الإسلامية للإنسان ودوره في الحياة، وطبيعة هذه الرؤية للعلاقة الزوجيّة وأهدافها وغاياتها.

قال الشيخ الإمام الطاهر بن عاشور: « قيام الرجال على النساء هو قيام الحفظ والدفاع، وقيام الاكتساب والإنتاج المالي.. فالتفضيل هو المزايا الجبلّية التي تقتضي حاجة المرأة إلى الرجل في الذبّ عنها وحراستها لبقاء ذاتها... وقوله (وبما أنفقوا) جيء بصيغة الماضي للإيماء إلى أنّ ذلك أمر قد تقرّر في المجتمعات الإنسانية منذ القدم، فالرجال هم العائلون لنساء العائلة من أزواج وبنات. وأضيفت الأموال إلى ضمير الرجال لأنّ الاكتساب من شأن الرجال ».[2]

يمكننا أن نفهم ـإذنـ بأنّ أحقيّة القوامة للرجل على المرأة نابعة من واجبين اثنين: (الأول) **واجب توفير النفقة**. و(الثاني) **واجب توفير الحماية**. وهما واجبان مرتبطان بطبيعة الرجل واختلافها عن طبيعة المرأة، جسدياً ونفسيّاً. فالله تعالى خلق الرجل والمرأة بشكل مختلف لأداء أدوار مختلفة في الحياة، لكن في إطار التكامل والتعاون والمشاركة الإيجابية. ولهذا ناسب جدّاً ـشرعاً وعقلاً وعُرفاًـ أن تكون القيادة الأسريّة بيد الرجل.

---

1 . النساء/34

2 . «التحرير و التنوير». الطاهر بن عاشور/ جـ 5 صـ 38/ الدار التونسية للنشر، 1984، بتصرف يسير.

ولا شك أنّ مَن أعطى هذه المسألة حقها من التأمل والنظر الصحيح بعيداً عن الأفكار الشائعة والتصورات المغلوطة والواقع الضاغط والإعلام العلماني الخبيث، لا شك أنّه سيجد بأن الأمر لا يصح في بديهة العقل ومبادئ الأخلاق ودستور الحكمة سوى أن يكون كذلك. إنّ الأمر في حقيقته يتعلّق بمبدأ (الحق والواجب). فالرجل واجب عليه توفير النفقة والحماية للزوجة، وفي المقابل أُعطي حق القوامة عليها.

وقد يحتج بعض الناس بأن المرأة اليوم تخرج للعمل والتجارة فتحصل على دخل ثابت، وتتوظف فتحصل على مرتب شهري قار، وبالتالي فالأمر لم يعد كما كان في السابق، وبهذا سقطت دعامة قوامة الرجل على المرأة. لكنا نقول: هل هذا هو الوضع الصحيح في قانون الفطرة والحياة؟ أم أنه وضع شاذ ونشاز بالنسبة للفطرة والحياة والأنوثة ثلاثتها معاً؟

من المؤكد أنّ كل امرأة سليمة الفطرة وناضجة العقل تُدرك أنه أمر غير منسجم مع أنوثتها ولا مع فطرة الحياة الطبيعيّة، اللهم إلا مَن امتلأت رأسها بأوهام (إثبات الذات) فهي تلهث بلا توقف، رغم المأساة التي تمزّق أنوثتها بصمت! كما أنّ كل رجل أبيّ النفس شامخ الرجولة يرفض ـإلا لظروف قاهرة لا يقاس عليهاـ أن تخرج زوجته للعمل وتزاحم الرجال.

إذن يمكننا تلخيص القول في قضية قوامة الزوج على الزوجة، وطاعة الزوجة لزوجها، بأنّها مبدأ يستمد قيمته وضرورته من أربع حقائق:

❖ **(تشريع ربّاني)**.. لأنّ الله تعالى هو الذي أمر بهذا الحكم وشرّعه في دينه الخالد. ولا شك أنّ كل أحكام الإسلام يتقبّلها المسلم برضا جميل وطمأنينة مقتنعة، لأنّه يدرك أنّ الله تعالى أعلم بما خلق، وبالتّالي فهو لا يشرّع إلاّ ما فيه مصلحة وخير ومنفعة للإنسان في الدنيا والآخرة.

❖ **(واجب فطري)..** لأنّ فطرة الأنوثة في المرأة تتطلّب هذه القوامة، وفطرة الرجولة في الرجل تتطلّب هذه الطاعة. وكما أنّ المرأة لا يمكنها أن تشعر بالأمن والأمان إلا في ظلال رجولة رجل، فإنّ الرجل لا يمكنه أن يشعر بالقيمة والتقدير إلا بالقوامة على المرأة.

❖ **(موانع شخصيّة)..** لأنّ خاصيّة شخصيّة المرأة هي (العاطفة المتدفقة والانفعال السريع) علاوة على الطوارئ الأخرى (الحيض، الحمل، النفاس). وهذه لا تناسب القيادة التّي تستلزم مجموعة من المواصفات، كالحزم والصرامة، التحدي والمواجهة، حساب الربح والخسارة.

❖ **(حتميّة واقعيّة)..** لأنّ واقع الحياة اليومي يؤكد هذه الحقيقة ويتطلّبها. فالمرأة لا تستطيع ـبحكم شخصيّتها الأنثويّة الرقيقةـ أن تحتك وتتفاعل مع ضغوط الواقع وتقلّباته وملابساته. بعكس الرجل المهيّأ لكل هذا، جسديّاً وعقليّاً وعاطفيّاً، ولا عبرة بالحالات الشاذة والنادرة.

وقد يحتج بعض الفارغين والفارغات بوجود نساء يضرب بهن المثل في القيادة والتدبير، بل قد ضرب الله تعالى لنا مثلاً بملكة سبأ الحكيمة، كما هو ملحوظ في قصتها في سورة سبأ، ابتداءً من الآية 20 إلى الآية 44. ونحن نقرّ بهذا ولا ننكره، غير أنّ السؤال الملح في هذا السياق هو: هل هذه قاعدة عامة في تاريخ البشريّة أم هي حالات نادرة وشاذة؟

ولك عبرة بالدول المتقدمة ماديّاً في عصرنا الحاضر، فرغم التقدم الكبير في مسار العلمانية والحداثة والشعارات الخلاّبة، إلا أنّ النساء لا زلن ـباعتراف تقارير هذه الدول نفسهاـ يعانين من الإقصاء والتهميش وعدم المساواة مع الرجل، سواء من حيث المرتب الشهري أم من حيث احتلال مراكز الإدارة! وهذا شيء معروف سوى عند العلمانيين والعلمانيات العرب!

إنّ من المهم للغاية أنّ نعي جيّداً أنّ المنهج الإسلامي عندما شرّع شرائعه ورسم أحكامه فقد فعل ذلك بما يناسب الفطرة السليمة والأوضاع الصحيحة في الحياة، واعتبر فطرة الرجل والمرأة

على السواء، ومن هنا فهو لا يعنيه في شيء أبداً تحريف الإنسان لفطرته وإفساد أوضاع حياته، ثم كيل التهم له بالعجز والقصور، ومطالبته بمسايرة هذا الانحراف والعبث والمجون!

و ليت شعري ماذا جنت المرأة في الغرب بخروجها من بيتها؟! لقد أدركت المرأة في الحضارة الغربيّة، أنّ المنهج الذي اتّبعته في التّعامل مع الزوج: منهج النديّة، المساواة والمغالبة، لم تحصد منه إلا الشقاء والبؤس والحرمان! ومن هنا بدأنا نسمع ونقرأ لبعض الغربيات دعوة بنات جنسهن للعودة إلى الفطرة وإلى الأنوثة في التّعامل مع الزوج، لتحقيق حياة زوجية مستقرة ومريحة!

والذين يخدعون بمظاهر المرأة الغربيّة وإنجازاتها، عليهم أن يرفعوا الأستار الحاجبة ليروا ماذا يجري هناك وراء أسوار البيت، وكيف أنّها تبذل مجهوداً خارقاً لإخفاء معاناتها الحقيقيّة، ولكن المسكينة لا تجد مفرّاً منها، وهي حقيقة يدركها كل من يعيش في الغرب بعين بصيرة. يكفي أن نفتح كتاب (النساء والحب)، لنُصدم باعترافات عشقيات وزوجات في غاية البؤس والإحباط والتذمر. وهذا ما صرّحت به المؤلفة، فقالت:

« إن الإرهاق العاطفي والحط من قيمة النساء رائجة جدّاً في مجتمعنا، وكذلك في علاقات غرامية كثيرة لدرجة قد تجعل المرأة عرضة لملاحظات قاسية في كل وقت... ومهما يكن وعي المرأة وقوة شخصيتها، فمن المؤكد أن مجابهة هذه الأفكار النمطية الثابتة تقوض إرادتها ببطء، فيصبح احترام نفسها شيئاً ينبغي أن تدافع عنه يومياً خطوة خطوة في معركة قاسية لا نهاية لها ».[1]

هذا مجرد جانب صغير جدّاً عن واقع المرأة الغربيّة!

***

معالم وضوابط:

---

1 . «النساء والحب». شير هايت/ صـ 59/ دار مدى، سوريا/ ط 2/ 2008. بتصرف يسير. والكتاب عبارة عن محاورات واعترافات لـ 4500 امرأة غربيّة من مختلف الطبقات الاجتماعيّة، يكشفن فيه معاناتهن المؤلمة مع الرجل!

عندما نتحدث عن القوامة والطاعة؛ فنحن نتحدث عن الحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوجين. ولأن هذه الحقوق والواجبات ليست مفتوحة دون حدود ولا مطلقة بلا قيود، وجب على الزوجين معاً أن يكون لهما وعي واضح وفهم صحيح بحدود ومعالم وضوابط ومبادئ هذه القوامة والطاعة التي تربطهما ببعض.

وإنما أشير إلى هذا المعنى؛ لأنه ما من شك في أن طبيعة فهم الزوجين لمعنى الطاعة والقوامة كما أنّ له تأثيرات كبيرة وطويلة المدى على حياتهما وعلاقتهما الثنائيّة، فكذلك له تأثيرات عميقة وطويلة المدى على مسار الأسرة ونشأة الأطفال! وبهذا تتجلّى لنا أهميّة الفهم الصحيح بالإطار الذي ينبغي أن تسير فيه ثنائيّة القوامة والطاعة، فهو السبيل الوحيد للاستقرار والانسجام.

إن الزوجين الناضجين يفهمان أن القوامة ليست سيطرة وطغياناً من طرف الرجل، كما أنّها ليست أوامر يجب تنفيذها دون نقاش من طرف الزوجة، بل هي حب ودفء، وهي رحمة ورعاية، وهي تعاون ومشاركة، تنطلق من وعي الطرفين بحقيقة وأبعاد ارتباطهما المقدس ودورهما في الحياة. هذا الوعي الناضج كفيل بتحقيق أهداف العلاقة الزوجيّة المنشودة.

إذن يمكننا أن نحصر قواعد القوامة الناجحة في التالي:

1. القدرة على التنسيق بين الفروق الطبيعيّة بين شخصيّتك وشخصية زوجتك من جهة، والأهداف الكبرى المنشودة من جهة ثانيّة. وهذا يُحتّم تجاوز أساليب النّاس في التّعامل مع الزوجة إلى أساليب تعكس النضج والفهم والحكمة.

2. القدرة على حلّ المشاكل والتحديّات الثنائيّة، والسيطرة عليها، بل واستغلالها لصالح الاستقرار والسعادة الثنائيّة بينك وبين زوجتك. فالزوجة ليست آلة صماء، بل هي إنسان لها مشاعر وأشواق وأفكار، تسعى بفطرتها لتطبيقها في واقع علاقتها الزوجيّة والأسريّة.

3. القدرة على التأثير الإيجابي في الزوجة وتحفيزها على التطوير المستمر لمهاراتها في الاتجاه الذي يحقق أهداف الزواج المختلفة. وهذا يكون عبر تحسيسها بسمو شخصيّتك، كما يكون عبر تحسيسها بقيمتها الكبيرة عندك، وكذلك عبر تقديم الدعم والمكافآت لها.

4. القدرة على زرع بذور الثقة الكاملة بينك وبين زوجتك. إذن بدون وجود هذه الثقة، فالزواج محكوم عليه بالفشل عاجلاً أو آجلاً. وهذا يكون بمراعاة مشاعرها والابتعاد عما يثير ريبتها، كما يكون بتفويض إدارة البيت لها، وإشراكها في بعض الشؤون الخاصة.

وأما قواعد الطاعة الناجحة، فيمكننا أن نحددها في التالي:

1. **الطاعة تدور في دائرة أحكام الشريعة فقط.** فليس مسموحاً للزوجة المسلمة أن تعصي الله تعالى بدعوى طاعة الزوج! قال رسول الله ﷺ: ﴿ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴾.[1] وطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ حكمٌ شرعي يشمل الرجل والمرأة معاً.
2. **لا للانصهار في شخصية الزوج:** الزوجة المسلمة واعية بدورها الكبير، ولهذا لا تذوب في شخصية زوجها بدعوى الاحترام والتقدير أو بدعوى الحب والإعجاب! لأنّ الانصهار انسحاب من تحمل المسؤوليّة وأمارة على شخصيّة هزيلة.
3. **عدم الإغترار بالمستوى العلمي والثقافي:** الزوجة الحكيمة لا تغتر بمستواها الثقافي، ولا تنخدع بشهادتها الدراسيّة، بل بالحري أنّها تستثمر طاقتها العلمية وحصيلتها الثقافيّة فيما يعود على علاقتها الزوجيّة وأسرتها الصغيرة بكل خير ونجاح وفلاح وسعادة.
4. **المرونة والحيوية في التفاعل والتواصل:** لا يمكن أن تحقق الزوجة النجاح والاستقرار والسعادة لعلاقتها الزوجيّة ولأسرتها الصغيرة بدون مرونة في التعامل مع الزوج. هذا الأسلوب يكون عن وعيها العميق بطبيعة الرجل وظروف الواقع.

---

1 . «الجامع الصغير» للسيوطي.

فكما نلاحظ، فإنّ القوامة والطاعة انطلاقاً من هذه القواعد كلاهما في الحقيقة والأصل مسؤولية عظيمة وواجبات كبيرة، لكن، في الواقع، فإنّ هذا بالضبط ما يمنح كل طرف حقوقه، وبالتالي يساعده في الاستمرار في العطاء والثبات والتعاون.

وأود أن أشير إلى أنّ قولنا (حقوق وواجبات) لا ينبغي أن يفهم منه القارئ الكريم والقارئة الكريمة، أننا نقصد بأن العلاقة الزوجية ينبغي أن تكون معادلة حسابية، كل طرف يحسب ماذا له؟ وماذا عليه؟ وهل أخذ كل ما له أم أن الآخر هضمه حقه وفرّط في واجبه؟

الأزواج العقلاء لا يتعاملون فيما بينهم بمثل هذا الأسلوب، إذ إنهم يدركون جيّداً بأن العلاقة الزوجية متى دخلها عنصر المحاسبة (كم آخذ؟ كم أعطي؟) فمحال أن تدوم طويلاً، وإن دامت فمحال أن تكون مستقرة! ومن هنا، فأسلوب (هذا حقي، هذا واجبك) أسلوب فاشل، يدل على عقلية فاشلة وعدم نضج نفسي بما فيه الكفاية.

لو عدنا إلى آية الزواج، أعني قول الله سبحانه: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾. وركزنا على هاتين الكلمتين (**مودة ورحمة**)، سنكتشف بأنّها تحمل ـضمن ما تحملـ الدعوة للزوجين المسلمين أن يتعاملا فيما بينهما بأسلوب أكثر نبلاً وشرفاً وسمواً من أسلوب المحاسبة الرياضية. فلا وُدَّ صادق إلا بجانبه شيء من التنازل لأجل الحبيب، ثم قد تفتر حرارة الغرام مع تراكم الأيام، فينتقل الزوجان إلى أسلوب التغاضي والتراحم، ولا تراحم إلا بالتنازل عن بعض الحقوق من أجل الإبقاء على التفاهم والتلاحم.

والمقصود ألا يكون الزوجان مثل المجهر لبعضهما، كل طرف يحاسب الآخر على (الحقوق والواجبات)، إذ في كثير من الأحيان تهجم على المرء أحوال معينة تؤثر على نفسيته تأثيراً سلبياً، فينسى حقوقه فضلاً عن القيام بواجباته! فغض الطرف، وتقدير الظروف، والرحمة والشفقة على

الآخر، شيء مهم، وإن في تعب الزوجة في شغل البيت وشغب الأطفال، وإن في تعب الزوج في تجارته أو وظيفته لعذر واجب على العاقل اعتباره وتقديره.

على أن هذا ليس يعني أن يتعلل الزوج أو الزوجة بالتعب أو سوء المزاج أو ضغط الظروف، فيُفرّط في القيام بما ينبغي القيام به تجاه شريكه، إذ كان معنى هذا التفريط والإهمال ليس له معنى سوى اللامبالاة بالعلاقة الزوجيّة وكيان الأسرة، ورفض تحمل المسؤولية الواجبة شرعاً وعرفاً وأخلاقاً تجاه العلاقة الزوجيّة وكيان الأسرة. وليت شعري كيف تكون حياة الإنسان لو أنه يتعلّل دائماً بسوء المزاج والتعب والإرهاق، فلا يذهب إلى تجارته أو وظيفته!

إنه لا يصح في حكم شرع، ولا في منطق عقل، ولا في قانون أخلاق، ولا في نظام عُرف، أن يُفرّط أحد الشريكين في واجباته التي تفرضها العلاقة الزوجيّة والمسؤولية الأسريّة، فلا يرى منه شريكه إلا التجهم والعنف، ولا إلا الشدة والقسوة، ولا إلا الإهمال واللامبالاة، وإلا الضجيج والصراخ، ثم ينتظر منه رغم ذلك، الحب والتقدير! لقد قال رسول الله ﷺ: ﴿ إنّ الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه ﴾.[1]

ثم أختم بالتنبيه على خطأ شنيع يرتكبه بعض الأزواج، و ذلك هو ظنهم أنّ الطريق إلى قلب المرأة وكسب وُدّها هو التخلي عن معاني الرجولة فيه، أي التخلي عن القيام بدور القوامة، فينسى جدّها وحزمها، وينسى شرفها وكرامتها! غير أنّهم لا يدركون أنّهم بذلك يزرعون بذور الكره والنفرة والاحتقار من هذه الزوجة لهم!

إن حسّ الأنوثة في المرأة يبحث في الرجل عن معاني الرجولة فيه قوية، عميقة ومتألقة. وقصة هذا الرغبة في المرأة تعود إلى عشقها للشعور بمعاني أنوثتها متدفقة سيّالة، وهي لا تجد ذلك إلا

1 . «الجامع الصغير» للسيوطي.

أمام روعة الرجولة في الرجل. نخيرٌ لك أيّها الزوج أن تكون رجلاً في التعامل مع زوجتك، فذلك هو مفتاح قلبها و أنوثتها.

۞۞۞

إنّ جماليّة القوامة والطاعة تتجلّى إشراقاتها المتألقة فقط عندما يستغل الزوجان هذا الاختلاف في الأدوار والمهام في تنمية إحساسهما العاطفي بينهما وتطوير علاقتهما الزوجيّة إلى مستويات أفضل وأجمل. فلا الرجل يطغى بقوامته، ولا المرأة تنشز عن طاعة زوجها. فلا غالب ولا مغلوب. لأنّ الحقيقة أنّ الزوجين ـالمنسجمين المتناغمينـ كلاهما غالب وكلاهما مغلوب في الوقت نفسه.



فروق واختلافات



الوعي بالفروق الثنائيّة:

من أهم ما يجب على الزوجين الاهتمام به والرعاية له والبصيرة فيه، الفروق والاختلافات بين شخصيّتهما، سواء من حيث الاختلافات الفطريّة أم من حيث الاختلافات المكتسَبَة (الثقافيّة، والتربويّة، والاجتماعية). وهذا الاهتمام ينبغي أن يكون نظرياً من خلال القراءة في الموضوع ولو قبل الزواج، كما ينبغي أن يكون عمليّاً بالملاحظة والحوار بعد الزواج.

إنّ وجود فروق متعددة بين الرجل والمرأة، حقيقة أكّدها الله سبحانه بقوله: ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾.[1] كما أثبتها الدارسات المعاصرة، فضلاً عن الواقع المشهود. على أنّ وجود هذه الفروق والاختلافات، لا تعني أنّها تسير في مسارين متوازيين بين الرجل والمرأة، كما يفهم بعض الناس، وكما يُروّج لذلك بعضُ آخرون من "خبراء العلاقة الزوجية"!

هناك كتّابات كثيرة تصور الرجل والمرأة كأنهما من "كوكبين مختلفين".[2] كل واحد منهما له فطرة خاصة، بمكونات خاصة، ونزعات خاصة، وأهداف خاصة. ومن ثم، فهما أشبه بالخطين المتوازيين لا يمكن أن يلتقيا أبداً، ولا سبيل للعيش معاً إلا بمدى ما يتفقان عليه من الهدنة الدائمة وما يتحقق لهما منها خلال مراحل العلاقة الزوجيّة بينهما!

العجيب في الأمر أنك تجدهم يضعون حوارات متخيَّلَة بين فلان وفلانة المتزوجين، ويُنْطِقُونهما بأشياء معينة وردود أفعال معينة، ثم يضعون لك استنتاجات معينة من هذه الحوارات التي قاموا هم أنفسهم بتخيّلها وكتّابة مراحل الحوار الخاص بها ونتائجها ومآلاتها! ثم

1 . آل عمران/36

2 . كما فعل ذلك مثلاً جون غراي في كتبه (الرجال من المريخ والنساء من الزهرة). وكثيرون نقلوا عنه كأنه وحي منزل!

يوهمون القرّاء بأنّها "دراسات علمية" تشمل كل رجل وكل امرأة في كل زمان ومكان، فهي قواعد ثابتة لا يمكن تخلّفها مطلقاً، لأنها "دراسات علمية"![1]

والأعجب أن تجد بعض المؤلفين المسلمين في بلداننا من الذين يكتبون في هذا المجال إنما ينقلون عن مؤلفين غربيين نفس الأفكار، بل تقريباً نفس الحوارات المفترضة! مع غفلة تامة عن طبيعة الشخصية الغربية والسياق الثقافي والاجتماعي الخاص بالغربيين! والكاتب الغربي ينطلق من ذينك العنصرين "طبيعة الشخصية الغربية، السياق الثقافي والاجتماعي"، بالإضافة طبعاً للتهويل والتضخيم من أجل الترويج التجاري لكتابه واستنتاجاته "العلمية"!

ولهذا كنت أقول دائماً للشباب: لا تصدقوا كثيراً مما يقال عن "شخصية الرجل وشخصية المرأة"، فالاختلاف بينهما مرتبط في كثير من جوانبه بالخبرة العملية وروافدها، وليس طبيعة ثابتة في كل رجل وكل امرأة، في كل زمان وفي كل مكان. ولئن كان شيء مما يقال صحيح حقاً، فكثير منه مجرد أوهام وهراء سخيف! ومَن صدقهم فلن يتزوج أبداً، لأنه يرى أنه والآخر خطين متوازيين لا يلتقيان أبداً، فلماذا سيزعج نفسه بالارتباط به وتحمّل العيش معه؟

إنّ الفروق والاختلافات بين الرجل والمرأة منسجمة مع طبيعة الحياة الدنيا كما أرادها الباري سبحانه، ومن ثم، فهي تعني التكامل والتعاون. هذا التكامل والتعاون الواجب يرجع إلى أنّهما خُلقا من نفس واحدة، كما قال تعالى: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾.[2] ووفقاً للآية يمكن أن نفهم بأنّ الرجل والمرأة متحدان في مختلف النزعات والرغبات، وإنما الاختلاف في أسلوب تلبيتها وإشباعها، وأسلوب التلبية والإشباع تتدخل عوامل مختلفة في تشكيله وتوجيهه، مثل الخبرة والتجربة والتربية والثقافة والقناعات.

---

1 . كما فعل مثلاً الدكتور طارق كمال النعيمي في كتابه (سيكولوجيا الرجل والمرأة).

2 . الزمر/6

إذا فهمنا هذا، فينبغي أن نتذكر التنبيهات التالية:

1. هذه الفروق فطريّة لا يمكن تغييرها، بسبب أنّ الله تعالى خلق كلاًّ منهما لدور غير دور صاحبه: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾.[1]

2. هذه الفروق لا تعطي لأي طرف قيمة أعلى من الآخر عند الله تعالى، فمعيار التفضيل هو التقوى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.[2]

3. هذه الفروق لا تنفي واجب المسؤوليّة أمام الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.[3]

4. هذه الفروق والاختلافات موضوعة لتحقيق التكامل والتعاون بين الطرفين: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾.[4]

وبعد: إنّ معرفة هذه الفروق والاهتمام بها له إيجابيّات حميدة، كما أنّ الجهل بها وعدم الاعتناء بها له سلبيّات ذميمة. أما إيجابيّاتها فثلاثة:

- ✓ تساهم بشكل فعّال جدّاً في التقريب الفكري والانسجام الوجداني.
- ✓ تقليل مساحة المشاكل وردم هوّة الخلافات إلى أقصى حدودها الممكنة.
- ✓ تساعد على المشاركة الفعّالة والتّعاون الإيجابي لتحقيق السعادة والاستقرار.

وأما سلبيّاتها فهي أيضاً ثلاثة:

- ✓ تسهم في إنشاء التّباعد بينهما في وجهات الرأي وعواطف الوجدان.
- ✓ تُوسّع مجال النزاعات الثنائيّة ودائرة الخلافات إلى أقصى حدودها الممكنة.

---

1 . الروم/30
2 . الحجرات/13
3 . النحل/97
4 . الروم/21

✓ تساعد بصورة فعّالة جدّاً على جلب الشقاء و التوتر والاضطراب والأحزان.

يقول الدكتور مأمون مبيّض ـ اختصاصي في الطب النفسي ـ:

« إن من شأن فهم الفروق الفردية وطبيعة تعبير الجنسين عنها، وما يجري بينهما، أن يمنع الكثير من سوء الفهم. ومن شأن فهم طبيعة الآخر في التعبير عن مشاعره وعواطفه، أن يُحدث نقلة نوعية في كيفيّة التعامل بين الزوجين، ومن شأنه أن ينقص الهوة الفاصلة بينهما ».[1]

على أنّ هذه الفروق بمختلف مظاهرها التي قدّر الله سبحانه أن تطبع شخصية الرجل والمرأة، وتُميّز بينهما، لكي يحققا التكامل والتعاون في مسيرة الحياة، عبر التعاون على طاعته وتنشئة ذرية طيبة صالحة، هذه الفروق ترجع إلى ثلاث معالم كبرى:

الأسس العاطفيّة عند الرجل:

- **القوة**: يتم إشباع هذه القيمة العاطفيّة، بشعوره أنّ شريكة حياته تثق بقواه وقدراته الشخصيّة في توفير راحتها وأنّها تعتمد كليّاً عليه في تحقيق سعادتها.
- **الكفاءة**: يتم إشباع هذه القيمة العاطفيّة، بشعوره أنّ شريكة حياته تتقبّله كما هو بنقاط ضعفه وقوته، وبالتّالي فهو كفؤ لتحقيق رغباتها.
- **الإنجاز**: يتم إشباع هذه القيمة العاطفيّة، بشعوره أنّه أضاف إلى حياة شريكته الكثير من الإيجابيّات الجميلة والإنجازات الرائعة.

وإنما كانت هذه العناصر الثلاثة هي الأسس البارزة عند الرجل؛ لكونها منسجمة مع طبيعته الشخصية وطبيعة وظيفته في الحياة، التي هي السعي والكد وتوفير الأمان والحماية للزوجة والأبناء. ولذلك بمقدار ما يشعر بـ «القوة، الكفاءة، الإنجاز» بمقدار ما يشعر بقيمته.

---

1 . «التفاهم في الحياة الزوجية». صـ 189/ المكتب الإسلامي/ 1424-2003.

الأسس العاطفيّة عند المرأة:

- **الحب**: يتم إشباع هذه القيمة العاطفيّة، بشعورها أنّها أهم شيء في حياة زوجها، وأنّه حريص على التعبير عن حبّه الكبير لها بشتى الأساليب.
- **الجمال**: يتم إشباع هذه القيمة العاطفيّة، بشعورها أنّها أجمل امرأة في عيني زوجها، وأنّه لا يفتأ يستغل الفرص، بل ويبتكرها، ليبدي إعجابه الكبير بها.
- **المشاركة**: يتم إشباع هذه القيمة العاطفيّة، بشعورها أنّ شريك حياتها يشاركها في أفكارها ويقدر آراءها ويحرص على مساعدتها لتحقيق أحلامها.

وإنما كانت هذه العناصر الثلاثة هي الأسس البارزة عند المرأة، لكونها منسجمة مع طبيعتها الشخصية وطبيعة وظيفتها في الحياة، وهي السكن والسلام للزوج والرعاية والتنشئة للأطفال. ولذلك بمقدار ما تشعر بـ «الحب، الجمال، المشاركة» بمقدار ما تشعر بقيمتها.

واختلاف هذه الأسس بين الرجل والمرأة، لا يعني أنّ الرجل لا يهتم بما يميّز شخصيّة المرأة (الحب، الجمال، المشاركة)، بل هو الآخر حريص على إشباع هذه القيم والنزعات مع زوجته. كما لا يعني أيضاً أنّ المرأة لا تهتم بما يميّز شخصيّة الرجل (القوة، الكفاءة، الإنجاز)، بل هي الأخرى حريصة على إشباع هذه الغرائز والاحتياجات مع زوجها. وإنما الأمر والكلام في أولويات كل طرف، بسبب اختلاف طبيعة ووظيفة كل طرف منهما.

❁❁❁

اختلاف الاحتياجات:

الرجل والمرأة كلاهما لديه احتياجات معيّنة يريد إشباعها مع شريكه. غير أنّ الملاحظ وجود تباين في ترتيب سُلّم أولويّات هذه الاحتياجات عند كلٍّ منهما، فما يحتل المرتبة الأولى لدى

الرجل مثلاً، قد يحتل مرتبة متأخرة عند المرأة، والعكس أيضاً صحيح. كما أنّ ما يحتل المرتبة الأولى عند هذا الرجل قد يحتل مرتبة متأخرة عند رجل آخر، وكذلك بالنسبة للنساء.

لنضرب أمثلة توضح المعنى المقصود:

(المرأة تحتاج التفهّم/ الرجل يحتاج التقبّل)

عندما تجد الزوجة زوجها متفهّماً لمشاعرها، رغباتها، أحلامها، مشاكلها.. إلخ، تشعر بالإشباع النفسي معه، وبالتّالي تحرص على تقبّله كما هو، بإيجابياته وسلبياته. والعكس صحيح أيضاً، فكلّما وجد الزوج حسن التّقبل لشخصيته من زوجته، فإنّه لا يفتأ يبدي تفهّمه لها في كل شيء.

(المرأة تحتاج الاحترام/ الرجل يحتاج التقدير)

عندما تشعر الزوجة بأنّ زوجها حريص على احترام شخصيّتها ومدحها بين الأهل والمعارف حين يقتضي الأمر ذلك،[1] تشعر بالامتلاء العاطفي معه، فتقابله هي بالتقدير الكبير والتشجيع الدائم. والعكس صحيح أيضاً، فكلما قدّرت الزوجة زوجها، بادلها نفس الشيء وأكثر.

(المرأة تحتاج الإخلاص/ الرجل يحتاج الثقة)

عندما تشعر الزوجة بأنّ زوجها مخلص لها جدّاً، حتّى في غيابها عنه، تشعر بالإشباع لقِيَم الأنوثة فيها، وبالتّالي لا تفتأ تبدي ثقتها الكبيرة فيه. والعكس صحيح أيضاً، فكلما شعر الزوج بثقة زوجته به واطمئنانها إليه، فإنّه يزداد إخلاصاً لها وصدقاً معها.

(المرأة تحتاج الرعاية/ الرجل يحتاج الاعجاب)

1 . سأل الصحابة ﷺ النبي ﷺ عن أحب الناس إليه؟ فقال: عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

عندما يعطي الزوج الرعاية التّامة لزوجته، فإنّه يشبع فيها مختلف غرائز وعواطف الأنوثة، وبالتّالي فإنّها تعطيه في المقابل الإحساس بالإعجاب به. والعكس صحيح أيضاً، فكلّما شعر الزوج بإعجاب زوجته به، أي قدرته على تلبية احتياجاتها، فإنّه يزداد رعاية لها واعتناء بها.

➢(المرأة تحتاج الأمان/ الرجل يحتاج الاعتماد)

عندما تشعر الزوجة بالأمان مع زوجها، معنويّاً وماديّاً، تشعر بالارتياح معه، تُظهر له _حتّى أمام الآخرين_ اعتمادها الكبير عليه في توفير أمنها وراحتها، والعكس صحيح أيضاً، فكلّما شعر الزوج باعتماد زوجته عليه وعدم استغنائها عنه حرص على توفير الأمان لها.

➢(المرأة تحتاج الإطراء/ الرجل يحتاج التشجيع)

عندما تجد الزوجة زوجها كثير المدح والإطراء لها، تشعر بالأمان والارتياح والفخر. وبالتالي تعمل على مضاعفة مجهودها لنيل مزيد من الرضا عنها والإطراء لها. وفي المقابل عندما يشعر الزوج بفخر زوجته به وتشجيعها له فإنّه يضاعف مجهوده لنيل مزيد من دعمها له.

هذه مجرد أمثلة قصدت منها التفهيم والتنبيه؛ ولك أن تقيس عليها ما شئت بعدُ.

إذا فتّشنا القرآن والسنة سنجد فيهما مبادئ عامة تصلح أن تشمل حتى موضوع العلاقة الثنائيّة بين الزوجين. من ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة/2]، فالحرص على الحوار والتفاهم وتبادل الخدمات وتلبية الاحتياجات وغض الطرف عن الزلاّت، كل هذا يدخل ضمن (التعاون على البر والتقوى)، أي مساعدة الطرف الآخر على نيل رضا الله تعالى من خلال حسن معاملته شريكه.

ومن ذلك قول الرسول ﷺ: ﴿ لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنَفْسِه ﴾.[1] فهذا الحديث يشير إلى أنّ من كمال الإيمان أن يحب المسلم لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه، فكيف إذا أضفنا إلى رابطة الإسلام رابطة الزوجية، فلا شك أن الأمر سيكون أرغب وأفضل. فكل ما يحبه أحد الشريكين من الآخر، من حسن معاملة وتلبية رغبات ومساعدة على تطوير الايجابيات والتقليل من السلبيات، فإن الآخر يحب ذلك منه أيضاً.

❁❁❁

الرغبات الوظيفية:

بسبب هذه الأسس التي تطبع شخصيّة الرجل والمرأة، وبسبب اختلاف أولويّات الاحتياجات لدى كلٍّ منهما، فإن الرغبات الوظيفيّة بينهما تختلف كذلك، بالرغم من أن الزوجين قد يتساويان في الذكاء والمهارة والخبرة.

فالرجل لا يمانع ـأحياناًـ أن يقوم بدور الأب الرحيم لزوجته، كما أنها لا تمانع أن تعامَل كأنها طفلته المدللة. لكنه يفضل دور الحبيب والزوج والرجل، كما أنها تفضل أن تعامَل على أنها عاقلة وناضجة وامرأة قديرة. وقس على هذا.

لكن هنا تنبيهات مهمة ومفيدة، فعندما نقول مثلاً: (الرجل عقلاني، المرأة عاطفيّة)، (الرجل واقعي، المرأة خياليّة)، (الرجل مستقبلي، المرأة آنيّة)، (الرجل بطئ الانفعال، المرأة سريعة الانفعال)، (الرجل مباشر التعبير، المرأة رمزيّة التعبير)، (الرجل يحب الأخذ، المرأة تحب العطاء)، (الرجل يركز على اللذة، المرأة تركز على الحب).. إلخ

عندما نقول هذا، فليس يعني ذلك أنّنا نحط ونطعن في شخصيّة أحدهما، لأنه رجل أو لأنها امرأة. لأنّ السبب المقتضي لوجود هذه الفروق والاختلافات بينهما هو طبيعة المهمّة والدور

---

1 . «رواه البخاري»

المنوط بكل واحد منهما في الحياة. وبلا شك، فإن ربط تلك الفروق والاختلافات بطبيعة الرجولة والأنوثة ودور كل واحد منهما في الحياة، يجعل الأمر واضحاً ومفهوماً.

إذا تأملنا قواعد الحياة وطبيعة الرجل والمرأة ، سنجد (**الرجل مخلوق للخارج لتوفير الرزق والحماية**). قال رسول الله ﷺ: ﴿ كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت ﴾.[1] وقال ﷺ: ﴿ مَنْ قُتِلَ دُونَ أهلِهِ فهوَ شَهِيدٌ ﴾.[2] وسنجد (**المرأة مخلوقة للداخل لتوفير السكينة التربية**). قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ .[3] وقال رسول الله ﷺ: ﴿ المرأة راعية على بيت زوجها وولده ﴾.[4]

كما أننا نتكلم من حيث المبدأ فقط و الملامح العامة، أما الحالات الشاذة فلا اعتبار بها في هذا السياق. كما أن حديثنا لا يعني أن كل رجل هو كذلك، وأن كل امرأة هي كذلك، فكما أن هناك اختلافات واضحة بين الرجل والمرأة، فهناك اختلافات واضحة بين فئة الرجال أنفسهم، وبين فئة النساء أنفسهن، والأمر مرتبط بعوامل وروافد التنشئة وتشكّل الشخصيّة والعوامل المؤثرة فيها خلال مراحل العمر.

يمكن القول « إن الزوجين السعيدين هما القريبان والمفترقان في آن واحد، أي أنهما مرتبطان ببعضهما، إلا أن بينهما من الفروق ما يميّز أحدهما عن الآخر. وكلما كان الواحد منهما قريباً من الآخر وأكثر ثقة به، وأكثر تقبّلاً له، كلما كان كلٌّ منهما أكثر حرية وقدرة على تقبل الفروق

---

1 . «رواه أبو داود».

2 . «رواه البخاري».

3 . الروم/21

4 . «رواه البخاري».

والتكيّف معها، وكان بالتالي أقدر على التعامل والتعايش مع اختلاف وجهات النظر، وهذا من شأنه أن يزيد من متانة العلاقة بينهما ».[1]

ولهذا فمهمّة الرجل تستلزم أن تكون طبيعته متصفة بما يناسب دوره، من قبيل: الصرامة، المنطقيّة، المباشرة، التحمّل، الأخذ، الواقعيّة.. إلخ. أمّا مهمّة المرأة فتقتضي أن تكون طبيعتها متصفة بما يناسب دورها، من قبيل: العاطفة، الانفعال، الجمال، العطاء، الخيال.. إلخ. ولولا هذه الخصائص المميّزة، لما استطاع أحدهما القيام بدوره في الحياة كما ينبغي، بل ولا أن ينعم بالاستقرار والسعادة في حياته. فسبحان الذي خلق فأبدع.

إذن نستطيع تلخيص ما سبق بالقول:

❖ هذه الخصائص والفروق من أجلّ نعم الله تعالى على الإنسان، ليعيش حياة مفعمة بالثراء والهناء والجمال. لأنّ هذا هو ضمان قدرته على القيام بالمهمة الموكولة إليه في هذا العالم: العبوديّة لله تعالى بمفهومها الكامل الشامل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.[2]

❖ الغاية من هذه الفروق والاختلافات، ليس حدوث الصدام والشقاق بين الرجل والمرأة، بل بالحريّ أن يكون الهدف المنشود منها هو التعاون والتكامل والانسجام بينهما، حتّى تسير الحياة في مسارها الطبيعي: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾.[3]

❖ كلٌّ من الرجل والمرأة يُشكل نصفاً في كل شيء من خصائص الإنسانيّة، ويشكل الطرف الآخر نصفه الثاني. فلئن كانت المرأة ـمثلاًـ ناقصة عقل فإنّها كاملة الشعور والعاطفة، على عكس الرجل، فلئن كان ناقص عاطفة ووجدان، فإنّه كامل عقل.[1]

1 . «التفاهم في الحياة الزوجية». د، مأمون مبيّض. صـ 31.

2 . الذاريات/56

3 . المائدة/2

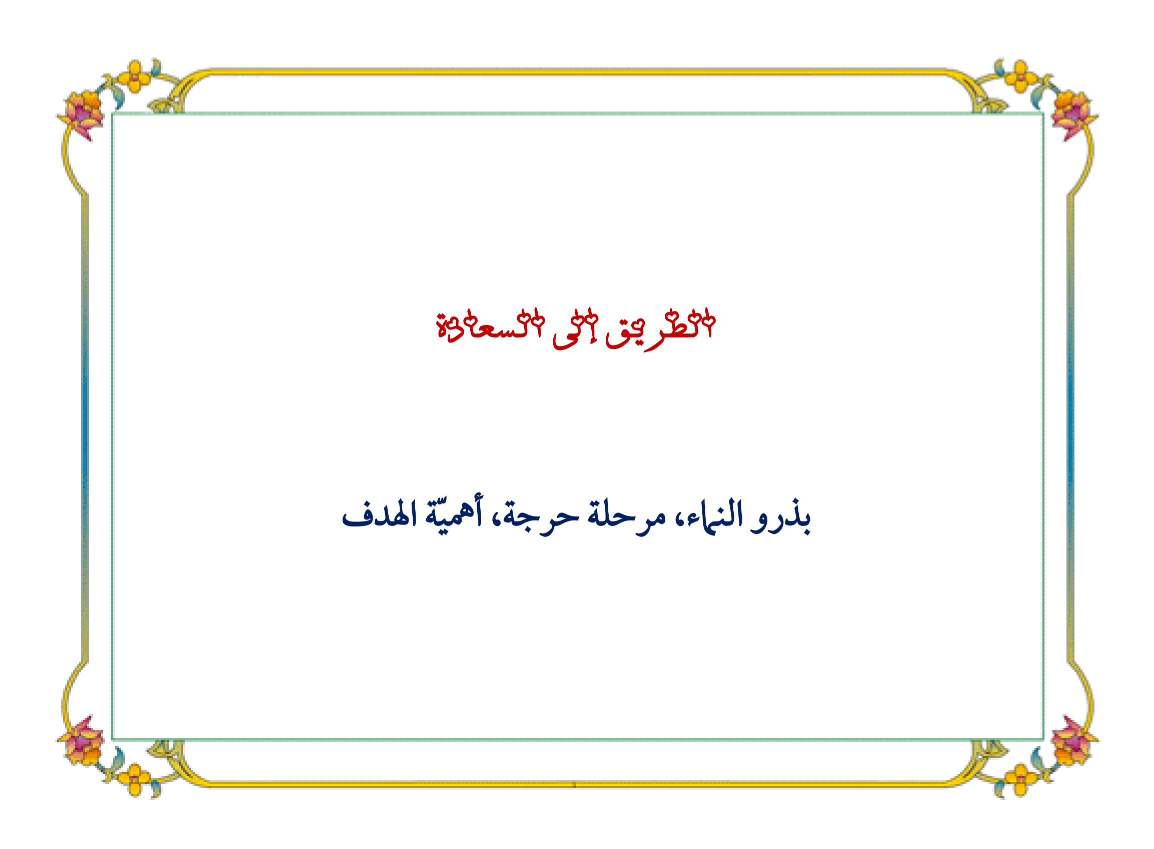
إنّ نسيان أو تجاهل هذه الحقائق عنصر بارز في تحويل العلاقة الزوجيّة إلى جحيم كئيب، كما أن استيعابها والتعامل على هديها عامل فعّال في إضفاء الاستقرار والجمال على العلاقة الزوجيّة، كما على نشأة الأطفال. والله الموفق.



---

1 . الحديث النبوي الذي يشير إلى أن المرأة ناقصة عقل، استغله المفسدون في الأرض لتحريف حقيقته ومعناه ودلالته، لكي يشيروا بأن الإسلام يحتقر المرأة ويهضم حقوقها، كما أنهم استغلوا مواقف بعض الجهال وأشباههم من المتدينين والدعاة وفهمهم لهذا الحديث للتوكيد على اتهامهم الباطل للإسلام. وقد تحدث أهل العلم والبحث حول الحديث وبيّنوا معناه و دلالاته. أكتفي هنا بالإحالة على مقال خاص بهذه الشبهة في موقع بيان الإسلام للرد على الشبهات:

http://bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=03-03-0050&value=&type


الطريق إلى السعادة
بذرو النماء، مرحلة حرجة، أهميّة الهدف

بناء بلا أساس:

من أهم أسباب الفشل ـبمختلف مظاهرهـ بين الأزواج التّعساء، هو الغفلة عن أهمّية تأسيس علاقتهما الثنائيّة في العام الأول تأسيساً صحيحاً، أو استئنافها بأسس صحيحة!

هذه حقيقة يؤكدها الواقع وحتى بعض الدراسات المعاصرة حول الموضوع. فإنّ أغلب حالات الطلاق لدى المحاكم تحدث في الثلاثة أعوام الأولى، وهذا فيه دلالة قوية!

من أجل ذلك حريٌّ بالزوجين أن يكونا على ذكر من هذه الحقيقة، فالزواج صرح عظيم يحتاج لأساسات عظيمة، وما لا أُسَّ له فمهدوم، إنْ عاجلاً وإنْ آجلاً!

هذه الدعوة للزوجين نابعة من مركزيّة العلاقة الزوجيّة ودورها الكبير في حياة الفرد والمجتمع، كما سبق أن فصّلنا ذلك في قسم (على أعتاب الزواج).

وقد يتساءل القارئ الكريم عن مدى أهميّة وضرورة الاتفاق مع شريك العمر حول مجموعة من المبادئ لضبط علاقتهما الثنائيّة؟

في الواقع هناك باقة من الإيجابيّات يجنيها الزوجان من الاتفاق على ذلك، نذكر منها:

- يعرف كل طرف حقيقة دوره في تحقيق الأهداف الكبرى للعلاقة الزوجيّة.
- يعرف كل طرف طبيعة المسار الذي يجب أن تسير فيه العلاقة الزوجيّة.
- يعرف كل طرف مستوى الانسجام أو التنافر بينه وبين شريك حياته.
- يعرف كل طرف فن إصلاح الأخطاء وتقويم الانحراف بينه وبين شريك حياته.

في المقابل هناك مجموعة من السلبيّات التي يكتوي بلظاها الزوجان جرّاء إهمال هذا الاتفاق، نذكر منها:

- يجهل كل طرف مدى دوره في تحقيق السعادة والاستقرار.
- يجهل كل طرف الغاية النهائيّة التّي ينشدها مع شريك حياته.
- يجهل كل طرف أسباب التقارب أو التباعد بينه وبين شريك حياته.
- يجهل كل طرف طرق تفادي المشاكل والمنغصات في حياته الزوجيّة.

لا شك أن تأمل هذه الايجابيات والسلبيات والمقارنة بينهما، تفرض على الإنسان العاقل الاتفاق مع شريكه لتحقيق تلك الايجابيات وتطويرها بشكل متواصل، ولتفادي تلك السلبيات وتقليلها بصورة مستمرة. وقد قالت الحكماء (بناء بلا أساس مهدوم).

والتشديد على ضرورة بناء علاقة زوجيّة بناء صحيحاً وعلى قواعد متينة منذ البداية؛ ليس فقط من أجل ثبات واستقرار واستمرار العلاقة الثنائيّة، بل أيضاً من أجل الأطفال من حيث نشأتهم ونمائهم وتوازنهم النفسي والعقلي. فالواقع والدراسات يؤكدان على أنّ الأطفال يتأثرون ـإيجاباً أو سلباًـ بطبيعة العلاقة بين الأبوين.

❁❁❁

ركائز الاتفاق:

على أنه في حال قرّر الطرفان اتخاذ قرار الحرص على تحقيق تلك الايجابيات وتفادي تلك السلبيات، فلابد لهما قبل ذلك أن يكونا على وعي بصير بمجموعة من الركائز الأساسيّة التي تساعدهما بشكل فعّال على إنجاز الاتفاق المقدس بينهما، وهي:

1. الهدف من الزواج هو المساعدة والتّعاون على مرضاة الله تعالى وطاعته: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.[1]

2. الحقوق والواجبات تُستقى من تعاليم الإسلام: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾.[2]

3. غاية الإنجاب هي تنشئة جيل مسلم صالح، يعتز بقيمه الإسلاميّة: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾.[3] وقال رسول الله ﷺ: ﴿ كلكم راع ومسئول عن رعيته ﴾.[4]

4. السعادة والاستقرار الثنائي لها حق الأسبقيّة دائماً على كل شيء: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾.[5]

5. احترام الفروق الطبيعيّة من أهم شروط نجاح الزواج. قال رسول الله ﷺ: ﴿ استَوصوا بالنّساءِ خيرًا فإنّهن عندَكُم عَوانٍ ﴾.[6]

6. المرجع الوحيد في حل الخلافات هو القرآن والسنّة النبويّة: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾.[7]

7. الحرص على اكتساب كل جديد يساعد على إدخال السرور على الآخر. قال رسول الله ﷺ: ﴿ إن الله يحبُ إذا عملَ أحدكُم عملا أن يتقنهُ ﴾.[8]

---

1 . الذاريات/56

2 . الأحزاب/36

3 . النساء/11

4 . «صحيح البخاري».

5 . الروم/21

6 . «سنن الترمذي». قوله: عوان: أسيرات. وهذا تشبيه لطيف وآية في الروعة والجمال، إنّه حثٌّ وإغراء للزوج على إحسان معاملة زوجته، لأنّها ضعيفة بفطرتها، ضعيفة بهجرها بيت أبويها. فكأن الحديث يقول للزوج المسلم، إذا لم تعامل زوجته بعاطفة الحب، فعاملها بعاطفة الرحمة والحنان.

7 . المائدة/3

8 . «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألباني.

8. العمل على إشاعة الحوار الإيجابي حول كل شيء يخص الأسرة، قال رسول الله ﷺ: ﴿ ما كان الرِّفقُ في شيءٍ إلَّا زَانَه ولا كان الفحشُ في شيءٍ قطُّ إلَّا شَانَه ﴾.[1]

هذه العناصر المذكورة هي في الحقيقة معايير النجاح التّي يجب على الزوجين أن يزنا بها علاقتهما الثنائيّة. بحيث بقدر ما تكثر هذه العناصر بينهما يكون ذلك دليلاً على النجاح والاستقرار، وبقدر ما تقل يكون ذلك برهاناً على الفشل والتقصير. وكلاهما مرتبط بمدى وضوح الرؤية عند الزوجين لمعنى علاقتهما الزوجيّة.

إنّ الزوجين عندما ينظران لزواجهما بهذا المنظار ومن هذه الزاوية، فلا شك أنّه سيتحول بينهما إلى رسالة سامية، يستلهمان معانيها الراقية وإرشاداتها العميقة ودلالاتها الحكيمة. ومن ثم يكتسب هذا الزواج مذاقاً خاصّاً وقيمة كبيرة، لأنّه لن يكون مرتبطاً بشيء محدود بحدود الدنيا الفانية، بل سيكون ممتدّاً إلى الأبدية الخالدة.

❁❁❁

ثمرات الاتفاق:

إنّ فوائد الاتفاق على هذه المرتكزات الثمانيّة تظهر في التّالي:

- ✓ لا ينظران لعلاقتهما الزوجيّة، نظرة ضيّقة محدودة. بل ينظران إليها نظرة تتسامى بها عن ضيق الدنيا وفناء الجسد إلى رحابة الآخرة وخلود الروح.
- ✓ لا ينظران لرابطة الحب بينهما، نظرة مشاعر جميلة مقيّدة بالنفس والجسد و الدنيا. بل ينظران إليها نظرة تسع الروح بعمقها المكنون والآخرة بآمادها الخالدة.
- ✓ لا ينظران لبعضهما بعضاً نظرة دونيّة، وأنّ الآخر لا يمكنه المساهمة في تحقيق السعادة والاستقرار المنشود. بل يعتقدان أنّ تحقيق ذلك مسؤوليّة مشتركة.

---

1 . « صحيح ابن حبان».

- ✓ لا ينظران لإنجاب الأطفال، نظرة غريزة نفسيّة يجب تحقيقها، بل ينظران إليها على أساس أنّها مسؤوليّة جسيمة ومهمّة عظيمة سيحاسبان عليها يوم القيامة.
- ✓ لا ينظران إلى ما يقدمانه لبعضهما بعضاً، من إعفاف، وتضحية، وعطاء، وتنازل.. إلخ. نظرة الشيء الواجب فعله، بل نظرة التقرّب به إلى خالقهما سبحانه.
- ✓ لا يسمحان لسوء الخلافات والمنغصات أن تدمر علاقتهما الزوجيّة، بل يحرصان دائماً على محاصرتها وتجاوزها، فلكل مشكلة حل، يكفي أن تكون هناك رغبة صادقة.

أتصوّر أنّ كل هذا الذي ذكرناه سيساعد الزوجين على أن يكونا إيجابيين مع بعضهما بشكل رائع ومثير وعميق جدّاً، سواء في أشكال التعبير عن الحب، أم في التّعاون على مواجهة ضغوط الآخرين، أم في الحوار لتخفيف وتجاوز مختلف النزاعات الثنائيّة، أم في التجديد والتطوير الدائم لمستوى العلاقة العاطفيّة والجِنسيّة، أم للتّفاهم حول التدبير المالي للنفقات الشهريّة.. إلخ.

إنّ تأسيس الزوجين علاقتهما على منظومة قواعد ومبادئ يتفقان عليها، ليس بدعاً ابتكرناه نحن في هذا الكتاب أو اخترعه بعض الناس في هذا العصر، بل هو شيء معروف عند العقلاء منذ قديم الزمان. فلما تزوج أبو الدرداء ﵁، قال لزوجته: « إذا رأيتني غاضباً فرضني. وإذا رأيتك غضبت رضيتك، وإلا لم نصطحب ». ولما تزوج أبو الأسود الدؤلي، قال لزوجته:

خذي العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سَورتي حين أغضبُ
ولا تنقريني نقرك الدفَّ مرة ... فإنّك لا تدرين كيف المُغيَّبُ
ولا تُكثري الشكوى فيذهب الهوى ... ويأباك قلبي والقلوب تقلُّبُ
فإنّي رأيت الحبَّ في الصدر والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهبُ

ولما دخل القاضي شريح على عروسه، وأراد الدُنُوَّ منها، قالت له: على رسلك يا أبا أميّة، كما أنتَ ـأي انتظر قليلاًـ وقالت: «الحمد لله، أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه وأصلي على

محمد وآله وصحبه. أما بعد: فإنّي امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك فبيّن لي ما تحب فآتيه، وما تكره فأتركه. إنّه كان في قومك مَن تتزوجه من نسائكم، وفي قومي مِن الرجال مَن هو كفء لي، ولكن إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً. وقد ملكتَ فاصنع ما أمرك الله به: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي و لك».

❁❁❁

ضرورة التضحية:

وبعد: لئن كان هناك شيء يجب أن يتفق عليه الزوجان ويتشددان فيه ويحرصان على الالتزام به، فهو خُلق التضحية. إن ضغوط الحياة وظروف الواقع، وإن وجود الأبناء وتعددهم، وإن تقلّب الشخصيّة خلال مراحل العمر، كل هذا بلا شك يؤثر على الإنسان، فهو ليس مخلوقاً من حديد ليكون مثل الآلة الصلبة الصمّاء، بل هو كائن له مشاعر وأحاسيس، وله أفكار وتصورات، وله مخاوف وهواجس، وهذا ما يجعله عُرضة لتقلّبات المزاج، بين صعود وهبوط، وبين هدوء وثورة، وبين إقبال وإحجام!

إنّه لابد من أن تكون مسألة التضحيّة واضحة لدى الزوجين، وأن تكون ركيزة جوهريّة ضمن مجموعة ركائز البناء والنماء بينهما. إذ بدون التضحية، لن يستقيم شيء، ولن ينفع حب متوهج ولا عاطفة مشبوبة ولا أحلام جميلة. والواقع أن الإنسان في الحياة لا يجد مفرّاً من التضحية بشيء أو أشياء ليكسب شيئاً آخر أو أشياء أخرى، في سبيل تحقيق السعادة والاستقرار والنجاح. ومن الواضح أن الحياة الزوجيّة جزء من الحياة الإنسانيّة الكبرى، بل هي أساسها ومنبتها وإطارها.

لقد قال الله سبحانه في سياق حديثه عن العلاقة الثنائيّة بين الزوجين: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾. والجمع بين (المودة والرحمة) في نظم واحد، يشير ـ ضمن ما يشير إليه، والله أعلم ـ إلى عنصر التضحية وأهميّة تحلّي الزوجين به. فالزوجان الصالحان الطيّبان يرحمان بعضهما ويشفقان على

بعضهما، ومن ثم يتحمّلان بعضهماً ويضحّيان من أجل بعضهما. هذه الرحمة التي تتضمن معنى التضحية والصبر والتنازل، هي في الواقع سياج للمودة الجميلة التي تربط ما بين قلبيهما، وحماية للكيان الزوجي والأسري من الانهيار، في لحظة غضب أو لحظة ضعف أو لحظة انزعاج!

لكن، بالرغم من أهميّة التضحيّة وضرورتها القصوى بين الزوجين للحصول على السعادة والاستقرار و المتعة الجميلة إلا أنّ هناك ثلاثة ضوابط ينبغي على الزوجين الصالحين عدم الغفلة عنها، وإلا ارتدت عليهما التضحية وبالاً وشقاء بئيساً من حيث رغبا في المنفعة والسعادة:

❖ **أن تكون التضحية في إطار المعروف**: نعني بهذا ألا ينتظر أحد الزوجين من شريكه أن يضحي بما يفوق طاقته الذاتيّة وبما تستنكره قيم الديانة وفِطَر العقول الراجحة. مثال ذلك: لهاث الزوج المسعور وراء المال بدعوى توفير معيشة كريمة لزوجته وأولاده. قضاء الزوجة الساعات الطويلة في تحضير الطعام أو نظافة البيت بشكل يومي بدعوى توفير الراحة للزوج. فكل هذا سيحرم الزوجين من أشياء أخرى مفيدة وجميلة وأكثر أهميّة، ولا شيء يعدل التوسط والاعتدال.[1]

❖ **أن تكون التضحيّة في إطار الشرع**: نعني بهذا ألا ينتظر أحد الزوجين من شريكه أن يضحي بما هو من صميم الدين وجوهره الثابت. مثال ذلك: نفور الزوجة من ممارسة الجماع في الدبر، لكن تقبله إرضاءً للزوج، لأنّ جماع الدبر محرّم في شريعتنا، والله سبحانه أحق بالطاعة من الزوج.[2] كسب الزوج المال من مصادر محظورة كالبنوك، المخدرات، استغلال المال العام،

1 . قيل للإمام مالك: المرأة تبالغ في برّ زوجها، فتلقاه فتنزع ثيابه ونعليه، وتقف حتى يجلس؟ قال: أما تلقيها ونزعها فلا بأس، وأما قيامها حتى يجلس فلا، وهذا من فعل الجبابرة. (الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ). ابن أبي زيد القيرواني/ صـ 196/ مؤسسة الرسالة، ط 2/ 1403-1983.

2 . قال الإمام ابن جُزّي الغرناطي: « يجوز للرجل أن يستمتع بزوجته وأمَته بجميع وجوه الاستمتاع، إلا الإتيان في الدُّبُر فإنّه حرام، ولقد افترى مَن نسب جوازه إلى مالك ». (القوانين الفقهية/ صـ 365/ دار ابن حزم، 1/ 1424-2013).

استغلال السلطة، لكي يوفر للزوجة رغباتها المختلفة ونزواتها الشاردة، لأنّ هذه المصادر محرّمة في الدين.

❖ **أن تكون التضحيّة في إطار الحريّة:** نعني بهذا ألا ينتظر أحد الزوجين من شريكه أن يضحي بما هو من جوهر شخصيّته، وما يسلبه حريّته وقيمته الذاتيّة. مثال ذلك: تنازل الزوجة بشكل مطلق عن آرائها وخططها في تسيير العلاقة الزوجيّة، بدعوى عدم إغضاب الزوج ونيل رضاه. تنازل الزوج عن رجولته لإرضاء الزوجة، كخروجها متبرجة، ودعوة صديقاتها للبيت بشكل دائم، وعدم استشاره في شؤون البيت والأطفال. فكل هذا يحرم الطرفين من الشعور بالحريّة والقيمة.

ولهذا يمكن القول، بأنّ أساس التضحية بين الزوجين مرتبط بطبيعة النظرة التي ينظر بها كل طرف منهما للآخر، كما أنه مرتبط بطبيعة النظرة التي ينظران بها لمعنى العلاقة الزوجيّة.

إنّ كل التضحيات التي يقوم بها الزوج لأجل زوجته وأطفاله، في إطار الشرع والمعروف، لا يرى فيها حطاً من قدره أو انتقاصاً من معاني رجولته.

كما أنّ كل التضحيات التي تقوم بها الزوجة لأجل زوجها وأبنائها، في إطار الشرع والمعروف، لا ترى فيها طعناً في شخصيّتها أو احتقارًا لكرامتها أو اغتيالاً لأنوثتها.

بل كلاهما يرى في تضحياته معنى الاعتراف بقيمة الآخر في نفسه وأنه يستحق ذلك، من أجل الحفاظ على كيان الزواج وكيان الأسرة.

والحق أنّ هذا ما ينبغي على الآباء والأمهات تنشئة أبنائهم وبناتهم عليه، ونصحهم به عند الزواج، بل وتذكيرهم بذلك بشكل دائم. وقد كان هذا دَيْدَنُ الآباء قديماً.

قالت امرأة لابنتها: «لا تغضبي إزاء فلتة زل بها لسان زوجك عند غضبه، بل كوني رزينة متساهلة، متسامحة، ولا تقابليه بالمثل فبذلك يدرك هفوته، ويأسف على زلته، وليكن حسن الظن وحسن التفاهم رائدكما فيزول كل ما يقع بينكما».

أوصى أب ابنته، فقال: «إنّك خرجت من العش الذي فيه درجت، وصرت إلى فراش لا تعرفيه، وقرين لم تألفيه. فكوني له أرضاً يكن لك سماء، وكوني له مهاداً يكن لك عماداً، وكوني له أمة يكن لك عبداً. واحفظي أنفه وسمعه وعينه، فلا يشم منك إلا طيباً ولا يسمع منك إلا حسناً ولا ينظر منك إلا جميلاً. واغلبي أحماءك بالخير ولا تغلبيهم بالشر».

أوصت أمامة بنت الحارث العربيّة ابنتها عند زفافها، فقالت: «أي بنيّـة: لو أنّ امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدّة حاجتهما إليها كنتِ أغنى النّاس عنه، ولكنّ النساء للرجال خُلقنَ، ولهنّ خُلق الرجال. أي بنيّة: الصحبةُ بالقناعة، والمعاشرةُ بحسن السمع والطاعة، والتعهـّد لوقت طعامهِ والهدوء عنه عند منامه، فإنّ حرارة الجوع مَلهبة، وتنغيصُ النومِ مَبغضة. الاحتفاظُ ببيته وماله، والإرعاءُ على نفسه وعياله. فإنّ الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والإرعاء على العيال جميل حسن التدبير. لا تفشي له سرّاً، ولا تعصي له أمراً. فإنّكِ إن أفشيتِ سرّه لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرتِ في صدره. ثمّ اتقي مع ذلك الفرح إن كان ترِحاً، والاكتئابُ عنده إن كان فرِحَ، فإنّ الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير. كوني أشدّ ما تكونين له إعظاماً يكن أشدّ ما يكون إكراماً، وأشدّ ما تكونين موافقة يكن لكِ أطول ما تكونين له مرافقةً. واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبـّين حتى تؤثِري رضاهُ على رضاكِ، وهواه على هواكِ، فيما أحببتِ وكرهتِ».

حُقَّ لهذه الوصايا النبيلة أن تُخلّد في الكتب، فقد جمعت أشتات أسس السعادة الزوجيّة. وقد انخدعت زوجات كثيرات بدعوات الفاجرات المنحرفات تحت مختلف الشعارات فخسرن خسراناً مبيناً!

وبعد: إنّ من المهم للغاية أن يتذكر الزوجان أنّ مرحلة العام الأول لها أهميّتها وخطورتها في تاريخ الزواج، لأنّها مرحلة التأسيس والبناء. ومعلوم أنّه على حسب طبيعة التأسيس يكون البناء بعدُ: قوة وضعفاً، تماسكاً واختلالاً. ولذا يجب التّعامل معها بما تستحق، وإلا كان الثمن باهضاً جدّاً، وهو ما نراه من الصراعات الزوجية وانحراف شخصيات الأطفال وطلبات الطلاق!



أسباب الأزمة:

لا تكاد تجد زوجين حديثي عهد بالزواج، إلا وهما يشكوان من مجموعة من التحديّات والعراقيل التي أخذت تواجههما وتضع علاقتهما على المحك!

ونقول بكل أسف: كثيرون يقعون في أخطاء فظيعة! وكثيرون لا يعرفون طرق الإصلاح! وبالتّالي تكون النتائج وخيمة جدّاً، ومؤلمة جدّاً، ومؤسفة جدّاً!

ولهذا نجد جمهور المتزوجين لا يلبثون إلا قليلاً حتّى يعلنوا الصدمة وخيبة الأمل بين الأهل والأصدقاء، بل وأنّ الحب كذبة خادعة، وأن أحلامهم لم تكن سوى أوهام!

إنها الشهور الأولى، وإنّه العام الأول من الزواج.. أول وأبرز المراحل الحرجة التي يمكن أن يمر بها زوجان، لأسباب مختلفة ومتشابكة. يقول الدكتور كمال مرسي:

« تُعتبر السنة الأولى من الزواج، فترة حرجة في بناء العلاقة الزوجيّة، وفي تحديد ما سيكون عليه الزواج في المراحل التالية. فالزواج في هذه السنة يكون كالطفل الرضيع؛ في حاجة إلى عناية خاصة من الزوجين، وتشجيع من الأهل والأصدقاء لهما حتى يتغلّبا على أزمة الثقة، ويتحول كلٌّ منهما إلى الإحساس بالثقة إلى الآخر والاطمئنان إليه ».[1]

لو بحثنا عن أساس الأزمة وأسبابها في أول عام من الزواج، سنجد أنّها ترجع إلى ثلاثة أخطاء، قد تجتمع دفعة واحدة وقد تفترق: فهناك رسم صورة مُغرقة في المثاليّة الشاردة والأحلام الجانحة عن العلاقة الزوجيّة! وهناك ترسّب أفكار خاطئة وتصوّرات مغلوطة حول

---

1 . «العلاقة الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس»، صـ 218.

التّعامل مع شريك الزواج! وهناك الجهل بطرق التّعامل مع شريك الحياة لبناء علاقة قويّة وجميلة ومستقرّة! وهذا ما يحتّم ويقتضي معالجة هذه الأخطاء على النحو التالي:

❖ **الخطأ الأول**: بعد المعاشرة اليوميّة وتقلّبات الحياة، تظهر شخصيّة الزوجين على حقيقتها وطبيعتها. ولأنّ كلّ واحد من الزوجين ـأو أحدهما ـ كان يرى الكمال في شريكه، فإنّهما يصابان بصدمة عنيفة، تزلزل كل شيء فيهما وبينهما!

❖ **الخطأ الثاني**: يدخل الزوجان ـأو أحدهما ـ عالم الزواج وهو مثقل بأفكار خاطئة مترسخة في عقله. ولأنّ الإنسان أفكار تترجمها أفعال، فإنّ هذين الزوجين ـأو صاحب الأفكار المنحرفة ـ لا يستطيعان التّعامل إلا بإملاءات تلك الرواسب المنحرفة والأفكار الجاهلة!

❖ **الخطأ الثالث**: كثيرون يفتتحون تاريخ زواجهم بحب كبير وإعجاب جميل ورغبة عارمة في حياة مليئة بالسعادة والجمال. ولكن بسبب نقص المعلومات حول فنون تحقيق ذلك، يخطئان التّصرف من حيث يرغبان في الإصابة، فتكون النتائج عكس ما خططا له!

إذن كيف يمكن إصلاح هذه الأخطاء؟ يكون ذلك كالتالي:

❖ **إصلاح الخطأ الأول**: ينبغي أن يدرك الزوجان أنّ الإنسان ناقص ومحدود بطبيعته. ولهذا لا يجب أن يغرقا في المثاليّة البعيدة عن التّحقق في الواقع، بل يتعاملا بينهما بواقعيّة أكثر، وليتذكر أنّ غرض الزواج هو استكمال النقص فيهما، كما بيّناه سابقاً.

❖ **إصلاح الخطأ الثاني**: ينبغي أن يدرك الزوجان أنّ الأفكار المترسّبة في أعماقهما لا تمت للدين بأدنى صلة، لأنّها إما تقاليد سخيفة أو أفكار هدّامة ينشرها المفسدون. ولهذا ليس واجباً عليهما أن يتقيّدا بها في المعاملة بينهما، لأنّ مصدر المسلم هو القرآن والسنّة فقط.

❖ **إصلاح الخطأ الثالث:** ينبغي أن يدرك الزوجان أنّ صدق المشاعر وصفاء الأحاسيس بينهما، لا يكفي لتحقيق السعادة الجميلة وجلب الاستقرار الدائم. فالحب الحقيقي أفعال وممارسات عمليّة. ولهذا يجب أن يتعاونا ويتحاورا حول أفضل الطرق لتحقيق ذلك كله.

بدون وعي واضح بكل هذه الأمور، من المؤكد أن الزواج محكوم عليه بالفشل وبالمأساة الأليمة! ومن هنا، فهذه دعوة لكل حديثي عهد بالزواج: لا تكونا ساذجين في التعامل بينكما، المفروض أنكما ناضجان بما فيه الكفاية، لكي تفهما أن الزواج حياة جديدة، يلزمها أسلوب جديد.

لنتأمل القصة التالية:

«أحمد وهند تزوجا بعد قصة حب عنيفة، كما أخبراني. لكنّهما وبعد مرور ستّة أشهر على الزواج بدآ في العراك والتّشاجر، لدرجة أنّ أحمد حطم في أسبوع واحد فقط: 3 أطباق، 12 كوباً زجاجيّاً، بالإضافة إلى المكواة، مع أنّ هذه الأشياء جميعاً مسجلة في القائمة!

وفي المقابل ذهبت هند إلى بيت أبيها ثلاث مرّات، ودفعت فاتورة هاتف بمبلغ 1200جنيه، هذا غير إهمال تنظيف البيت طوال فترة المشاك!! وعندما بدأ أحمد في التلويح بالطلاق؟! صرخت هند بأنّ هذا التهديد لا يخيفها، وليفعل _ إن استطاع! _ ما يقدر عليه!

عندما تدخلتُ شاهدت تفاصيل مملة ومكرّرة لمشاكل أنشأتها التّوقعات المبالغ فيها من كلا الحبيبين، دُمرّت على صخرة الواقع، ولم يستطيعا التّعامل معها بعقلانيّة وهدوء».[1]

هذه قصة فيها الكثير من العجب، كما فيها الكثير من العِبَر!

في هذا الإطار، ينبغي على الزوجين أن يفهما معنى أصيلاً وجوهريّاً للغاية، وهو في الواقع لا يتعلّق فقط بالعلاقة الزوجيّة، بل بكل مجالات الحياة المختلفة. هذا المعنى هو أنّ الإنسان عندما

1 . «أسطورة الحب». كريم الشاذلي. صـ 46. دار اليقين. 1430-2009.

يريد اكتساب لغة جديدة، تحصيل علم جديد، تعلم مهارة جديدة، دخول وظيفة جديدة، فإنّه ولابد يمر بثلاث مراحل، يمكن أن نصطلح عليها على النحو التالي:

- **(مرحلة التدرب)..** وهي المرحلة الأولى، حيث يكون الشخص غريباً عن هذا المجال، وبسبب غربته هذه يشعر بالتردد والخوف، كما أنه يقع في بعض الأخطاء.
- **(مرحلة التفهم)..** وهي المرحلة الثانية، حيث يكون الشخص قد عرف الكثير من آليات وأساليب التعامل في هذا المجال الجديد، لكنه تنقصه أشياء مهمة.
- **(مرحلة الإتقان)..** وهي المرحلة الثالثة، حيث يكون الشخص قد اكتسب خبرة ممتازة تمكنه من إتقان دوره وما يقوم به، بفعل الخبرة المتراكمة.

عندما يفهم الزوجان الجديدان هذا المبدأ، وهو كما قلنا مبدأ يشمل مختلف نشاطات الحياة، كما أنّه مبدأ متفق عليه بين الخبراء والحكماء، فبلا شك أنّهما سيستطيعان إدارة العلاقة الثنائيّة خلال العام الأول من الزواج. نعم؛ الأمر يختلف من شخص لآخر، أعني مدى قدرته على تجاوز المرحلتين الأولى والثانية بسرعة، ليصل إلى المرحلة الثالثة ويستمر نشاطه في إطاره. هذا واقع؛ إذ إن طبيعة الشخصيات تختلف من إنسان لآخر بفعل عوامل شتّى، لكن بشكل عام، حين يكون هناك وعي ونضج بين الزوجين، ويكون هناك حوار وعزيمة وهدف، فمن المؤكد أنّ وصولهما إلى مرحلة الإتقان يكون سريعاً.

ولهذا نقول: إن من أهم وأبرز أسباب المشاكل بين الأزواج عدم التعاون بينهما لتجاوز مرحلة التدرب، ثم عدم تعاونهما للانتقال إلى مرحلة التفهم، ثم عدم تعاونهما للوصول إلى مرحلة الإتقان. فكثيرون ـحتى من ذوي الشهادات العلياـ تمر عليهم الشهور وأحياناً السنوات، وهم يراوحون مكانكم في مرحلة التدرب، ولذلك تكون علاقتهم متوترة بشكل دائم، وعليها طابع

الكآبة والمأساة. كل هذا يرجع إلى غبش الرؤية وضبابية الهدف من الزواج، بالإضافة إلى الأفكار المنحرفة المترسبة في أذهانهم، عن الجنس الآخر، وعن معنى الزواج وغاياته!

إن الارتقاء إلى مرحلة الإتقان والفاعلية الإيجابية في التعامل والتعاطي، يتطلّب الوقت والجهد، كما يتطلّب الممارسة المستمرة والمراقبة الدائمة، والأهم أنه يتطلّب الرغبة العميقة والشعور الكبير بأهميّته الإتقان وضرورة المهارة في هذه العلاقة الثنائية والأسرية، لتحقيق السعادة والاستقرار وتجاوز كل التحديات، أي إنه لا يمكن أن يتحقق خلال أيام أو أسابيع أو حتى شهور قليلة. فواجب إذن على الزوجين الناضجين أن يكونا على دراية بهذا المعنى وذكر دائم منه.

« لكي تبلغ درجة الإتقان في حقل ما يجب أن تحب الموضوع الذي ترغب فيه إتقانه، وأن تشعر باتصال عميق به، ويجب أيضاً أن يفوق اهتمامك الحقل نفسه إلى الحد الذي نجده في الإخلاص الديني ».[1]

ماذا يعني كل هذا؟ يعني ـضمن ما يعنيـ أنّه على الزوجين غض الطرف عن كثير من العيوب والزلات، وتجاهل والتغابي عن كل كثير من الكلمات والتصرفات التي قد ينقبض لها القلب وتتأثر بها النفس، فلا يوجد إنسان خال من شيء من كل ذلك، قليل أو كثير، وإنما العبرة بالقلة والكثرة. بل نجد الله سبحانه لم يغلق الباب في وجه المخطئين والمذنبين، لعلمه جل جلاله بالطبيعة البشريّة الضعيفة، فقال: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.[2]

وهذه الدعوة أفرض ما تكون على الزوج، بحكم قوامته وطبيعته. فقد قالت الحكماء: « ليس حسن الخلق مع الزوجة كف الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها، والحلم عند طيشها وغضبها

1 . «الإتقان». روبرت غرين/ صـ 44/ العبيكان للنشر/ 1436-2015.

2 . آل عمران/135

». ولهذا ما زال الإسلام يوصي بالمرأة، حتى إن رسول الله ﷺ جعل من أمارات خيرية المسلم حسن تعامله مع زوجته، فقال: ﴿ خيركم: خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي ﴾.[1] وقال: ﴿ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم ﴾.[2] فانظر كيف قرن بين كمال الإيمان وبين حسن معاملة الزوجة!

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾.[3] قال المفسّر العلاّمة السعدي: « هذا يشمل المعاشرة القولية والفعلية، فعلى الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف، من الصحبة الجميلة، وكف الأذى وبذل الإحسان، وحسن المعاملة ».[4] ولا شك أنّ الرجل المسلم حين يكون على بصيرة من هذه المعاني، فإن سيحرص على التزام حسن المعاملة مع زوجته، وتقدير ضعفها والتغاضي عن بعض هناتها وزلاّتها. والواقع أن هذه كانت سيرة الرسول ﷺ مع زوجاته رضي الله عنهن، رغم اختلافهن في السن والخبرة والبيئة الأسريّة والقبليّة. ولهذا ليس من الحكمة في شيء أن يحاسب الزوج زوجته ـ وهي كذلك معه ـ على كل صغيرة وكبيرة!



عوامل التحديات:

إذن تحديات أول عام من الزواج حدث طبيعي جداً، وذلك للأسباب التّاليّة:

1. طبيعة الاختلافات بين شخصيّة الرجل وشخصيّة المرأة. وهي اختلافات لا يمكن بحال من الأحوال تجاوزها، وإلا لن يظل الرجل رجلاً ولا المرأة امرأة.

---

1 . «صحيح ابن حبان»

2 . «سنن الترمذي»

3 . النساء/19

4 . «تفسير السعدي». جـ 2 صـ 293.

2. طبيعة الاختلافات النفسيّة والتربويّة والفكريّة بين الزوجين، بسبب اختلاف البيئة والتجارب الشخصيّة، و كذا الوسط العائلي الذي نشأ فيه كلٌّ منهما!
3. تطرّف كثير من الأزواج في رسم صورة للعلاقة الزوجيّة تكون موغلة في المثاليّة والأحلام الورديّة، أو صورة تكون مطبوعة بطابع السلبية والتصورات الخاطئة!
4. رفض كثير من الأزواج للحوار البنّاء لتجاوز كل التحديّات ومواجهة الضغوط واستغلال الاختلافات بينهما لصالح إنجاح زواجهما، تحت ذرائع مختلفة!
5. جهل كثير من الأزواج بفنون إنماء الحب بينهما وطرق الحفاظ عليه لينمو نمواً جميلاً متألقاً دفاقاً، بسبب سذاجة مفهوم الحب في تصوّرهما!
6. إفساح كثير من الأزواج المجال للآخرين: الأهل والأصدقاء، بالتدخل في شؤونهما الزوجيّة، بدعوى تقديم النصح والإرشاد، وأنّهم أخبر بالعلاقة الزوجيّة!
7. ضعف التدبير الاقتصادي للمصاريف بسبب قلة الدخل أو الإسراف، وهو ما يسبب اختلالات معيشيّة لا يتحملها الزوجان، فيجدان أنفسهما بين: الحرمان أو الديون!
8. حدوث الحمل والإنجاب في العام الأول، فتضاف مشكلة أخرى، بسبب انصراف الكثير من الزوجات للاهتمام بالمولود وإهمال أنفسهن وأزواجهن!
9. إهمال كثير من الأزواج وضع هدف كبير لميثاقهما الزوجي، يكون هو الغاية القصوى التّي ينشدان تحقيقها بينهما مهما كانت الظروف وتغيّرت الأحوال!
10. غفلة كثير من الأزواج عن تحديد المصدر الذي يرجعان إليه _وهما كما قلنا القرآن والسنّة_ لتحديد الحقوق والواجبات، ومعرفة الصواب من الخطأ!

ولئن كان حدوث قليل أو كثير من هذه المنغصات، شيئاً طبيعيّاً، فإنّ ما ليس طبيعيّاً، بل وغير مقبول بتاتاً، لهو أن يدع الزوجان هذه المنغصات والتحديات تنمو و تتكاثر بينهما، حتّى تجرّهما إلى دوامات مُهولة من المشاكل العويصة لا يعرفان كيف يخرجان منها!

إنّ النتيجة الحتميّة لهذا الإهمال والإغفال من الزوجين ـخصوصاً في العام الأولـ في أهون الأحوال هي تحطم أحلاهما الثنائيّة وتشوّه جمال الحب في قلبيهما، فيستمرّان معاً في مأساة أليمة جداً! وتكون نتيجتها في أسوأ الأحوال هي الطلاق والفراق وتشريد الأطفال!

❁❁❁

إرشادات مهمة:

من أجل ذلك نقول لكل زوجين يرغبان فعلاً في الاستمرار معاً بمودة رفيفة، ورحمة حنون، وجمال دفّاق، مهما تقلّبت الظروف وضغطت الأحداث، تذكرا التنبيهات التّاليّة:

✓ لا يجب أن تفزعا من نشوب بعض المنغصات بينكما، بسبب سوء تفاهم عابر أو اختلاف في الرأي عادي أو ظن مخطئ. فهي ستظل ملازمة لكما حتى لو قضيتما مائة عام زواجاً. إذ اختلاف الطبيعة النفسيّة والذهنية والعاطفيّة فيكما لا مفر منه، ولذا لا يمكن أبداً تجاهلها.

✓ أقوى أسباب تجاوز أزمات العام الأول من الزواج، تتجلّى في الوعي البصير بأهداف الزواج ومقاصده الكبرى، سواء من الناحيّة الدينيّة أم النفسيّة أم الاجتماعية ـراجع الفصل الخاص بذلكـ. فهذا الإدراك الواعي من شأنه المساعدة على النجاح بنسبة كبيرة جدّاً.

✓ من الجميل جداً أن تُكثرا من الحوار في كل شيء، لردم هوّة اختلافات الشخصيّة والنشأة البيئة بينكما. فالحوار هو سبيل تقريب وجهات الرأي بينكما في كل شيء. وهذا من شأنه أن يزيد كل واحد منكما فهماً لشخصيّة الثاني وطبيعة احتياجاته ومتطلباته من الآخر.

✓ من المهم جداً أن تفهما أنّ الحب ليس مشاعر ممتعة لذيذة، بل هو مواقف وتصرّفات، تمثّل مادة حياته في القلب وتدفقه في الروح. وعندما يظل حبيس الكلمات والمشاعر، فإنّه سريعاً ما تخبو شعلته، ليتحول إلى ذكرى مبهمة في الأعماق، لكنّها بلا معنى وبلا قيمة!

✓ احرصا كل الحرص على عدم إشراك كثيرين ممن يظهرون الرغبة في المساعدة فيما قد ينشأ من التحديات بينكما، فهذا من شأنه أن يحف علاقتكما الزوجيّة بالقدسيّة والاحترام، فلا يتجرأ أحد على اختراقها، كما أنّه يزرع الثقة المطلقة فيكما لبعضكما بعضاً. أنتما راشدان كفاية.

✓ تذكرا أنّ الزواج الناجح هو الزواج المؤسس على التعاون والمشاركة، وبالتّالي فإن كل طرف منكما عاجز بالضرورة أن يقوم بتحقيق هذا النجاح بمفرده. بل لابد من تعاون العطاء ومشاركة التضحية وتواصل الحوار منكما معاً، لكي يستمر النجاح في زواجكما متجدداً دائماً.

✓ تذكرا أنّ النجاح الحقيقي هو الذي يُولّد نجاحاً آخر بصورة مستمرّة دائماً. إذ من الطبيعي جداً أن يخطئ الإنسان بالرغم من أنّ نيّته صافية وقصده حسن. ولهذا لا تجعلا الخطأ الجزئي بينكما سبب انتكاسة علاقتكما، بل اجعلاه سبب تصحيح وتقدم لمسيرة النجاح بلا انقطاع.

✓ من المفيد أن تحرصا عند الخطأ على العتاب الجميل والاعتذار الصادق. فلا يعاتبك إلا من يحبك حقاً، ولا يعتذر إليك إلا من يحترمك فعلاً. ولا شك أنّ عدم الاعتذار أو عدم قبوله يساهم في مراكمة رواسب قد تنفجر في أية لحظة، لتحطم كل شيء!

✓ من الخطأ أن تحرصا على تغيير طباع بعضكما بعضاً بشكل سريع و جذري. فالطبائع المترسخة من غير الممكن أن يتخلى عنها صاحبها بين عشية وضحاها. إذن ليتقبّل كلٌّ منكما صاحبه كما هو، والخصلة التي تزعجه منه يناقشه فيها، ثم ـوهذا مهم جدّاًـ يساعده على التخلي عنه.

✓ مفيد جداً أن يعرف كلٌّ منكما دوره كشريك في العلاقة الزوجيّة، ليحرص كل الحرص على القيام به أفضل قيام. فأداء الحقوق لصاحبها يدفع الثاني للقيام بواجباته، ولن تستقيم علاقة بين اثنين إلا بأداء الحقوق والقيام بالواجبات، على ألا يكون الأمر بشكل آلي وجاف.

✓ من أفضل طرق لتفادي أزمات ومنغصات العام الأول من الزواج هي: إعطاء الحب. تفنّنا في التعبير عنه، وتألقا في أساليبه، وابذلاه بسخاء لتشعرا به جميلاً في قلبيكما. فإعطاء الحب هو ضمان جلب الاستقرار وتغيير الطباع والتغاضي عن الزلاّت والتصميم على النجاح.

✓ لا تنسيا حقيقة أنّ الكمال مفقود، فالله وحده هو صاحب الكمال المطلق في كل شيء. ومن يطالب شريكه بأن يكون بتلك الصورة الكاملة كما يحلم بها، يجب أن يتذكر أنّه هو نفسه غير كامل. فحسن جداً أن تتعاونا على تكميل النقص فيكما معاً ، فتلك هي غاية الزواج أساساً.

✓ اعتبرا المنغصات عبارة عن فترات تدريب لمعرفة مكامن الضعف ومواطن القوة بينكما، لكي تستطيعا مواجهة كل التحديات كيفما كان نوعها وحجمها خلال مسيرة حياتكما القادمة، فروعة الحب إنّما تتجلى في بذل المجهود لتجاوز التحديات والتّعامل مع العراقيل بمرونة وسلاسة.

✓ من الضروري جدّاً أن يحرص الزوجان على دراسة الشخصيّة في بعضهما بعضاً. فمعرفة الشريك خلال الخِطبة مهما كانت واسعة إلا أنّها تظلّ ناقصة. لأنّ كشف الشخصيّة يحتاج للتفاعل اليومي المتواصل. ولا شك فهم الشخصيّة يساعد على معرفة مفاتح التّعامل معها.

✓ من المهم أن يفهم الزوجان أنّ وجود منغصات ونشوب نزاعات بينهما، ليس يعني موت الحب أو تراجعه في القلب. بل ليست في الحقيقة إلا مقوّيات الحب والدفع به إلى أطوار أخرى أكثر غنى وعمقاً و أشد إثارة وجمالاً.

أتصور أنّ هذه النقاط المذكورة كافية ووافية لتجاوز أزمات أول عام من الزواج وإنقاذ العلاقة الزوجيّة من الانهيار، يكفي ـبعد فضل الله وتوفيقهـ وجود الرغبة والتعاون والحوار والمبادرة الدائمة والمرونة في التعاطي مع شريك العمر.

وأود أن أشير إلى خطأ شنيع غير أنه شائع بين جمهرة عريضة من الأزواج الشباب؛ وذلك أن بعض هؤلاء ـمن الطرفينـ بمجرد أن تقع بينهما أدنى مشكلة وخلاف، أو أقل تحدٍّ وصعوبة، يهرعون إلى الأب أو الأم لطلب المساعدة وتقديم الحل لما نشب بينهما، أو لما اعترض حياتهما! ولاشك أن هذا التصرف ـكما قلناـ خطأ شنيع، لأنّه في الحقيقة يعكس شخصية طفولية لا تزال تعتمد على الوالدين في إنقاذها ومساعدتها وتحقيق رغباتها!

أعتقد أنه من الواجب أن يفهم الطرفان ـخصوصاً الزوجـ أنهما بالزواج انتقلا إلى عالم مستقل تماماً ـأو هكذا ينبغي أن يكونـ عن الأهل، وأن ذلك يعني بأنّ لهما من النضج والوعي والفهم ما يكفي لحل خلافاتهما وتجاوز تحدياتهما، دون انتظار اقتراحات الآخرين. على أنّ هذا التصرف يمكن ـجدلاًـ أن يستساغ من الزوجة، خصوصاً إن كانت صغيرة السن، لكن من المؤكد أنه لا يمكن بتاتاً أن يُقبل من الزوج!

إن الزوجة حين ترى زوجها كلما حدثت بينهما مشكلة أو اعترضت حياتهما مشكلة، ذهب إلى والديه يشكو ويطلب العون والمساعدة؛ لا شك أنّ قيمته تسقط ـولو قليلاًـ من قلبها، إذ تراه بذلك ضعيف الشخصية، غير جدير بالاعتماد عليه!

وفي المقابل يجب أن يفهم الآباء بأن ابنهم ـأو ابنتهمـ لم يعد الآن ذلك الطفل الصغير الذي يحرصان دائماً على توجيهه وإرشاده ومساعدته، بل لقد صار رجلاً، وصارت حياته مستقلة عنهم، ومن بالتالي لا يحق لهما التدخل في حياته مع شريكة حياته، بل إن كثرة التدخل وطرح الاقتراحات، حول كل شيء يخص حياته مع زوجته، غالباً ما تكون لها نتائج وخيمة وسلبية للغاية، ليس أدناها انزعاج الزوجة من هذا التدخل والتحكم، إذ من حقها أن تشعر أنها تعيش مع رجل، له شخصيته وفكره الخاص والمستقل.

ولنا في سيرة رسول الله ﷺ عبرة. فقد « جاء إلى بَيتَ فاطمَةَ عليها السَّلامُ، فَلَم يَجِدْ علياًّ في البَيتِ، فَقَال: أَينَ ابنُ عمِّكِ؟ فَقالت: كان بَيني وبَينَه شيءٌ، فَغاضَبَني فخَرَجَ، فَلَم يَقِلْ عِندي، فَقَال رَسولُ اللهِ ﷺ لِإنسانٍ: انظُر أينَ هوَ، فَجاء فَقَال: يا رَسولَ اللهِ، هوَ في المَسجدِ راقدٌ، فَجاء رَسولُ اللهِ ﷺ وهوَ مُضطجِعٌ، قدْ سَقطَ رِداؤُه عَن شِقِّه فأَصابَه تُرابٌ، فَجَعَل رَسولُ اللهِ ﷺ يَمسَحُه عنهُ، وهوَ يَقولُ: قُم أَبا تُرابٍ، قُم أَبا تُرابٍ ».[1]

---

1 . «صحيح البخاري»

ماذا نجد في هذا الحدث؟ نجد أولاً أن السيد فاطمة رضي الله عنها، لم تخبر أباها ﷺ بما وقع تفصيلاً، بل اكتفت بذكر وقوع خلاف بينها وبين زوجها. لأنها رضي الله عنها تدرك أنها الآن زوجة، وعلاقتها بزوجته مقدسة، ولا يجب أن تكون مفتوحة ولو لأبيها الذي هو رسول الله، بل يجب عليها أن تتحمل مسؤوليتها كاملة وتحرص على حل خلافاتها ومشاكلها مع زوجها بعيداً عن الآخرين. ونجد ثانياً أن النبي ﷺ حين ذهب إلى علي وهو في المسجد لم يكلمه بخصوص ما حدث بينه وبين زوجته، ولم يطلب منها عرضاً لما وقع، بل تعامل معه بأسلوب آخر كأن شيئاً لم يكن، هو أسلوب التهدئة والملاطفة لتفريغ النفس من شحنات الغضب والانزعاج (قم أبا تراب). وكل هذا يعني أن رسول الله ﷺ عرف حدوده في علاقته مع ابنته المتزوجة، وعرف حدوده مع صهره، ذلك لأنه عليه السلام لم يشأ أن يحشر نفسه في كل ما يقع بينهما.

لكن، هل هذا يعني أنه لا يجب على الأهل التدخل حين يقتضي الأمر ذلك، أو حين يلجأ الابن أو البنت لطلب العون والاستشارة؟ لا، ليس هذا المقصود من كلامنا، وإنما المقصود هو أن يعرف الزوجان متى يلجآن إلى الأهل لطلب المساعدة، وأن يعرف الأبوان متى يتدخلان بين ابنهم وزوجه أو بين ابنتهم وزوجها. ولنا في سير الرسول ﷺ عبرة.

حدث أن علياً رضي الله عنه فكر في التعدد، ووقع اختياره على بنت أبي جهل لعنه الله ـوهي مسلمةـ، فسمعت فاطمة رضي الله عنها الخبر، فثارت ثائرة الغيرة في نفسها، فلم تجد سوى أن تذهب إلى أبيها عليه السلام تشكو ما عزم عليها زوجها. فقام عليه السلام في المسجد وخطب قائلاً: « أما بعدُ، أنكحتُ أبا العاصِ بنِ الربيعِ، فحدَّثني وصدَقني، وإنَّ فاطمةَ بَضعةٌ مني، وأنا أتخوَّفُ أن تُفْتَنَ في دينها، وإني لستُ أُحَرِّمُ حلالًا ، ولا أُحِلُّ حرامًا. ولكن، واللهِ لا تجتمعُ بنتُ رسولِ اللهِ ﷺ وبنتُ عدوِّ اللهِ عندَ رجلٍ واحدٍ ».[1]

---

1 . «صحيح البخاري»

فكما نرى، هنا المشكلة ليست هيّنة ولا بالصغيرة، بل ستكون لها آثار كبيرة جدّاً، ولذلك ذهبت السيدة فاطمة إلى أبيها تطلب مساعدته. ولذلك أيضاً تدخل رسول الله ﷺ، فخيّر صهره علياً بين أن يمسك ابنته ولا يخطب بنت أبي جهل، أو يكمل ما عزمه عليه لكن عليه أن يطلق فاطمة. ولهذا قلنا آنفاً ينبغي على الزوجين أن يعرفا متى يكون طلب المساعدة من الأبوين مقبولاً، ومتى يكون تدخل الأبوان بين ابنهم وزوجه أو بين ابنتهم وزوجها مقبولاً.

وبعد: كثير من الأزواج يعتقدون أن عليهم البحث بشكل دائم ومتواصل عن المتعة واللذة والسعادة في علاقتهم الزوجية والأسرية، لتكون بذلك خالية من المنغصات والمشاكل والهموم، ومن ثم يشعرون بالرعب والهلع كلما ألّمت بأذهانهم فكرة الرتابة والملل والضجر والجفاف!!

والواقع أن هذا الخوف هو في نفسه خطأ كبير!!

إن إحساس الزوجين بالرتابة والملل هو في الحقيقة منبه على وجود خلل ما في حياتهما الثنائية أو الأسرية أو الحياة العامة. ومن هنا فالأزواج الناضجون يستغلون لحظات بروز الشعور بالملل والجفاف لإعادة النظر في نظام التعامل فيما بينهم، وفي طريقة الاستجابة للتحديات المختلفة، تحديات العمر، والأبناء، وظروف الواقع.

يجب أن نتذكر بأن الرغبة في حياة المتعة والتسلية والمرح بلا منغصات ولا هموم ولا ملل هي في الواقع رغبة طفولة، فالأطفال هم الذين يرفضون خوض غمار التحديات ومواجهة الذات.



كن شريكاً مثاليّاً:

الحقيقة التّي لا مراء فيها، أنّ الحياة الزوجيّة لكي تنمو نموها الطبيعي وتحقق أهدافهما المنتظرة وتسير في مسارها الصحيح، يجب أن يتحقق في كلا الزوجين نسبة لا بأس بها من مواصفات الشريك المثالي الذي ينشده ويحلم به كلاهما.

هذا الأمر يبدو طبيعيّاً جدّاً. فحين يخلو الطرفان ـأو أحدهما ـ من هذه المواصفات المنشودة، فمن الواضح أن هذه العلاقة الزوجيّة ستكون فاشلة بامتياز. إذ بدون قواسم مشتركة بين أي شريكين يطمحان لتكوين أسرة، لا يمكنهما أن يتقدما خطوة واحدة إلى الأمام.

على أنّنا لسنا بهذه الدعوة ندعو إلى شيء مستحيل، إطلاقاً، فذلك رسول الله ﷺ ما زال يحث المسلم والمسلمة على الارتباط بالشريك المثالي وفق المنطلقات الإسلاميّة، كما قال: ﴿ إذا جاءكم مَن ترضون دينه فزوجوه ﴾.[1] وقال: ﴿ اظفر بذات الدين ﴾.[2]

من أجل ذلك يحسن بالزوجين الناضجين تذكر الأمور التّاليّة:

1. يجب على الزوجين أن يحرصا بكل جهد لتحقيق أكبر قدر من نموذج الشريك المثالي لبعضهما بعضاً. فهذا السعي الدائب منهما هو حق كلّ واحد منهما على الآخر.

---

1 . «سنن الترمذي»

2 . «صحيح البخاري»

2. الحرص على تحقيق أرقى صور الشريك المثالي، لا يعني تحقيق الكمال لأنّ الكمال مفقود في عالم الدنيا، ومن طلب الكمال بقي وحيداً، إذ أنّ الكمال لله تعالى.
3. واجب على الزوجين معاً مساعدة بعضهما بعضاً للارتقاء إلى مستوى الشريك المثالي الذي يطمحان إليه. فلا يكفي المطالبة بذلك بل المساهمة في تحقيقه.
4. متعة وقيمة النموذج المثالي لا تكمن في بلوغ هذا المستوى دفعة واحدة، بل في بذل المجهود كل مرّة واستغلال كل فرصة طيلة الحياة للتحقق بصفات الشريك المثالي.
5. ينبغي دائماً أن نتذكر أنّك يوم قرّرت الارتباط بهذا الإنسان واتخاذه شريكاً لحياتك، فقد كنت تعلم أنّك ترتبط بإنسان مثلك له حسناته وسيئاته.
6. كل إنسان لديه من القدرات الفطريّة ما يستطيع بها أن يكون شريكاً مثاليّاً، فقط يجب أن يكتشف تلك القدرات وأن يساعده شريكه على ذلك.

أتصور أن هذه المعالم الستة عناصر مهمة لتحقيق هدف علاقة زوجيّة نموذجية، يكفي أن يتحرر الزوجان من تلك التصورات والحزازات التي تقف صخوراً صلبة في الطريق نحو السعادة والاستقرار الثنائي والأسري.

❁❁❁

ملامح الشريك المثالي:

ولهذا سأضع لك عزيزي القارئ باقة من التنبيهات التي أعتقد أنّها من العناصر المهمة التي ستساعدك على تحقيق صورة الشريك المثالي في العلاقة الزوجيّة.

❖ الشريك المثالي هو الذي يساعد شريكه على القيام بواجباته الدينيّة تجاه الخالق ﷻ. بل يحرص على تحقيق التطوير الدائم لعلاقته به جلّ شأنه من خلال التثقف في دينه، والإكثار من التقرّب إليه. ينبّه الرسول ﷺ على هذه الصفة فيقول: ﴿ رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى،

وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل وصلت، وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء ﴾.[1]

❖ الشريك المثالي هو الذي يحرص على استغلال كل فرصة ـبل ويحرص على ابتكارهاـ لجلب الرضا والصفاء والسعادة لشريكه: بحسن المعاملة وإيجابيّة التواصل معه، والتقدير لشخصيّته واحترام أفكاره ومشاعره، ومشاركته همومه وطموحاته. ينبّه الرسول ﷺ على أهميّة هذه الصفة في الشريك المثالي، فيقول: ﴿ خير نسائكم الودود الولود المواتية المواسية، إذا اتقين الله ﴾.[2] ويقول ﷺ: ﴿ خيركم: خيركم لأهله ﴾.[3]

❖ الزوج المثالي هو الذي يحرص على إحسان قوامته على زوجته، يحقق لها الأمان ويتغافل عن زلاتها، يحتمل مزاجها المتقلّب وضعفها العاجز، يخفف عنها متاعبها ولا يكلّفها من أمره عُسْراً. يؤكد لها ـ كلاماً وفعالاً ـ أنّها الحب والسعادة والحياة. ينبّه الرسول ﷺ على أهميّة هذه الصفة في الزوج فيقول: ﴿ استوصوا بالنساءِ خيرًا فإنهنَّ عندَكم عَوانٍ ﴾.[4] وكلمة عوان، لها دلالات عميقة جداً.

❖ الزوجة المثالية هي التي تحرص على طاعة زوجها بالضوابط التي سبق أن تكلمنا عنها، فتحرص على أخذ رأيه واستشارته، كما أنها تحرص على حفظ ماله من التبذير والتضييع، وأيضاً تعمل على تنشئة الأبناء نشأة إسلامية أصيلة، وكذلك رغم كل المسؤوليات، فإنها لا تنسى نفسها والاهتمام بأنوثتها من أجل أن يجد فيها ومعها زوجها ما تهفو نفس الرجل إليه في المرأة. والزوجة المسلمة تفعل كل هذا لا من أجل الحب والاستقرار فقط، بل من أجل الله أيضاً.

---

1 . «سنن أبي داود»

2 . «السلسلة الصحيحة للألباني»

3 . «صحيح ابن حبان»

4 . «سنن ابن ماجة»

أما عندما يرفض الزوجان ـأو أحدهماـ أن يكونا الشريك المثالي لبعضهما، فإنّ كل صفة جميلة ذكرناها آنفاً، يكون نقيضها هو سمة التّعامل بينهما، فهل تنتظر حينها أن يشعرا بالأمان والاستقرار! وهل تنتظر حينها أن ينمو الأبناء نمواً سليماً!

❁❁❁

قدر العلاقة الزوجية:

هذا هو قدر العلاقة الزوجيّة، إما أن يحرص كل طرف على أن يكون شريكاً مثاليّاً ورفيقاً نموذجيّاً، رغم كل التحديات والظروف والضغوط المرصودة في الطريق اللاحب أمام هذه العلاقة النبيلة، فيفوزان بالاستقرار والنجاح. وإما أن يهمل ولا يبالي الطرفان ـأو أحدهماـ بهذا الهدف بمبررات مختلفة لكنها واهية، فيخسران كل شيء!

وليت شعري ماذا يخسر الزوجان إذا سعيا وبذلا الجهد الجهيد ليكونا زوجاً رائعاً وثنائيّاً صالحاً، كما كان يحلم كل واحد منهما قبل الزواج؟! لن يخسرا شيئاً، بل يربحان الشيء الكثير: سعادة القلب، متعة النفس، ثراء الروح، أولاداً أسوياء، وفوق كل هذا، يربحان رضا الله سبحانه واللقاء في الجنّة.

أجل.. إنّهما لن يخسرا شيئاً، بل يربحان كثيراً، لولا أفكار بائسة تعشّشت في العقول، ولولا تقاليد تافهة مهيمنة على النفوس، ولولا غرور قبيح من الزوج وعناد شارد من الزوجة! فيا عجبي لمن يرضى لنفسه أن يمضي حياته في الشقاء والألم، في القلق والتحطم، بدل السعادة والسكينة، وبدل الأمل والتفتّح والانطلاق!

أيها القارئ الكريم: إذا كنت تعتقد أنّ الآخرين يعيشون حياة زوجية بئيسة، وأنت ترغب فيما هو أفضل وأجمل منها، فمن المهم أن تحرص على أن تكون شريكاً مثاليّاً، وهذا بطبيعة الحال يتطلّب منك جهداً ومثابرة واستمراريّة دائمة.

وحتى إن كان قد مضى على زواجك تاريخ طويل وأمضيته مع شريكك في بؤس وحرمان، كما هو واقع كثيرين، فلا تيأس أن تجدد علاقتك بشريكك، وأن تستأنف معه حياة جميلة فيما بقي لكما من العمر. فمن الخير والحكمة أن تعيش لحظات آخر العمر عيشة طيّبة جميلة.

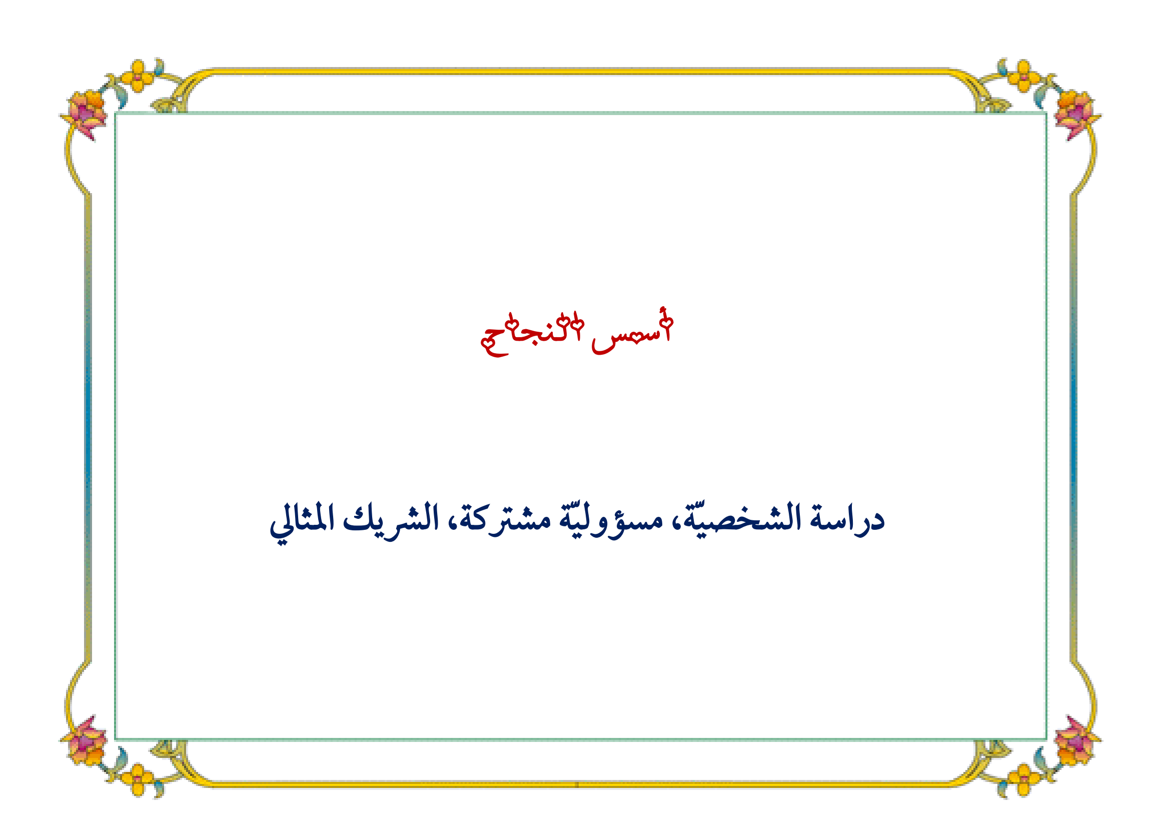
إن إحساس شريكك أنّك ترغب فعلاً في أن تعيش معه علاقة متميّزة، تتدفق مودة ورحمة، لا شك أنّ له مردوداً ضخماً جداً في ضميره ووجدانه، سيدفعه تلقائياً لأن يبذل هو الآخر جهداً أكبر لتحقيق ذلك الهدف المقدس.

نعم، هناك أصناف من الأزواج والزوجات يرفضون بإصرار عجيب أن يكونوا شريكاً مثاليّاً كما يتمنى ويرغب شريكهم. وهذا في الغالب يكون مرتبطاً بأسباب مختلفة، كعدم التحرر من الماضي الزوجي الحزين، أو رواسب معاناة بعض القريبات، أو ترسخ تصورات مشوّهة!

هذه حالات _وأعرف شخصيّاً بعضها_ تكون فعلاً معقدة، خصوصاً حين يكون هناك أطفال، أو يكون الزواج عائليّاً، ومع ذلك فلابد من الحوار الدائم وطُول النَّفس في معالجة هذا الرفض. ثم إذا تعذّر الإصلاح بعد المحاولات الجادّة، فما جعل الله تعالى علينا في الطلاق من حرج.

لقد حرص رسول الله ﷺ على أن يكون زوجاً مثاليّاً إلى آخر لحظة من عمره الشريف. فعندما كان في النزع الأخير، أشار إلى زوجته عائشة رضي الله عنها، أن تُلَيِّن سواكه بريقها، ثم أبى إلا أن تفيض روحه الطاهرة على صدرها الطيب. وهي لفتات رائعة ذات الدلالة الموحية!

إنّ جمالية مفهوم الشريك المثالي، تتجلّى في أمر واحد هو حرص الشريك على أن يظل نجمة متألقة في إحساس شريكه، على أن يكون كلمة منقوشة في قلب شريكه، على أن يكون أحلى إضافة في حياة شريكه. أو لنقل هو حرص الشريك على أن لا ينساه شريكه إلى الأبد.


أسس النجاح
دراسة الشخصيّة، مسؤوليّة مشتركة، الشريك المثالي

دراسة الشخصية



فهم الشخصيّة:

بعض الأزواج يدركون أنّ هناك فروقاً واختلافات بين الرجل والمرأة، إلا أنّهم لا يُوَفَّقُون كثيراً في حياتهم الثنائيّة، وذلك ما يتسبب لهم في مشاكل كثيرة وأزمات حادة، تكون لها عواقب مؤسفة، كان يمكن تفادي الوقوع فيها!

وبادئ ذي بدء، يجب أن نقرر هنا بأنّ من أبرز أسباب هذا الفشل هو غفلتهم عن دراسة شخصيّة الطرف الآخر، والتعامل معه على أساس فهم واعي بشخصيّته! وإنما يكتفون في فهم بعضهما بما تلقوه واكتسبوه خلال حياة ما قبل الزواج، من هنا وهناك!

إنّ أي شيء ترغب في إتقان التّعامل معه وتحقيق أهدافك منه، يلزمك أوّلاً أن تدرسه جيّداً، لتعرف طبيعته وتركيبته وجوانب عمله، وإلا فإنّك ستتعب كثيراً في التّعامل معه، وستحرم نفسك الإفادة الفعّالة منه، بل ومن المحتمل جدّاً أن تستغني عنه بسرعة!

خذ جهاز الحاسوب مثالاً: فإذا كنت تجهل المبادئ الأوليّة للتّعامل معه، فإنّك لن تُقَدّر قيمته ولن تفيد منه أبداً، ولن يكون العيب في الحاسوب، بل العيب فيك أنت بسبب جهلك بطرق تشغيله، وعدم حرصك على معرفة أهم مكوناته ووظائفها في التشغيل!

وخذ السيّارة مثالاً آخر: فإذا كنت تجهل فن السياقة، فمن المؤكد أنّك قد تصطدم بحائط أو تدهس شخصاً، ليس عمداً منك لفعل ذلك، بل هو نتيجة حتميّة لجهلك بفن السياقة وعدم معرفتك بإدارة المقود وما يتصل به من أزرار وغيرها!

الرجل والمرأة الذكيّان يحرصان على معرفة شخصية الآخر من خلال الاطلاع على الدراسات الجادة والأفكار الحكيمة التي يطرحها أهل الخبرة والحكمة والهدى، غير أنّهما لا يكتفيان بذلك، بل يحرصان على دراسة شخصيّة بعضهما من أول يوم تستقر بينهما الخِطبة، ثم يتطور الأمر حين يجتمعان في فردوسهما الصغير، ثم يستمرّان كذلك مع مختلف مراحل العمر إلى الموت.

والزوجان الناضجان يفعلان ذلك من أجل إدراكهما بأنّ الإنسان يعيش ضمن ظروف وأحداث وملابسات متشابكة، سواء قبل الزواج أم بعده، وهذا يؤثر فيه بالضرورة، قليلاً أو كثيراً. وأيضاً من أجل وعيهما بأنّ الله تعالى قد خلق الناس أصنافاً مختلفين في كل شيء: الأفكار، الطباع، التّوجهات، الرغبات.. إلخ، وهذا ينعكس على حياتهم، قليلاً أو كثيراً.

إذا تأملت هذين الأمرين جيّداً، أعتقد أنّك ستوافقني على أهميّة دراسة وملاحظة شخصية شريك العمر ومتابعة تطورها عبر خط الزمن. غير أنّ هذه الأهميّة تبرز في المعالم التاليّة:

- ✓ يعتبر فهم شخصيّة شريك الزواج أقصر الطرق إلى قلبه والتأثير عليه.
- ✓ يعتبر فهم شخصيّة شريك الزواج مفاتح للنجاح في التواصل والتّفاعل معه.
- ✓ يعتبر فهم شخصيّة شريك الزواج مساعداً قويّاً في تنميّة زهور الحب معه والتّمتع بجمالها.
- ✓ يعتبر فهم شخصيّته شريك الزواج مهمّاً في تحقيق الهدف الأقصى من الميثاق الزوجي.
- ✓ يعتبر فهم شخصيّة شريك الزواج عاملاً مهمّاً في الإفادة من إيجابياته وتجنّب سلبيّاته.
- ✓ يعتبر فهم شخصيّة شريك الزواج مساهماً فعّالاً في فهم أطوار العلاقة الثنائيّة.

أو لنقل تلخيصاً: تتجلّى إيجابيات دراسة شخصية الشريك في كونها تحقق **(فهماً أفضل)** له، هذا الفهم يساعد على **(التنبؤ السديد)** بتصرفاته وردود أفعاله ضمن مختلف الظروف، وهذا التنبؤ يساعد على **(ضبط أسلوب التعامل معه)** وتوجيهه الوجهة الصحيحة بنسبة كبيرة جدّاً.

تلك بعض إيجابيّات وفوائد فهم شخصيّة شريك الزواج. أما السلبيات الناتجة عن إهمال دراسة شخصيّة الشريك فهي عكس ما ذكرنا، مع التنبيه على أنّ مآل الجهل بشخصيّة شريك الزواج، ليس إلا الصراخ والصراعات وتبادل الانتقام الصامت، مع أجواء مكهربة ومشحونة بالتوتر والقلق الدائم، وهو ما يؤثر تأثيراً سلبياً على الأطفال، هذا طبعاً إذا لم يكن يحدث الطلاق!

❁❁❁

اختلاف الشخصيّة:

هناك حقيقة كبيرة جدّاً ينبغي أن يكون الزوجان واعيين بها بشكل واضح، ألا وهي: أنّ لكل شخص (رجل أو امرأة)، شخصية خاصة به، تميّزه عن الآخرين. وهو تميّزٌ تشكّل وتكوّن _ كما أشرت آنفاً_ في إطار عوامل وظروف مختلفة ومتشابكة عبر سنوات طويلة.

من أجل ذلك فإن أحد أسوأ الأخطاء التي يقترفها الزوجان، هو اكتفاء الزوجة بالقول: (هو رجل كالرجال)! واكتفاء الزوج بالقول: (هي امرأة كالنساء)! ومكمن الخطأ هو أنّ هذا التصور المغلوط يتجاوز تأثيرات سنين طويلة عاشها شريكه قبل الارتباط به، ويتجاهل كذلك تأثيرات مختلفة يعيشها هذا الشريك يوماً بعد يوم في ظل واقع ضاغط ومتشابك!

نعم، ما من شك في أنّ هناك أشياء ثابتة في شخصية الإنسان، رغم تطور العمر وتناوب الظروف والأحداث المختلفة. كما أنّه ما من شك في أنّ الرجال كلهم يشتركون أشياء معيّنة، سواء في الاحتياجات أم في السلوكيّات. كما أن النساء كلهن يتقاسمن أشياء معيّنة، سواء في الاحتياجات أم في السلوكيّات.

كل هذا صحيح، لا جدال فيه. لكن، تظل هناك حقيقة مهمة للغاية، وهي أنّ لكل فرد شخصيّة تميّزه عن غيره تظهر معالمها حين التعاطي مع شريكه وفي أسلوب التعامل معه. كما أنّ

هذا الأسلوب والطريقة ليس نتاج الماضي البعيد والقريب، بل هو أيضاً نتاج طبيعة أسلوب تعامل شريكه معه وإدارة علاقته به والظروف المحيطة بهما.

ولبيان هذه الحقيقة، لا بأس أن أعرض مجموعة من الأمثلة ليتضح المعنى بشكل أفضل:

(الحب).. بالرغم من اتفاق الرجل والمرأة على الحب وأهميّته بينهما، إلاّ أنّ كل واحد يمارسه بأسلوب خاص يطبعه بشخصيّته:

- هناك رجل يعبّر لزوجته عن حبّه بأساليب ماديّة أكثر: كثرة الجنس، كثرة الهدايا.. إلخ.
- هناك رجل يعبّر لزوجته عن حبّه بأساليب معنويّة أكثر: الغزل، الاهتمام، المشاركة.. إلخ.
- هناك امرأة تعبّر لزوجها عن حبّها بطرق ماديّة أكثر: كثرة الجنس، أصناف الطعام.. إلخ.
- هناك امرأة تعبّر لزوجها عن حبّها بطرق معنويّة أكثر: إغراء الأنوثة، تدفق العاطفة.. إلخ.

(الجنس).. بالرغم من اتفاق الرجل والمرأة على أهميّة الممارسة الجِنسيّة بينهما، إلاّ أنّ كل واحد يمارسه بطريقة معيّنة، يضفي عليه معالم شخصيّته:

- هناك رجل يمارس بطريقة سريعة. وكلما أكثر من الكَمِّ اعتقد أنّه قد حقق نجاحاً باهراً!
- هناك رجل يمارس بطريقة بطيئة، فلا يهمه الكم بل الكيف هو مقياس النجاح عنده.
- هناك امرأة كلّما أكثرت مع الزوج من الجماع ظنّت أنّها حققت له الإشباع الجنسي!
- هناك امرأة تمارس مع زوجها بطريقة مثيرة وساخنة جدّاً، أي أنها تعتمد الكيف.

(الغضب).. كل علاقة زوجية تشهد حالات من المشادّات والنزاعات، تولد ثورة من الغضب في الزوجين. لكن كل شخص يعبّر عن غضبه بطريقة تناسب شخصيّته:

- هناك رجل إذا غضب من زوجته لشيء ما، فلا يفهم طريقة للتعبير عن غضبه ورفضه إلا شدة الصراخ، وهجران الفراش، وتكسير الأواني، وربما التعنيف الجسدي!

- هناك رجل لا يكاد يغضب إلا لأمور يراها خطوطاً حمراء، فإذا غضب يكون غضبه بصمت، ولا يكاد يتكلّم، ولكن حبّه لزوجته ينزل درجة أو درجات!
- هناك امرأة إذا غضبت من زوجها لسبب معيّن، فلا تفهم طريقة للتعبير عن غضبها إلا الصراخ، البكاء، هجران الفراش، ضرب الأولاد، وربما الرحيل إلى بيت أبويها!
- هناك امرأة إذا ثار بركان الغضب فيها، فإنّها لا تسمح له بإحراق علاقتها بزوجها، بل تغفر له بسرعة، لأنّها لا تفضل لغضب ساعة أن يهدم أشياء جميلة كثيرة بينهما!

(المشكلة).. الحياة الزوجيّة جزء من الحياة، فمن الطبيعي جدّاً أن تظهر بين حين وآخر بعض المشاكل في الطريق. لكن أسلوب التعامل يختلف بين شخص وآخر:

- هناك رجل هجومي، بمجرد حدوث مشكلة ما ولو مع آخرين، يعلن الهجوم الحاد على الزوجة، يلقي باللائمة عليها مع كلمة كالقذائف الصاعقة!
- هناك رجل انسحابي، بمجرد وقوع مشكلة ما يفضل الانسحاب بدعوى (نتناقش لاحقاً)، ويترك الأمر مفتوحاً، فتتراكم الرواسب، حتّى تأتي لحظة الانفجار!
- هناك امرأة بمجرد حدوث مشكلة ما، تشعر كأنّ حياتها توقفت! فتبدأ في حرب النكد على الزوج، واتهامه بأنّه المسؤول بسبب استهتاره ولامبالاته!
- هناك امرأة مع حدوث المشكلة، تحتويها وتناقش أسبابها، وتحاول الوصول مع زوجها إلى حل أمثل لها، لأنها تعلم أن لكل مشكلة حلاًّ، يكفي تغيير زاوية الرؤية.

تلك مجرّد أمثلة عابرة لتفهيم الفكرة، ولم نقصد بها إيراد جميع شخصيّات الرجال والنساء. ولهذا نشدد دائماً على أهميّة استيعاب شخصية شريك الزواج ومعرفة طبيعتها ومفاتحها، فذلك جدير أن يُكثر من القواسم المشتركة ويقلل من أسباب الخلاف والصراع.

❁❁❁

وسائل ومجالات:

أحياناً يكون لدى الزوجين رغبة قويّة في فهم نفسيّة بعضهما لكي يحسنا أساليب التعامل بينهما، غير أنّهما يجهلان الوسائل المساعدة على ذلك، فيكثران من الخطأ من حيث يحرصان على الإصابة. ومع مرور أيام الزواج وضغط الظروف يصابان بالإرهاق والملل والنفور!

في هذا الإطار، يمكننا تحديد ثلاث وسائل كبرى، يستطيع بها الزوجان ـبإذن الله تعالىـ فهم شخصيّة بعضهما بسهولة وسرعة كبيرة. وهو ما يساعدهما لفهم بعضهما بشكل أفضل، وفي جميع مراحل العمر التي تتدخل فيها تشكيلها وتوجيهها مجموعة من العوامل المختلفة.

❖ **التّعلّم المستمر**: المعلومة الجديدة، ثراء للعقل والروح، تفتح للإنسان باباً آخر في الفهم والإدراك، وبالتّالي تُحدث تغييراً جميلاً في طريقة تناوله لمختلف المواضيع. فمطالعة مقالة، كتاب، حضور محاضرة، مشاهدة برنامج، أو زيارة مواقع، بشكل دوري ومستمر، كلُّ هذا يسهم في تطوير إدراك الزوجين لطبيعة شخصيّتهما ومعرفة أفضل الطرق في التّعامل بينهما.

❖ **الحوار الدائم**: الحوار ليس مطلوباً بين الزوجين، لإبعاد الوحشة بينهما فقط أو حين تقع بينهما مشكلة أو حين تعترض حياتهما بعض العراقيل، بل هو مطلوب بشكل أكثر لأنّه أفضل وسيلة للتقارب بينهما، في مختلف الجوانب: (العاطفة، التفكير، الجنس، التخطيط، الأولاد.. إلخ). ولهذا ففسح الزوجان المجال للحوار بينهما بشكل يومي ومتواصل، عنصر مهم وضروري.

❖ **المشاركة الإيجابيّة**: المشاركة الإيجابيّة في كل الأمور الكبيرة والصغيرة بين الزوجين من أهم عناصر فهم الشخصيّة. فبقدر ما تفسح المجال لهما لتطبيق أفكارهما لإنجاح علاقتهما، بقدر ما تعطي لهما فرصة دائمة للتقارب النفسي والعاطفي والفكري، وبذلك تتعمق خبرتهما بشخصيّة كل واحد منهما. وهذا يساعدهما بشكل إيجابي على تنمية وتطوير علاقتهما الزوجيّة.

أما إذا جئنا لتحديد مجالات دراسة الشخصيّة، سنجد التالي:

❖ **دراسة المبادئ**: كلّ إنسان له مجموعة من المبادئ يعتبرها خطوطاً حمراء لا يمكنه أبداً تجاوزها، وإلا شعر بعدم القيمة والاحتقار لذاته. فبالنسبة للمسلم هناك مبادئ تميّز شخصيّته، منها (طاعة الله تعالى أهم من كلّ شيء. الاحتكام إلى شرع الله تعالى واجب. الآخرة الأبدية أسبق من الدنيا الفانية). إذا عرف الزوجان مبادئ بعضهما يكونان قد قطعا أشواطاً كثيرة في فهم شخصيّة بعضهما.

❖ **دراسة التفكير**: الإنسان مجموعة من الأفكار المختلفة. بمعني أنّ أفكار الإنسان هي المحرّك والموَجِّه الرئيسي لحياته، وهي التّي تحدّد له كيفيّة التطبيق العملي لمبادئه، وهي التّي ترشده إلى كيفيّة تحقيق أهدافه العليا. فإذا عرف الزوجان طبيعة التفكير في بعضهما، سيسهل عليهما توقع ردود الأفعال والتوجّهات المختلفة و تفسير مختلف المواقف والتصرفات، وبالتّالي معرفة أفضل الطرق للتّعامل بينهما.

❖ **دراسة التديّن**: المسلمون طبقات شتّى في التدين. ونعني بالتديّن الالتزام بروح الإسلام وفرائضه وآدابه: في التفكير، في الأخلاق، في السلوك، في الأهداف. فإذا عرف الزوجان مستوى تديّن بعضهما، فلا شك أنّهما سيعملان ـلأنّهما سبق أن حدّدا اللقاء في الجنة هدفاً لعلاقتهما الثنائيّةـ على التّعاون بينهما لتطوير وتنميّة شعورهما الديني وتطبيقه في حياتهما الزوجيّة، وتربيّة أطفالهما.

❖ **دراسة الانفعالات**: الإنسان لا يستطيع أن يحبس نفسه عن الانفعالات المختلفة، سواء الإيجابيّة أو السلبيّة. والنّاس مستويات في الاستجابة لهذه الانفعالات الشخصيّة المختلفة. فإذا عرف الزوجان طبيعة الانفعال في بعضهما، سيدرك كلٌّ منهما تلقائيّاً الأشياء التي تؤثر سلباً أو إيجاباً على الآخر، وبالتّالي سيحرصان دائماً على استفزاز انفعاله الإيجابي، والابتعاد عن استفزاز انفعاله السلبي.

❖ **دراسة الميولات**: كلّ إنسان له ميولات مختلفة (في الأكل، في اللباس، في الهوايات.. إلخ). بل كثيراً ما نجهل أسرار بعض ميولاتنا الشخصيّة، فلا نستطيع عرض تعليلات معقولة لها، كما أنّنا إذا رغبنا في تغييرها أو تهذيبها، فإنّ الأمر قد يتطلّب وقتاً طويلاً وصبراً كبيراً. فإذا عرف الزوجان ميولات بعضهما، سيتمكّان من إغلاق أبواب من الشرّ عظيمة، وسيجدان الفرصة واسعة للتقارب بينهما أكثر.

❖ **دراسة الأهداف**: لابد للإنسان من أهداف يسعى لتحقيقها، فإنجازها يمنحه الشعور بالقيمة، وبفقد الهدف يفقد تلقائيّاً احترامه لنفسه. والزوجان المسلمان رغم أنّ هدفهما الأكبر هو رضوان الله تعالى، لكنّ ذلك لا يمنع من وجود أهداف جزئية وصغيرة (بناء بيت، شراء سيّارة، مشروع مادي.. إلخ). ومن هنا يكون وعي الزوجين بالأهداف الصغيرة بينهما عاملاً مهمّاً في فهم شخصيّتهما وتطوير علاقتهما.

❖ **دراسة العلاقات**: الإنسان كائن اجتماعي، لا يستطيع العيش وحده. ولهذا لا يفتأ يبحث عن أشخاص يجتمع بهم وينشئ روابط الصداقة معهم. فالعلاقات الاجتماعية تلبي للإنسان احتياجات مهمة. ولهذا فمعرفة الزوجين بشبكة وطبيعة علاقات بعضهما الاجتماعية (الأصدقاء، العائلة)، له دخل كبير في معرفة شخصيّة بعضهما، وتقديم الكثير من الإشباع الذي يسعى إليه كل واحد منهما في علاقاته الاجتماعيّة.

❖ **دراسة اللذة**: معرفة مسارات اللذة ومواطن الإثارة والأشياء المغرية من أهم عوامل النجاح والاستقرار. إذ لا يكفي تلك المعرفة المجْمَلَة، أي ما يروق للرجل لأنّه رجل، وما يروق للمرأة لأنّها امرأة. ففي الواقع، فإنّ كل فرد له أوتار معيّنة، عندما يعزف عليها شريك الفراش يشعر بذروة النشوة، وإلا فلن يشعر بالامتلاء والارتواء، فيظل دائماً يشعر بالحرمان والتوقان، وهو ما يترتّب عليه آثار خطيرة.

تلك هي أهم مجالات دراسة الشخصيّة التّي يحسن بالزوجين الاهتمام بها من أول يوم من تاريخ زواجهما. إذ بدون فهم هذه المجالات، لا يمكن لأيٍّ من الطرفين معرفة مفاتيح قلب شريكه وسُبل الوصول إليه! ولا فهم أساليب التعبير عن الحب كما يريدها شريكه! كما لن يستطيع مساعدة شريكه على تطوير إيجابيّاته وتغيير سلبيّاته! وأيضاً لن يستطيع التّعاون معه لتجاوز التحدّيات ودفع الصعوبات المختلفة.

وأخيراً، من المهم جدّاً أن نتذكر بأنّ دراسة شخصيّة الشريك لا يجب أن تتقيّد بمرحلة زمنيّة محددة، كما سبق وأشرت، بل من المفيد والضروري أن تكون بشكل دائم عبر محطات الحياة. إذ أنّ تدرّج أطوار العمر وخوض التجارب وتوسع العلاقات وتجدد الخبرات، كل هذا يسهم بشكل جذري في إحداث تغييرات ـقليلة أو كثيرةـ في شخصيّة الإنسان.

والخطأ الذي يقع فيه جمهور الأزواج ـوبالتّالي يدفعون بسببه ثمناً باهظاً جدّاً من سعادتهما النفسيّة واستقرارهما العاطفي بل والأسريـ هو تعاملهم بنفس طريقة التّعامل يوم اجتمعا معاً أوّل مرّة تحت سقف واحد، ظنّاً منهم أنّ الإنسان نسخة جامدة لا يمكن أن تتوالى عليه ظروف إيجابيّة أو سلبيّة، قد تغيّره بشكل جذري، ولذلك تجدهم لا يعرفون ماذا يقدمون ولا ماذا يؤخرون بينهما، ودائماً يقيسون المرحلة العمرية الراهنة على مرحلة الخطبة أو بداية الزواج!



تغيير شريك الزواج:

من العقبات الكأداء التّي يصطدم بها الزوجان في المراحل الأولى من حياتهما الثنائيّة، عقبة تغيير الشخصيّة من حيث طباعها، ميولاتها، هواياتها، وأفكارها! ولا شك أنّ كل طرف يفعل هذا ويحرص عليه لأنّه يعتقد أنّ تغيير شريك الزواج سيُسْهِم بشكل فعّال في التقريب بينهما وتحقيق السعادة وجلب الاستقرار لحياتهما.

إنّ النتيجة التلقائيّة لهذه الرغبة العارمة والمندفعة، هي أنّ الزوجين يسعيان للمس التغيير بسرعة، وأن يكون هذا التغيير في المستوى المنشود والتوقعات المنتظرة والتخطيط المراد! غير أنّهما بمجرد أن يفشلا في تحقيق هذا الهدف وعدم رؤيته واقعاً ملموساً _وهذا ما يحدث دائماً!_ يصابان بخيبة أمل حادّة، وبإحباط شديد، بل بصدمة عنيفة!

الذي يحدث نتيجة لهذا الإخفاق والفشل والإحباط هو أنّ جيوشاً من الاتهامات المتبادلة تغزو حياة هذين الزوجين، وتنفث سمومها في سمائها، وتطلق روائح منتنة في أجوائها: أنتَ لا تحترم رغبتي! أنتِ تعاملينني كمن يجب أن يعاد توجيهه! أنتَ لا يمكن الاعتماد عليك في تحمل المسؤولية! أنتِ لا تعرفين أي شيء في العلاقة مع الزوج!

إلى آخر هذه القائمة السوداء من الاتهامات التي لا تدل ولا تعبّر إلا عن عقل متهور وفكر ضحل وسذاجة عجيبة يتمّع بها هذا الصنف من الأزواج، إذ لم يفهما أنّ التغيير في كل شيء لا يأتي بغتة ولا بمجرد الرغبة والأحلام، فالتدرج سنة من سنن الله تعالى في حياة البشريّة، كما في حياة الكائنات بل وفي الوجود كله: ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾.[1]

يمكننا وصف نتائج هذا الموقف المزري بين هذين الزوجين بالطبيعيّ جدّاً، فمن يزرع شوكاً يحصد شوكاً! ومَن استعجل شيئاً قبل وقته عوقب بحرمانه! لكن، لماذا _وهذا يجب أن نعترف به وأن نتذكر جيداً_ هناك صعوبة في تغيير شريك الحياة؟!

في تصوري، فإنّ الأمر يرجع إلى سببين كبيرين:

1. شخصيّة الإنسان التي تشكّلت وتكونت عبر مراحل العمر بكل ما فيه من أحداث وخبرات وأحلام وأفكار ورغبات ونجاح وفشل.

1 . الأحزاب/62

2. يعتبر الإنسانُ حرص شخص آخر ـولا يهم مَن يكونـ تغيير شخصيّته عدواناً عليه وطعناً في قيمته وإهداراً لكرامته، وحذفاً لتاريخه الماضي!

عندما يدرك الزوجان هاتين الحقيقتين، لا جرم أنّهما سيتريّثا طويلاً، قبل فتح بتلك القائمة السوداء من الاتهامات! ولكن، هل هذا يعني أنّنا يجب أن نتقبل شريكنا بكل سلبياته ومساوئه التي تُشعرنا بالضيق والانزعاج الدائم، بدون أن نحاول العمل على تغييرها مع مرور الأيام؟

لا، ليس هذا هو المقصود، بل يمكننا تغيير شريك الحياة، كل ما في الأمر أنه من المفيد تذكر المعطيات والتنبيهات التّاليّة:

❖ قبل قرار تغيير شريك العمر، يجب أوّلاً دراسة شخصيّته بصورة كاملة. فشخصيّة الإنسان أشبه بنقاط شبكة متداخلة، بعضها يؤثر في بعض. ولا يمكننا أن نفصل بين هذه المكوّنات (أفكاره عن أخلاقه، أخلاقه عن سلوكياته، أهدافه عن تصوراته.. إلخ).

❖ قبل قرار تغيير شريك الحياة، من المهم جدّاً أن يبتعد الزوجان عن هذه الرغبة في الأيام والأسابيع الأولى من تاريخ الزواج. فإنّ الاندفاع للتغيير منذ البداية، يحمل رسالة سلبيّة وهي: إنّه يريد أن يفرض عليّ من الآن وصايته، ليتحكّم فيّ كيف شاء!

❖ قبل قرار تغيير شريك الزواج، ينبغي أن ندرك أنّ الأمر سيتطلّب مدة لا بأس بها من الزمن، لأنّ الإنسان يعتبر محاولة تغييره رغبة في السيطرة عليه، بل وطعناً في تربيّته! وهذا يجعله يقف سدّاً منيعاً في وجه محاولة التغيير المنشودة.

❖ قبل قرار تغيير شريك الحياة، من المهم معرفة طبيعة هذه الطباع والتّصرّفات، هل يمكن أن تُشكل خطراً على العلاقة الثنائيّة أم لا؟ هل يمكن التعايش معها أم لا؟ كما يجب أن نعرف حكم هذه الطباع والتّصرّفات من الناحيّة الشرعيّة: هل هي جائزة أم محظورة؟

❖ قبل قرار تغيير شريك الحياة، حسنٌ جدّاً أن نفهم أنّ التّشابه الكامل بين الزوجين مستحيل، فكل إنسان له خصائص تميّزه عن الآخرين، وعندما يحاول الزوجان محو هذه الخصائص والمميزات، لكي يكونا "نسخة واحدة" فإنّ العلاقة الزوجيّة تفقد قيمتها ومتعتها.

❖ قبل قرار تغيير شريك العمر، جميل جدّاً أن ندرك أنّ الإنسان لا يمكن تغييره إلاّ إذا كان هو مقتنعاً بالتغيير، ولن يكون مقتنعاً إلاّ بحافز قوي، ولن يكون لديه الحافز إلا بالحوار اللطيف والصبر الجميل وحسن المعاملة. أما إصدار الأوامر بالتغيير والتعنيف فنتائجه وخيمة!

❖ قبل قرار تغيير شريك الزواج، حسنٌ للغاية اختيار الزمان والمكان. فينبغي استغلال فترات الراحة والانسجام، وينبغي أن يكون المكان هادئاً وجميلاً. ففي مثل هذه الحالات تكون نسبة التفاعل والاستجابة أكثر وأيسر، على عكس لحظات الإرهاق أو الضجيج.

❖ قبل قرار تغيير شريك الدرب، من المهم أن يدرك كل طرف أنّ أسرع طريقة لتغيير الآخر هي معاملته بالمثل، أي تطبيق ما يطلبه هو أيضاً منه. لأنّ هذا التّصرف سيُشعره بالحب والاحترام والرغبة في البقاء معاً ولكن بسعادة وصفاء.

❖ قبل قرار تغيير رفيق الحياة، يجب أن ندرك أنّ أشنع خطأ يمكن أن يرتكبه الطرف الساعي لتغيير شريكه هو تحسيسه بالنفور منه، لأنّه لم يستجب له بسرعة ولم يغيّر ما طلب منه! فهذا التّصرّف سيحدث هوّة واسعة بينهما، ستكون لها آثار مُهولة جدّاً.

❖ قبل قرار تغيير شريك الحياة، من الواجب أن يفهم الشريكان أنّ من أهم وأعظم الأسباب في تغيير الطرف الآخر، هو الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى، خصوصاً إذا كان الشيء المراد تغييره محظوراً في الشرع، كعدم الصلاة أو شرب الخمر.

❖ قبل قرار تغيير شريك الحياة، من المهم معرفة أنّ ما يُراد تغييره في الشريك، قسمان: **الأول** يجب تغيير بشكل جذري والإقلاع عنه بصورة كاملة. **الثاني** لا يجب تغييره، بل فقط تعديله وإدخال بعض الإصلاحات عليه.

بدون وعي بهذه التنبيهات؛ فلا شك أن النتائج المنطقية هي الإصرار العنيد في محاولة التغيير، وهي السقوط في هاوية الإحباط والتذمر والانزعاج الدائم!

في النهاية، فإنّ كل إنسان له عيوب ونقائص، فكما يطلب أحد الشريكين من الآخر التغيير فعليه أن يدرك أنّه هو الآخر لديه ملاحظات عليه!

قال رسول الله ﷺ وهو يعيب على من ينتقد الآخر أو يحرص على تغييره، وينسى نفسه: ﴿ يبْصِرُ أحدُكم القذَى في عينِ أخيهِ وينْسَى الجِذْعَ في عينِهِ ﴾.[1] أي أنّ الإنسان الناقد يبصر أقل شيء من العيوب في شخص آخر، ولكنّه ينسى عيوب نفسه التّي قد تكون أعظم!

قال يوهان جوته ـأديب ألماني، توفي 1832ـ: «عامل الإنسان كما هو وسوف يظل كما هو، وعامل الإنسان كما يمكن أن يكون ويجب أن يكون وسيصبح كما يمكن ويجب أن يكون».

إنّ روعة الزواج تتجلّى في قدرة الزوجين على التوفيق بين شخصيّتيهما وما تحملان من اختلافات في الأفكار والميول والرغبات، ليكونا ثنائيّاً رائعاً وزوجاً متفرّداً.

❁❁❁

نماذج وأمثلة:

لا بأس أن أضرب هنا بعض الأمثلة لبيان دلالات الكلام السابق:

الزوجة يزعجها سهر زوجها:

➢ **الطريقة السلبيّة..** اسمع يا فلان: يجب أن تقلع عن عادة السهر، فأنت الآن متزوج ولديّ حقوق عليك! أو: يجب أن تفهم أنّ السهر مضرٌّ بصحتك، ويكون سبباً في ذهابك إلى العمل

---

1 . «صحيح ابن حبان». القذى: الشيء التافه من الأتربة أو غيرها يلصق بالعين، الجذع: أصل الشجرة.

بكسل وضعف! أو: يجب أن تتذكر أنّه إذا حدث لك شيء، فذلك يعني أنّ مصاريف البيت ستقل، ولا يمكنني القبول بهذا أبداً!

➢ **الطريقة الإيجابيّة..** حبيبي ـمع بعض اللمسات والقبلات ـ ما رأيك أن نذهب إلى غرفتنا الجميلة، لدي سر لا يمكنني قوله هنا. أو: تذكر له مدى خوفها على صحته، وأن السهر مضرٌّ بالصحة، وأنها لا يمكن أن تقبل أن ترى حبيبها مريضاً. أو تُذكره بضرورة النوم باكراً لكي يستيقظا معاً قبل الفجر لصلاة الليل.

الزوجة يزعجها تدخين زوجها:

➢ **الطريقة السلبيّة..** اسمع يجب أن تفهم أنّك لم تعد حرّاً تفعل ما تشاء، الآن أنت متزوج، ويجب عليك احترامي ورعاية صحتي ونظافة أجواء البيت. أو: يجب عليّ أن أذكرك أنّ رائحة فمك تؤذيني عندما تكون بجانبي. أو: أن تحرمني من بعض الطلبات للتوفير وحضرتك تنفق على السجائر بسخاء، أمر غير مقبول!

➢ **الطريقة الإيجابيّة..** أميري الحبيب ـمع بعض الحركات الرقيقة ـ تعرف أنّك أغلى ما لدي في هذه الدنيا، وأنا أخشى عليك من كل شيء يمكن أن يسبب لك الأذى، فما رأيك حبيبي الغالي أن نتعاون معاً لتقلع عن التدخين؟ فهو محظور شرعاً، ومضر صحيّاً، ومؤذٍ لقلبي الذي يعشقك، تأكد أن الأمر سيكون سهلاً بإذن الله.

الزوج يزعجه تبذير زوجته:

➢ **الطريقة السلبيّة..** اسمعي ـلا ينطق اسمها ـ أنت مبذرة جدّاً للمال. أنا أحاول أن أجمع كل درهم وأن أعمل أكثر وأكثر، لكي نوفر بعض المال، أما أحضرتك فمستهترة بكل شيء، وتنفقين كأنّ لدي منجم ذهب! لا أفهم لماذا لا تقدرين تعبي لأجلكم! من الآن يجب أن تقللي إلى أدنى حد. أظن أنّ كلامي واضح جدّاً!

➢ **الطريقة الإيجابيّة..** زوجتي الغالية ـمع بعض القبلات واللمساتـ تعرفين أنّي لو أستطيع أن أوّفر لك عيشة راقية كأجمل الأميرات لما توانيت. لكن للأسف، فكما تعرفين فإنّ دخلي محدود، وهذا يمنعني من تحقيق الكثير من رغباتك، وهو شيء مؤلم لي. ما رأيك حبيبتي أن نتعاون على إدارة مصروفات الشهر بطريقة أخرى؟

الزوج يزعجه إهمال زوجته لزينتها:

➢ **الطريقة السلبيّة..** اسمعي يا فلانة، لم أعد قادراً على تقبّل هذه الحياة معك. عندما تزوجتك ظننتك فتاة أحلامي، ولكنّك ـويا للأسفـ خيّبت أملي فيك، من الواضح أنّني أخطأت الطريق! انظري لأولئك الفتيات في الخارج ألسن مثيرات للغاية؟! وأنت مثلك مثل الأَمَة أو العجوز التي لا تعرف من الزينة إلا اسمها!

➢ **الطريقة الإيجابيّة..** يا بهجة الروح أعرف أنّك تبذلين جهدك في خدمتي، والعناية بأطفالنا، وتوفير أجواء جميلة، وأنا أعترف لك بهذه التضحية الكبيرة. ولكن دعيني أصارحك بأنّه يزعجني جدّاً أن أراك ترهقين نفسك كثيراً، حتّى أنّك لا تجدين الوقت للاعتناء بنفسك! أقترح عليك أن نقرّر الآن تنظيم الوقت بشكل أفضل.

تلك بعض الأمثلة، ولم أقصد الإحاطة بكل شيء يمكن أن يطالب به أحد الشريكين من شريكه. إلاّ أنّي أقول لكل زوجين ـخلاصة لما سبق بيانهـ: لن تخسرا شيئاً إذا استعملتا منطق العقل وحسن الرفق ورقّة الأدب وسمو الأسلوب في المطالبة بالتغيير أو التعديل.

أتصوّر أيها الزوجان، أنّكما عندما قرّرتما تشكيل ثنائي بميثاق الزواج، فذلك يعني أنّكما ـضمنيّاًـ قد قرّرتما التنازل عن قليل أو كثير من الطباع والتّصرّفات، التّي درجتما عليها إبّان سنوات ما قبل الزواج. وإلا فإذا كُنتما مصمّمان على رفض التغيير، فلماذا تزوجتما ابتداء؟!

إنّ خروجك من بيتك إلى بيت آخر يجمعك بشخص آخر، يعني ضرورة ترك كثير من الطباع والتصرّفات والعادات التي كانت تسم شخصيّتك وحياتك في بيت والديك. ويعني ضرورة اكتساب طباع وتصرّفات وعادات تناسب وتنسجم مع الحياة الجديدة والبيت الجديد.

إنّ رغبتنا في الحفاظ على جمالية عهد الحب، على قدسيّة الميثاق الزوجي، على استمرار العلاقة الثنائيّة وتماسك أسرتنا الصغيرة.. إنّ كل هذا يوجب علينا أن نغيّر من طباعنا، عاداتنا، تصرّفاتنا، بل وهواياتنا، فقط لكي نرضي شريك العمر ورفيق الدرب وحبيب القلب.

لا يمكن أبداً أن نعلن الحب والاحترام، أو أن ندّعي الحرص على الاستمرار معاً، أو أن نرفع شعار أسرتنا وأولادنا غايتنا، وفي الوقت نفسه نرفض ـبعناد شديد وتفكير ساذجـ تغيير كلّ ما يمكن أن يضايق هذا الشريك، أو ينشئ صراعات خانقة، أو أزمات صامتة لأبنائنا!

إنّ علاقتك بهذا الإنسان الذي ارتضاك شريكاً له ليمضي معك حياته في هذا العالم، هذه العلاقة ليست حلبة صراع فيها منتصر ومنهزم، وليست سوقاً تجاريّة فيها رابح وخاسر! بل هي شيء مقدس، قيمة كبيرة وميثاق غليظ، ينبغي بذل المجهود للحفاظ عليه.

وتذكر دائماً قول الحق تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾.[1] وقول الرسول ﷺ: ﴿ ما كان الرِّفقُ في شيءٍ إلّا زَانَه ولا كان الفحشُ في شيءٍ قطُّ إلّا شَانَه ﴾.[2]



1 . الإسراء/53

2 . «صحيح ابن حبان»

مسؤولية مشتركة

حس المسؤولية:

كثير من الأزواج يفتقدون حسَّ المسؤولية الثنائيّة وأهميّة التّعاون الإيجابي والمشاركة الفعّالة، رغم كون كل ذلك من أهم عناصر النجاح للعلاقة الزوجيّة والاستقرار الأسري! وفي المقابل؛ هناك كثيرون عندهم ضبابيّة في تصور معنى (الزواج مسؤولية)، إذ يحصرونه في ضرورة توفير معيشة كريمة، وتربية الأطفال، والتخلي عن بعض حريات العزوبة!

إنّ إهمال الزوجين لشعار (نجاح زواجنا مسؤوليّة مشتركة بيننا)، لا شك أنّه يُولّد بينهما الشيء الكثير من المشاكل والصعوبات، التّي يمكن في آخر المطاف أن تهدم كيان العلاقة والأسرة معاً! هذا الإهمال وهذه اللامبالاة وهذه الضبابيّة من هؤلاء الأزواج عن معنى المسؤولية وشموليّتها، ترجع أسبابها إلى عدم الوعي الناضج والتصور الصحيح لجملة من الأمور. ألخصها في التالي:

- المسؤولية المشتركة مرتبطة بالغاية المنشودة من الزواج، ألا وهي استكمال معاني الإنسانيّة في الزوجين؛ معاني الرجولة في الزوج، ومعاني الأنوثة في الزوجة.[1]
- المسؤولية المشتركة مرتبطة بالاختلافات بين الزوجين. وهذا ما يحتّم عليهما أقصى درجات اليقظة لها، لتوجيه واستغلال هذه الاختلافات لصالحهما.
- المسؤولية المشتركة هي أساس تنشئة الأطفال تنشئة طيّبة صالحة، ليكونوا صالحين في مجتمعهم ولأمتهم. فلا يمكن أن ينشأ الأطفال نشأة حسنة في أجواء خانقة.

1 . تأمل قول الرسول ﷺ: ﴿ إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين فليتق الله في النصف الباقي ﴾. وقوله ﷺ: ﴿ من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الباقي ﴾، باعتبار أنّ غاية الدين ومهمّته في حياة الإنسان هي التسامي به إلى أرقى مستويات الإنسانيّة الفاضلة.

- المسؤولية المشتركة مرتبطة بمهمّة الإنسان في الحياة ومصيره بعد الموت. إذ كلا الزوجين لا يستطيع القيام بهذه المهمة، إلا بالتّعاون مع الآخر.
- المسؤولية المشتركة هي صمام الأمان من اهتزاز كيان الزواج والأسرة، ولذا فهي ضمان تحقيق الاستقرار وتدفق السعادة ونماء الحب بين الأطراف جميعاً.

من أجل ذلك، سأضع في هذا السياق باقة من التنبيهات المهمة التي ينبغي على الزوجين تذكرها دائماً، في سبيل بناء علاقة ثنائيّة مستقرة وأسرة متماسكة:

1. الزواج علاقة مقدسة وميثاق غليظ ومسؤوليّة عظيمة سيحاسَب عليها الزوجان أمام الله تعالى يوم القيامة بسبب الآثار الكبيرة الناتجة عنها في الحياة.
2. النجاح، السعادة، واستمراريّة العلاقة بين الزوجين وثباتها واستقرارها رهين بما يقدّمه كلاهما ويبذلان من جهد لبعضهما في سبيل تحقيق كل ذلك.
3. لا أحد من الزوجين يمكن أن يغني عن الآخر في القيام بدوره في عمليّة الإنجاح المرغوبة والاستقرار المنشود، فاليد الواحدة لا تُصفق والعين الواحدة لا تبصر.
4. كيفما تكون طبيعة علاقة الزوجين الثنائيّة: إيجابية أو سلبيّة، تنعكس آثارها ـتلقائيّاًـ على طبيعة نمو الأطفال، فكما يكون الأبوان يكون الأبناء.
5. رفض التّعاون والمشاركة في تحمل المسؤوليّة يعني الحكم على الزواج بالموت البطيء، وصبغه بالبرودة والآليّة.. ثم ـربماـ الطلاق في نهاية المطاف وتشريد الأطفال.

وبلا شك، فإنّ الغفلة عن هذه التنبيهات ـ كلّها أو بعضهاـ يترتب عليها عدم الاهتمام بالتعاون والمشاركة الفعّالية بين الزوجين، وهو ما يؤدي إلى فشل علاقتهما.

وإذا شئنا البحث في أسباب عدم ممارسة المسؤوليّة المشتركة وتحقيق التعاون الفعّال بين الزوجين، سنجد أنّ الأمر مرتبط بأمرين اثنين:

(أولاً) عدم استيعابهما لمعنى العلاقة الزوجيّة ودورها في بناء النفس والمجتمع والحضارة. والإنسان لا يمكن أن يستفيد من شيء ما لم يكن عارفاً بقيمته وغايته وأسلوب التعامل معه.

(ثانيّاً) السقوط في فخ وهم الامتلاك، أي اعتبار الطرف الآخر صار ملكاً خاصاً وقد تم ضمان البقاء معاً. وبهذا لا يهتم كثيراً بتلبية احتياجاته المختلفة في المستوى المرغوب!

أما علاج السبب الأول فهو مراجعة ما سبق أن ذكرناه في الفصل الخاص بفوائد الزواج وأهميّته. وأما علاج السبب الثاني فهو تذكر أن الإنسان إنما يبحث عن راحته كما عن سعادته، وعندما يفقدهما في الزواج، فلا شك أن يتحيّن الفرص للتحرر من قيود هذا الزواج الفاشل!

❁❁❁

شمولية المسؤولية:

أشرت سابقاً إلى وجود مشكلة وعي وتصور واضح لمفهوم المسؤولية لدى شريحة واسعة من الأزواج. وأنهم إذا تحدثوا أو سمعوا حديثاً حول مسؤولية الزواج، فإنهم يحصرونها في ثلاثة جوانب لا غير، وهي: (ضرورة توفير معيشة كريمة)، (تدبير البيت وتربية الأطفال)، (التخلي عن بعض حريات العزوبة)!

ولست أحتاج للتوكيد على أهميّة هذه الجوانب ودخولها في مفهوم مسؤوليّة الزواج. ولكن، التنبيه هنا يتعلّق بخطأ حصر معنى المسؤولية الزوجيّة في هذه الجوانب. إذن ما هي الجوانب الأخرى التي لا تقل أهميّة وضرورة لإعطاء مفهوم المسؤولية الزوجيّة معناه وشموليّته لتحقيق الاستقرار والتماسك الزوجي والأسري؟

الجانب المغفول عنه والمهْمَل من قبل هؤلاء الأزواج، هو العلاقة الثنائيّة، بجوانبها الثلاثة: (الجانب النفسي)، (الجانب العاطفي)، (الجانب الجنسي). تكمن أهميّة هذه الجوانب الثلاثة في

كونها قاعدة نجاح باقي المُكوّنات الأخرى لمفهوم المسؤولية وشموليّتها، سواء الجانب الثنائي أم الجانب الأسري.

نقول هذا، لأنّ الحياة الزوجية والأسرية أشبه بشبكة تلتقي كل خيوطها ببعضها بعضاً في نقاط معيّنة، ولذلك فإنّ أي خلل هنا أو هناك، يؤثر تلقائيّاً على باقي الجوانب مَهْمَا لم يتدارك الزوجان الأمر ولم يبادرا بالإصلاح قبل استفحال الأمر واشتداد الأزمة، فإنّ عدم التدارك والمبادرة لهما آثار وخيمة على جميع الأطراف، الزوج والزوجة والأبناء!

يقول الدكتور مصطفى حجازي: « يتعيّن النظر إلى تفاعلات الأسرة ومشكلاتها على شكل لولبي صاعد أو نازل. فأي وفاق بين الزوجين يؤدي إلى توافق الأطفال سلوكيّاً وانفعاليّاً ومدرسيّاً... وكذلك الأمر في التفاعل اللولبي النازل: مشكلات زوجيّة تؤدي إلى اضطرابات الأبناء تعود وتزيد بدورها من تأزم العلاقات الزوجيّة ».

وفي سياق حديثه عن المخاطر التي تؤدي لزلزلة بنيان الأسرة، ذكر « قصور النضج العاطفي: و هو يُشكّل أحد العوامل البنيوية التي تُلغم الرباط الزوجي وتُهدّد تماسك الأسرة واستمرارها. نحن هنا بإزاء قصور القدرة على منح الحب و تلقيه، والقدرة على عيش العلاقات العاطفية والارتباط العاطفي. ويتلازم عادة مع قصور النضج الجنسي النفسي مما يتمثل في العجز عن إقامة علاقة توفر الإرضاء الجنسي للذات والقرين، وتتصف بالاستقرار والاستمرار ».(1)

إنّ كل إنسان، يحب أن يشعر بالتقدير الذاتي والاحترام لشخصه، ويحب أن يشعر بأنه محبوب ومرغوب من الآخرين، كما يحب أن يجد الإرواء الكامل مع شريك حياته بشكل خاص. إذ كل ذلك يمنحه الإحساس بقيمة العلاقة الزوجيّة: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ

1 . (الأسرة وصحتها النفسية). صـ 28 و 53.

لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾.[1] ولأن هذه المطالب فطريّة متجذرّة في الكينونة البشريّة، عندما لا تُلبّى ولا تُشبع فإنّ حياة الزوجين تنقلب رأساً على عقب، وتتسم بالجفاف والآلية والصراعات التي لا تنتهي، وكل هذا يؤثر بالضرورة حتى على نشأة الأبناء.

قد يحاول بعض الأزواج أن يبرر عدم اهتمامه بهذا الجانب الثنائي الخاص، بذريعة معيّنة! غير أنّ الحقيقة هي أنهم يحاولون إخفاء إخفاقهم وفشلهم في تحمل مسؤوليتهم تجاه هذه الجوانب الثلاثة. وهو إخفاق وفشل يكون ناتجاً عن أسباب مختلفة، كعدم التحرر من التصورات الشائعة التي تؤكد على أنّ الزواج سجن كئيب! وكذلك الغرور والعناد المتبادل الذي يمنع الطرفين من المبادرة وتحقيق المشاركة الثنائيّة! وأيضاً ترسخ أفكار مغلوطة تصور الاهتمام بشريك الزواج على أنه حطٌّ من القيمة الشخصيّة!

انطلاقاً مما ذكرناه، جدير بالزوجين الناضجين أن يكون تركيز إحساسهما بالمسؤولية على العلاقة الثنائيّة الخاصة بجوانبها الثلاثة، إذ هي الأساس والقاعدة والمنطلق.

❁❁❁

خيارات المعاملة:

من أجل ذلك نقول: في العلاقة الزوجيّة هناك خياران لا ثالث لهما **(إما التعاون والتوافق)**، وذلك يعني: الاستقرار والسعادة، نماء الحب ووهج المشاعر، تربيّة الأبناء تربيّة حسنة صالحة. و **(إما التعاند والشقاق)**، وذلك يعني: الاضطراب والشقاء، موت الحب وجفاف المشاعر، نشأة الأبناء نشأة سيّئة منحرفة.

وهذا لأنّ العلاقة الزوجيّة ليست كباقي العلاقات التي تنشأ بين طرفين أو أكثر. العلاقات الأخرى ـ كما يذكر الباحثون ـ يمكن أن تتخذ قرار أن تحرص على أن تكسب أنت والآخر مهما

---

1 . الروم/30

حدث، ويمكن أن تتخذ قرار أن تكسب ويخسر الآخر إن لزم الأمر، ويمكن أن تتخذ قرار أن تخسر ويخسر الآخر إن كان لابد من الخسارة، ويمكن أن تتخذ قرار إما كسب ثنائي أو انحساب ثنائي. وأما العلاقة الزوجية نخياراتها محدودة، إما يكسب الزوجان معاً أو يخسران معاً!

لكن ماذا عن مبدأ: (كسب/خسارة)، أو مبدأ (خسارة/كسب)؟

الذي يحدث أنّه على المدى المتوسط والبعيد ستكون الخسارة -في المبدأين معا- شاملة له ولشريكه، شاء أم أبى! فالتّعامل مع الشريك بخيار (كسب/خسارة)، بالإضافة إلى أنّه لا يعني إلا عقلاً متعفّناً وشخصيّة مريضة، فهو مستحيل التحقق لأنّك لا تستطيع أن تكسب شيئاً يُذكر مع خسارة شريكك. والتّعامل معه بخيار (خسارة/كسب)، بالإضافة إلى أنّه لا يعني إلا تفكيراً معوجّاً وشخصيّة ضعيفة وانسحابية، فهو مستحيل التحقق لأنّك لا تستطيع أن تخسر مع كسب شريكك. هذا هو قَدَرُ العلاقة الزوجيّة!

ولهذا من الأفضل للزوجين أن يتّفقا وأن يصمّما على الخيار الأول (كسب/كسب)، أي التعاون والتوافق. لأنّ هذا المبدأ هو وحده المتّسم بالفعّاليّة القويّة والإيجابيّة الصحيحة، وبالتّالي هو الخيار الوحيد الذي سيضمن لهما -بإذن الله تعالى- الصفاء والسعادة والاستقرار، إذ كلاهما يأخذ كثيراً ويعطي كثيراً. ولا شك أنّ كل طرف عندما يشعر أنّه يأخذ كما يعطي، فإنّ ذلك سيدفعه إلى مزيد من العطاء والإبداع والرقي، لكي يحصل من شريكه على العطاء نفسه.

و هنا أود التنبيه على خطأ شائع بين كثير من الأزواج العشاق، وذلك أنه بدافع الحب يحرص كل طرف على تحقيق السعادة والاستقرار بالطريقة التي يريد هو، بدون إشراك الطرف الآخر في تحمّل هذه المسؤولية، ربما بدافع أنه يتوهم بأنه أكثر حرصاً منه عليها، أو لأنّه أقدر وأكثر فهماً لذلك! وهذا التصور وهذا الموقف ليس له نصيب من الصحة، ف « الحب لا يعني

أبداً أن يفعل كل طرف ما يريده هو وبالطريقة التي يريدها وعلى الدوام، وعدم مراعاة رغبة الآخر، وإنما أن يُفسح الواحد منهما المجال للآخر ».[1]

❁❁❁

تحقيق المسؤوليّة:

نستطيع أن نلخص وسائل تحقق المسؤوليّة المشتركة بين الزوجين لتحقيق الأهداف المنشودة والخطط المتفق عليها في التالي:

1/ التعلّم الدائم والمستمر لتحقيق أقصى قدر ممكن من الإبداع.

مثالان للتوضيح:

➢ تعرف الزوجة أنّ زوجها يحب الأكل الممتاز والمتنوع، ويحب اللمسات الجميلة في هندسة الأثاث، ويحب أن يراها دائماً مثل الفراشة الجميلة أو العصفورة الفاتنة، ويحب أن تشاركه في أفكاره وتحاوره في مختلف القضايا التي يهتم بها.. إذن فلتتعلم فن الطهي، وفن التأثيث، وفن الإغراء، واكتساب ثقافة متنوعة، من كل مصدر ممكن، كالكتب، المجلات، المواقع.

➢ يعرف الزوج أنّ زوجته تحب أن تراه وسيماً، حيويّاً، مثيراً، وتحب منه حلاوة الغزل وسحر الإطراء، وتحب أن يشاركها في أفكارها، أحلامها، وأحياناً أشغالها.. إذن فليحرص على اكتساب رشاقة الجسم، وليهتم بوسامته، وليتعلم فنون الغزل وطرق الإثارة لأنوثتها الجميلة، وليقرأ عن شخصيّة المرأة، وليتقرب إليها، ولعرض دائماً مساعدته لها.

وقس على هذا.

2/ الابتعاد الدائم عن كل مسببات المشاكل ومنغصات التوافق.

---

1 . «التفاهم في الحياة الزوجية». د، مأمون مبيّض/ صـ 223/ المكتب الإسلامي. 1424-2003.

مثالان للتوضيح:

➢ تعرف الزوجة أنّ زوجها يتضايق جدّاً من كثرة زيارتها لأهلها أو العكس، أو كثرة زيارتها لصديقاتها أو العكس. وتعرف أنه ينزعج للغاية من استقباله لدى عودته من العمل بمشاكل الأطفال أو متطلبات البيت.. إذن فلتحرص على الابتعاد عن كل ذلك، بتغيير عاداتها بالتوقف النهائي عن كثرة الزيارات، ولا تفتح معه مواضيع الأطفال والمتطلبات إلا في لحظات راحته وصفاء ذهنه واعتدال مزاجه.

➢ يعرف الزوج أنّ زوجته يضايقها كثيراً تأخره في الليل مع أصدقائه، لأنّ ذلك يسبب لها مشاعر سلبيّة للغاية. ويعرف أنّه يزعجها عدم اهتمامه بالأولاد ومتابعة دراستهم وتوجيههم واللعب معهم، ويعرف أن زوجته يضايقها استغراقه في الانترنت أو الكتب وإهمالها.. إذن فليحرص على العودة باكراً إلى البيت، وليتهم بالأولاد فلهم حق واجب عليه، ولينظم ارتباطه بالإنترنت وبالكتب، فليس من العدل أن يلقي عليها كل شيء.

وقس على هذا.

إنّ العلاقة الزوجيّة أرض خصبة، ما يُبذر فيها يُجنى منها! فمن زرع أشواك العناد والشقاق والغرور والإهمال، لا يحسن به أن ينتظر ثماراً طيّبة! كما أنّ من بذر فيها بذور التّعاون والحب والاحترام والتحفيز والإيجابيّة، سيجني ما شاءت نفسه من ألوان السّعادة ودفقات الجمال وحنان السكينة! إنه من الممكن جدّاً أن يتجاوز الزوجان كل الخلافات والاختلافات، بتجديد التصورات والأفكار، كما بالحوار الإيجابي والمتواصل.

❁❁❁

تصحيح فكرة مغلوطة:

وأحب أن أنبّه في هذا السياق على خطأ فكرة عجيبة مترسخة في أذهان بعض الرجال، وهي تصورهم أن إشراك الزوجة في إنجاح العلاقة الزوجيّة، وتحقيق السعادة والاستقرار الأسري، يقدح في رجولته، لأنّ المرأة ـعندهمـ مهمّتها الوحيدة هي أن تكون خادماً في المطبخ، أو عشيقة في الفراش، أو مصنعاً لإنجاب الأطفال!

لا شك أنّ هذا التفكير العجيب نتاج تربية فاسدة وأفكار متخلّفة. لكن؛ من العار أن يتبنّى المسلم مثل هذه الأفكار المنحرفة والتصورات المنحطة. فالإسلام كرّم المرأة وقدّرها تقديراً عظيماً، لم تستطع أرقى الفلسفات قديماً أو حديثاً أن تبلغ عشر معشاره. فكيف يصح للمسلم أن يتعامل مع زوجته بغير ما تعامل به الإسلام معها!

إنّ الرجل حين يتخذ قرار إبعاد رفيقة عمره عن عملية تحقيق النجاح والسعادة والاستقرار، فإنّه لا يفعل شيئاً أكثر من تحطيم روعة رجولته في قلبها! ولا يفعل شيئاً أكثر من تحطيم شخصيّتها لإحساسها بالاحتقار! وليت شعري كيف يمكن لعلاقة زوجيّة أن تستقر في ظلال هذه الأجواء الوبيئة! وليت شعري هل من الحكمة أن يحطم الزوج زواجه لأفكار جاهلية!

يقول رسول الله ﷺ القائل: ﴿ خيركم: خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي ﴾.[1] فهذا الحديث شهادة نبويّة بالخيريّة لكل زوج مسلم يحسن التّعامل مع زوجته وأولاده، كما أنّ فيه حثًّا للمسلم للاقتداء بالنبي ﷺ في دوره كزوج ودوره كأب. وقد قال الله سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.[2] إذ ليس الاقتداء به خاصاً بشؤون العبادة، بل حتى بأسلوب الحياة والمعاملة.

---

1 . «صحيح ابن حبان»

2 . الأحزاب/21

والزوج المسلم حين يحرص على إشراك زوجته الطيبة في تحقيق الأهداف الكبرى لعلاقتهما الثنائيّة ولأسرتهما الصغيرة، وتنفيذ كل تلك الأحلام الجميلة التي داعبت يوماً الروح وطربت لها النفس، حين يفعل هذا، فلأنه ينطلق من الثوابت التالية:

- ✓ خَلْقُ اللهِ تعالى الإنسانَ ثنائي الجنس (ذكر وأنثى)، يقتضي هذه المشاركة الجميلة وهذا التّعاون الإيجابي بينهما، لتحقيق حكمته سبحانه في خلقهما مختلفين.
- ✓ إتاحة الزوج الفرصة لزوجته للقيام بدورها لسعادة وهناء زواجهما، بل وحثّه الدائم لها على ذلك، له رصيد جميل في قلبها، إلا أنّه ضخم جدّاً.
- ✓ إشراك الزوج لزوجته في تطوير وتنمية وإنجاح واستقرار أسرتهما، يشعرها بقيمتها الكبيرة عنده وفخره بها، وهذا يُعتبر حافزاً قويّاً لها لبذل مجهود أكبر.
- ✓ محاولة تفرد الزوج بإنجاح العلاقة الزوجيّة، وإن بلغ ما عساه أن يبلغ في الجودة والإتقان، فإنّه لا يغني أبداً عن دور الزوجة، فاليد الواحدة لا تصفق.

سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ما كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته؟ فقالت: ﴿ كان في مهنة أهله ﴾.[1] أي ما يمكنه عمله فإنه يقوم به، مساعدته لأهله وتخفيفاً عنهم.

❁❁❁

تنبيه على خطأ خطير:

بعض الأزواج، بسبب حبّهم الكبير للزوجة، يحرصون على عدم إشراكها في دائرة التّحديّات التّي تواجههم في حياتهم: مشاكل العمل، خطط المستقبل، تدبير النفقات.. إلخ. لكن، للأسف، فإنّ الرّسالة التّي تصل إلى الزوجة ـوهذا ما لا يدركه الرجلـ تكون غاية في السلبيّة بعكس ما خطط له الزوج، فإذا به لا يفهم ردّة فعل زوجته يوم تكتشف المشكلة!

---

1 . «صحيح البخاري»

إنّ بعض الأزواج يظنون أنّ إبعاد زوجته عن مجال هذه التحدّيات، يساعد على احتفاظها بهدوئها، ويمنحها الإحساس بالأمان معه، كما أنّه يساعدها للتفرّغ الذهني والنفسي للاهتمام بنفسها وبه وبناء شخصيّة الأبناء! لكن، عندما تكتشف الزوجة الحقيقة المستورة، تكون الرسالة المفهومة سلبيّة كما قلنا: أنتِ لست مؤهلة للتفكير الصحيح في حلّ المشاكل! أنتِ مهمّتك هي المبطخ، الفراش، الأطفال!

إذا كان الله تعالى قد استأمن الزوجة على الإنسانية في مهدها (الأطفال)، كما أنّه حرمك السكينة إلا بوجودها في حياتك، فكيف تستطيع أن تفكر أنّها غير مؤهلة لحلّ مشكلة عارضة أو التخطيط معك لمستقبل الأسرة، أو المشاركة في كل ما يجلب السعادة الجميلة لكما والاستقرار للأسرة الصغيرة؟! نعم، المرأة تتميز بعاطفة جيّاشة، غير أنّ ذلك لا يعني أنّها غير مؤهلة للتحاور مع الزوج ومشاركته في إيجاد حلول ناجعة لمختلف الصعوبات والعراقيل التّي قد تعترضهما في مسيرة حياتهما الثنائيّة.

وفي سيرة النبيّ الكريم ﷺ نجد مواقف كثيرة، كانت بالغة الشدة والتحدي، ومع ذلك لم يتردّد صلى الله عليه وسلم في إشراك بعض زوجاته في ذلك. فعندما نزل عليه الوحي أوّل مرّة عليه في غار حراء، امتلأ خوفاً واضطرب اضطراباً شديداً، فإلى من توجّه ليحكي له قصّة ما حدث؟ لقد كان يمكنه أن يتوجه إلى أحد أفراد عائلته، أو إلى أحد علية قومه قريش، أو إلى أحد من أخص أصدقائه ومعارفه. ولكن كل هذا لم يشأ صلى الله عليه وسلم أن يفعله، بل توجه مباشرة إلى زوجه الحنون السيّدة خديجة ـرضي الله عنهاـ.

لقد كانت هذه الزوجة المباركة ـرضي الله عنهاـ سبب تفريج الكربة وكشف الغُمّة عنه، فقد احتوته بحبّها الكبير له وعطفها العظيم عليه وثقتها الصادقة فيه، ولذلك اقترحت عليه الذهاب إلى ابن عمّها ورقة بن نوفل ليفسّر لهما قصة الخبر، فاستجاب لاقتراحها وأصاب النجاح.

غير أنّ هذا الكلام ليس دعوة للرجل ألا يترك صغيرة ولا كبيرة من مشاكله وتحدياته إلا وسارع بإخبار الزوجة بها. بل هي مجرد دعوة لأن يحتفظ بالتوازن في هذا الأمر، فما يُشكّل خطورة كبيرة على الأسرة والعلاقة الثنائيّة، ينبغي إشراك الزوجة فيه، وما كان عارضاً وعابراً فلا داعي لذلك.

ونحن نقول بضرورة التفريق بين ما يجب إحاطة الزوجة علماً به وإشراكها فيه، وبين ما لا ينبغي إزعاجها بإخبارها به، لأن الزوجة وإن كانت تنزعج للغاية من عدم إشراكها في الصعوبات والعراقيل، واطلاعها عليها بسبب ما قلناه آنفاً، فلا شك أنها تنزعج أيضاً من مسارعة زوجها لإخبارها بكل صغيرة تعرض له في العمل مثلاً، لأنها ببساطة تحب أن تشعر برجولته القوية، المتحدِّية، الشجاعة، والمتفائلة.

❁❁❁

تعاون مستمر:

إنّ الإحساس بالمسؤولية المشتركة، ومساعدة الطرف الآخر للقيام بدوره، والحرص على إيجاد أفضل الحلول، كل هذا لا معنى له إلا أن يكون هو طابع العلاقة الزوجيّة اليوميّة، سواء في المسائل الكبيرة أم الأشياء الصغيرة.

والحقيقة أنّ هذا الإحساس هو الذي يحقق التكامل بين أدوار الزوجين، ويُضفي على علاقتهما وجهودهما المعنى والقيمة. يقول الدكتور كمال مرسي:

« يقوم التفاعل الزواجي الإيجابي على توزيع مسؤوليات الأسرة بالتساوي على أدوار الزواج والزوجة في الواجبات والحقوق، مع المحافظة على تغاير الأدوار لا تشابهها، وعلى تكاملها لا

توازيها، لأن ديناميات جماعة الأسرة تتطلب التغاير في الأدوار أكثر من التشابه بينها، ولأن طبيعة الرجل والمرأة تجعل مهمات كل منهما في الأسرة تكمل مهمات الآخر ».[1]

سأذكر هنا خمسة أمثلة ليتضح المعنى بشكل أفضل:

1. التعاون على حل كل ما يعترض طريق الزوجين من التحديات وتحمل المسؤولية كاملة، دونما سماح للآخرين ـخاصة الأهلـ بالتدخل في شؤونهما الثنائيّة.
2. التعاون على أخذ العِبَر من أخطاء الماضي بمختلف أشكالها، لتفادي الوقوع فيها مرّة أخرى، وإلا فإنّ ذلك يعتبر مؤشراً على عدم الوعي الناضج والاستهتار الغافل.
3. التعاون على تحسيس بعضهما بعضاً: بدفء الحب واشتعال العاطفة وسمو المكانة وإرواء الغريزة ورغبة الاستمرار وتحقيق الأهداف.
4. التعاون على ترشيد سياسة التدبير المالي للأسرة: النفقات الشخصيّة، الاقتصاد الشهري، أثاث البيت، السفريات، ولائم الضيوف.
5. التعاون على طبيعة تنشئة الأطفال وتحديد مسارات التوجيه لهم. إذ هم أمانة الله تعالى وهديّته لدى الزوجين، وسيحاسبان عليها.

عندما يتخذ الزوجان قرار التعاون الإيجابي والتواصل الفعال والمشاركة الواسعة بينهما رعايةً منهما لميثاقه الزواج بينهما واستقرار أسرتهما، لا شك أنّ ذلك يدفعهما إلى:

- ✓ ضرورة المراقبة المستمرة لسير علاقتهما الزوجيّة. فهذه المراقبة تسهم في إدراك مواطن التقصير فيها، وتَبصّر الانحرافات في مسارها، وبالتّالي سهولة تداركها وتصحيحها.
- ✓ دفع كل ما من شأنه أن يُشوّه جمال علاقتهما وقيمتها، ويضغط على نمو الأطفال الذهني والنفسي، من قبيل: سوء الخلافات و تدخلات الأهل و الأصدقاء و غير ذلك.

---

[1] . «العلاقة الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس». صـ 146.

- ✓ جلب كل ما من شأنه أن يزيد علاقتهما سمواً ورقيّاً، ويساعد على نماء الأطفال الذهني والنفسي. من قبيل: التغاضي عن الزلات، تقديم الهدايا، التجديد المستمر.

إذن من المهمّ أن يدرك الزوجان أنّ السعادة والنجاح والاستقرار بينهما، مهما امتد العمر معهما رهين ببذل المجهود والإحساس الكبير بالمسؤوليّة تجاه الزواج والأسرة والأبناء. ففكرة المشاركة بين الزوجين تعني دمج معارفهما ومهارتهما ورغائبهما وتضحياتهما لتحقيق أفضل النتائج وأعظم النجاحات لثبات زواجهما ولتنشئة أطفالهما.

إنّ النيّة الطيبة والبريئة وحدها لا تكفي أبداً في تحقيق كل هذا، لأنّ ما ينشده الزوجان ـوهذه هي طبيعة الإنسانـ من بعضهما هو الشيء الملموس، الشيء الذي يكون له أثر واضح في الحياة. وإلا فعندما تنفصل النيّة عن التطبيق والسلوك، فإنّ الطرف الآخر يشعر بضآلة الحب في قلب شريكه له، وعدم الاهتمام بقيمته!

وفي طريق هذا السعي السامق النبيل، هناك عقبات شتى: سوء الفهم بينهما، اختلاف الرأي، لحظات الضعف.. إلخ. غير أنّ الزوجين الذكيين لا يجدان مفراً من تجاوز كلّ هذه المنغّصات الذميمة وإيثار التعاون البنّاء والمشاركة الكبيرة والتواصل الإيجابي بينهما.

نعم للعاطفة الجيّاشة، ولكن هذه العاطفة لن تكون ذات معنى، و لن تكون لها قيمة، كما لن يكون لها مردود كبير في حياة الزوجين وحياة الأبناء، إلا أنّ يدعم هذا كلّه مواقف وتضحيات وتصرّفات عمليّة نابعة عن الشعور الكبير بالمسؤوليّة المشتركة لإنجاح العلاقة الثنائيّة.



أهمية الهدف

علاقة كئيبة:

كثير من المتزوجين بعد مدة قصيرة من تاريخ زواجهم، تواجههم حقيقة صادمة للغاية: لقد تحوّلت حياتهم الثنائيّة إلى حياة مليئة بالرتابة الجافة والملل القاتل! لقد انقلبت حياتهم إلى مشاكل مرعبة ومشاحنات ضاغطة! كما أنّ كل أحلامهم وأشواقهم التّي كانت تداعب أعماقهم قبل الزواج تلاشت واضمحلّت، كأنها حلم من أحلام النوم!

هذا التحول الكئيب يطبع كل مظاهر هذه العلاقة البائسة: العاطفة الوجدانيّة، والممارسة الجنسية، والتدبير المالي والخطط المستقبليّة، وتربية الأطفال والارتباطات الاجتماعية! وبهذا يفقد الزواج قيمته الجميلة ومعناه المقدس بين هؤلاء الأزواج البؤساء، فإذا لم يصل إلى حد الفراق والطلاق، فلا شك أنّه يكون سجناً كئيباً للطرفين!

إذا ما تأملنا الأمر جيّداً، لا شك أنّنا سنجد أنّ هناك سببين اثنين لهذا التحول الفظيع وهذه الكآبة الأسيفة، التّي تقذف بالزوجين في مهاوي الشقاء والمعاناة، وهما: إما (**فقدان الهدف الصحيح**)، وإما (**عدم معرفة كيفيّة تحقيق الهدف**)، أو كلاهما معاً!

هذه هي الحقيقة التي يغفل عنها _أو لا يهتم بها!_ الأزواج البؤساء في حياتهم الزوجيّة. ومن ثَمَّ يدفعون ثمناً باهظاً من سعادة القلب وسكينة النفس وجمال الحياة، علاوة عن انحراف خط النمو السليم لدى الأطفال، هذا طبعاً إن لم تكن الضريبة هي "الطلاق"!

على أنّ كثيرين يعتقدون بأنّ الطلاق هو المعيار الوحيد لفشل العلاقة الزوجيّة، وهذا بلا شك خطأ ووهم زائف! لأن حقيقة الأمر أن الطلاق ليس المعيار الوحيد لذلك. بل إنّ عدم

الانسجام والتفاهم بين الزوجين هو في حد ذاته فشل ذريع لعلاقتهما، وهذا ما أسميه بـ"**الطلاق الصامت**". ولهذا فإنّ استمرار الزوجين معاً حتى الموت، لا يعكس بالضرورة نجاح علاقتهما الثنائيّة واستقرارها، بل كثيراً ما يكون الأمر له ارتباط بأسباب مختلفة!

إنّ كثيرين لهم دوافع خاصة للبقاء معاً رغم أنّ البؤس والشقاء الذي يعانونه!! فهناك الكبرياء الشخصية، عندما تصر الزوجة على الزواج من زوجها أو العكس، فإنها تقبل البقاء معه لتفادي الشماتة فيها من الآخرين. وهناك جانب الأبناء، يصبر الوالدان لأنّهم يتوهمون أن البقاء رغم التعاسة واستحالة العيش معا يحفظ شخصية الأبناء! وهناك الجانب العائلي، عندما يكون الزوجان من نفس العائلة يصرون على البقاء رغم التعاسة لتفادي تصدع وحدة العائلة. وهناك الجانب الاجتماعي، ويتجلى هذا في الخوف من الطعن في الكرامة والنظرة الدونية بسبب الطلاق!

إنّ عدم اهتمام الزوجين بوضع هدف صحيح لميثاقهما الثنائي له أسباب أوجدته، نذكر منها:

1. عجزهم عن التحرر من الفكرة المشؤومة التي ترسّخت فيهم: أنّ الزواج لابد أنّه سجن ضيّق تحطم فيه كل الرغبات والأمنيات، فهو مجرد هموم ضاغطة ومشاكل غير متناهيّة!
2. اعتقادهم ضرورة اتباع النّاس في غايات الزواج: المتعة الجِنسيّة، إنجاب الأطفال، الخروج من قائمة العزوبة والعنوسة، التظاهر أنّ فلاناً صار رجلاً، وفلانة صارت امرأة!
3. فقدانهم للانسجام العاطفي والمودة الوجدانيّة. لأنّ الهدف المشترك لابد أن يتحمّل طرفاه مسؤوليّة تحقيقه وبلوغه، وهذا التحمّل يقتضي وجود رابطة عاطفيّة بينهم!
4. عدم معرفتهم بالطرق المحقِّقَة للسعادة والفنون الجالبة للاستقرار بينهم، بالرغم من وجود رغبة عارمة لدى كثير منهم للحصول على تلك السعادة وتحقيق ذلك الاستقرار!
5. جهلهم بطبيعة المهمّة التي خلقهم الله تعالى لأدائها. فهم يعيشون عيشة مَن لا يؤمن بالآخرة، لا همّ لهم إلا الحرص على جلب المتع الحسيّة والتفنن في لذاتها!

إذن وجود هذه الأسباب أو على الأقل بعضها، لا شك أنّه يمنع الزوجين من تحديد الهدف الصحيح لحياتهما الزوجيّة، والتخطيط الجيّد لبلوغه. ولذا من المهمّ جدّاً أن يدخل الزوجان بتصور جديد عن العلاقة الزوجيّة وبفكرة واضحة حول رسالة الزواج وهدفه الأعلى في الحياة.

❁❁❁

إيجابيات وسلبيات:

أما السؤال المهم الذي يتحتّم علينا طرحه في هذا السياق، فهو: ما هي الإيجابيات التي يمكن للزوجين جنيها عندما يضعان لميثاقهما الثنائي هدفاً مشتركاً وكبيراً؟ وما هي السلبيات التي يمكن أن يتجرّع الزوجان مرارتها عندما يهملان وضع هدف مقدس وكبير بينهما؟

. الإيجابيات:

- رسم صورة جميلة لمستوى العلاقة الثنائيّة التّي ينشدان بلوغها مع مر الأيام وكرّ السنين.
- شعور الطرفين بالقيمة والتقدير الذاتي، بسبب تفتح كل طاقاتهما للعمل والاشتغال.
- معرفة مدى التقدم والتطور في علاقتهما الزوجيّة، ومكامن النقص والقصور فيها.
- الحرص على التفنّن في إبداع كل ما من شأنه مساعدتهما على تحقيق غايتهما من الزواج.
- الحرص على تربيّة أبنائهما تربيّة صحيحة، ليكونوا أفراداً صالحين وجنوداً للإسلام.
- اكتساب حصانة قويّة وصمام أمان متين ضد كل مفسدات ومنغصات العلاقة الزوجيّة.
- مساعدة بعضهما بعضاً على تنمية الشخصيّة وتطوير أساليب التعبير عن الرغبة في البقاء معاً.

والنتيجة هي أن هذين الزوجين سيتعاملان فيما بينهما بأسلوب جميل وراقي جدّاً.

. السلبيات:

- قابليّة نشوب الخلافات بشكل يومي، وتفكك الأواصر العاطفيّة بينهما لأتفه الأسباب!

- عدم مبالاة الطرفين بسعادة وراحة واستقرار بعضهما بعضاً لانشغال كل طرف بنفسه!
- انتفاء الاهتمام من الطرفين بمسار علاقتهما الثنائيّة: مستقيمة أم منحرفة، حسنة أم سيّئة!
- عجز الطرفين عن تذوق السعادة، لأنّه ليس عندهما فكرة واضحة عن السعادة الزوجيّة!
- الإحساس الدائم بالجفاف جرّاء انعدام الشعور بالامتلاء العاطفي والارتواء الجنسي!
- إهمال الطرفين لتنشئة أطفالهما تنشئة صحيحة صالحة، كما وضع معالمها المنهج الإسلامي!
- تفشي النقد السلبي والمدمر بينهما حول أقل الأشياء، بل واختلاق أي شيء لذلك!

والنتيجة هي أنّ حياة هذين الزوجين تكون جحيماً رهيباً!

فتأمل بارك الله فيك، هذه السلبيات والايجابيات، وقارن بينهما، وحدد أيّهما يليق بك كإنسان مسلم، يفخر بإسلامه والاعتزاز به، ويؤمن بأنّ له رسالة مقدسة في الحياة.

❁❁❁

هدف الزوجين المسلمين:

الزوجان المسلمان بسبب انتمائهما للدين الإسلامي، لا شك أنّ هدف علاقتهما الزوجيّة الأكبر في الحياة يكون وثيق الصلة بالإسلام. والحقيقة أنّه يمكننا تحديد ذلك من خلال معرفة الغاية التي خلق الله تعالى لأجلها الإنسان في هذا العالم الدنيوي، والتي حدّدها الله سبحانه لنا بشكل واضح وصريح، ولم يتركها لتأمل العقل وسوانح الخاطر، فقال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.[1]

إذن، فالهدف المقدس والغاية الكبرى للزوجين المسلمين من زواجهما وتأسيس أسرتهما، هي التعاون على طاعة الله تعالى وابتغاء مرضاته، من خلال الالتزام بتعاليم الإسلام وآدابه وقيمه

1 . الذاريات/56

ومبادئه، سواء فيما بينهما، أم في تنشئة أطفالهما، أم في التخطيط لعلاقتهما الثنائيّة، أم لمستقبل أسرتهما الصغيرة، أم لحدود التعامل مع الآخرين.

في اعتقادي فإنّ تحديد الزوجين المسلمين التّعاونَ على طاعة الله تعالى وابتغاء مرضاته، هدفاً أعلى لميثاقهما الزوجي، له آثار مهمة للغاية، نذكر منها:

- كلاهما يحرص على مساعدة الآخر على طاعة الله تعالى والحصول على ثوابه.[1]
- كلاهما يحرص على برّ صاحبه والحرص على سعادته، ابتغاء الفضل من الله ﷻ. [2]
- كلاهما تتغيّر نظرته لطبيعة العلاقة بينهما، وبذلك تكتسب مذاقاً راقياً. [3]
- كلاهما يهتم بتنشئة الأبناء تنشئة طيّبة صالحة، تنسجم مع تعاليم الإسلام في الحياة.
- كلاهما يشعر بالسلام والأمان والأهميّة الكبيرة، لاطمئنانهما الثنائي والثقة العالية بينهما.
- كلاهما يتجنّب منغصات المشاكل، للشعور بالسكينة، والتفرّغ ـنفسيّاًـ لطاعة الله تعالى.
- كلاهما يشعر بالقيمة لقيامه بدوره في تحقيق السعادة والاستقرار الزوجي والأسري.
- كلاهما يتحرّر من قيود الماديّات فلا تكون هدفاً، لأنّهما يدركان أنّ الآخرة خير وأبقى.
- كلاهما يتسامى عن الاهتمام بسخافات النّاس وتقاليدهم التي يعتبرونها فروضاً وواجبات.
- كلاهما يستطيع الانسجام مع المتغيّرات الطارئة، فيستثمرها بشكل إيجابي لصالح علاقتهما.
- كلاهما يكون أهم عند شريكه من أي شيء: المال، الأصدقاء، الناس، الشغل.. إلخ.
- كلاهما يعطي الطرف الآخر بسخاء، لأنّه يرجو الفضل عند الله تعالى يوم القيامة.

---

1 . قال الرسول ﷺ: ﴿ رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء. رحم الله امرأة قامت من الليل وصلت، وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء ﴾.

2 . قال رسول الله ﷺ: ﴿ ألا أُخبِرُكم بنسائِكم في الجنَّة؟ قلنا: بلى يا رسولَ اللهِ. قال: ودودٌ ولودٌ إذا غضِبَتْ أو أُسيِء إليها أو غضِب زوجُها، قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحِلُ بغُمضٍ حتَّى ترضَى ﴾.

3 . قال الرسول ﷺ: ﴿ في بُضع أحدكم صدقة! قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدُنا شهوتَه ويكون له فيها أجر؟! قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟! فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجراً ﴾ .

إنّ تحديد الزوجين: رضا الله تعالى والتعاون على طاعته واللقاء في الجنة هدفاً أعلى لميثاقهما الزوجي، يُعتبر هدفاً فعّالاً جدّاً في حياة الزوجين، فـ « الهدف الفعّال هو ذلك الذي يركز في المقام الأول على النتائج لا النشاط. وهو يحدد لك وجهتك، وفي خلال هذه العمليّة يساعدك على تحديد مكانك. كما أنّه يقدم لك معلومات مهمّة حول كيفيّة الوصول إلى وجهتك، ويخبرك عندما تصل ويُوَحّد جهودك وطاقاتك. وهو يعطي معنى وهدفاً لكل ما تفعل. وفي النهاية يسعه ترجمة نفسه في صورة أنشطة يوميّة، ومن ثم تصبح إنساناً مبادراً مسئولاً عن حياتك تحقق في كل يوم الأشياء التّي تمكنّك من تحقيق وسالة حياتك الشخصيّة ».[1]

إذن فالزوجان المسلمان باتخاذ رضا الله تعالى والتعاون على عبادته واللقاء في الجنّة هدفاً مقدساً، لن يركزا فقط على النشاطات الثنائيّة، بل بالحريّ أنّهما سيركزان أكثر على النتائج، ومدى مواءمتها وتناغمها مع هذا الهدف المقدس. ومن هنا يكتسب كل نشاط يأتيه الطرفان لبعضهما بعضاً معناه وقيمته ومذاقه. ذلك لأنّ هذا الهدف النبيل عندما يكون سمة العلاقة الثنائيّة، فإنّه يتحوّل في إحساس الزوجين ووعيهما إلى إطار يتحركان داخله، وإلى دستور أعلى يحتكمان إليه.

ومن ثمَّ فكل الأهداف الصغيرة، والخطط الأسريّة، والنشاطات المختلفة تتم صياغتها بشكل ينسجم ويناسب هدف: رضا الله سبحانه و التعاون على طاعته واللقاء في الجنّة. لتكون النتيجة الحتميّة هي الحرص الشديد على المبادرة إلى كل نشاط إيجابي يمكن أن يضمن سير علاقتهما الزوجيّة في مسارها الصحيح، كيما تؤتي ثمارها اليانعة، والابتعاد عن كل نشاط سلبي يمكن أن يجلب عليهما المآسي المحزنة والمزالق الخطرة، وبالتّالي التشويش على الهدف والغاية المنشودة.

يقول الدكتور جستون باريت: « بيّنت الأبحاث التي قام بها عالم النفس "روبرت إيمونز" ومعاونوه عن الطموح، أن الناس الذين لديهم طموح مرتفع يرتبط بالله أو بدينهم يميلون لامتلاك

---

1 . «العادات السبع للناس الأكثر فعّاليّة». ستيفن آر . كوفي. صـ 163.

صحة جسدية وعقليّة أفضل ».[1] الشاهد في هذا الاقتباس هو التلازم بين التديّن العميق والارتباط بالله سبحانه هدفاً وغاية، وبين الحصول على الصحة والاستقرار والتوازن الجسدي والنفسي والعقلي حصيلة ونتيجة. فإذا كان هذا خاصاً بالشخصيّة الفرديّة، فلا شك أنه كذلك بالشخصيّة الزوجيّة خصوصاً والحياة الأسرية عموماً.

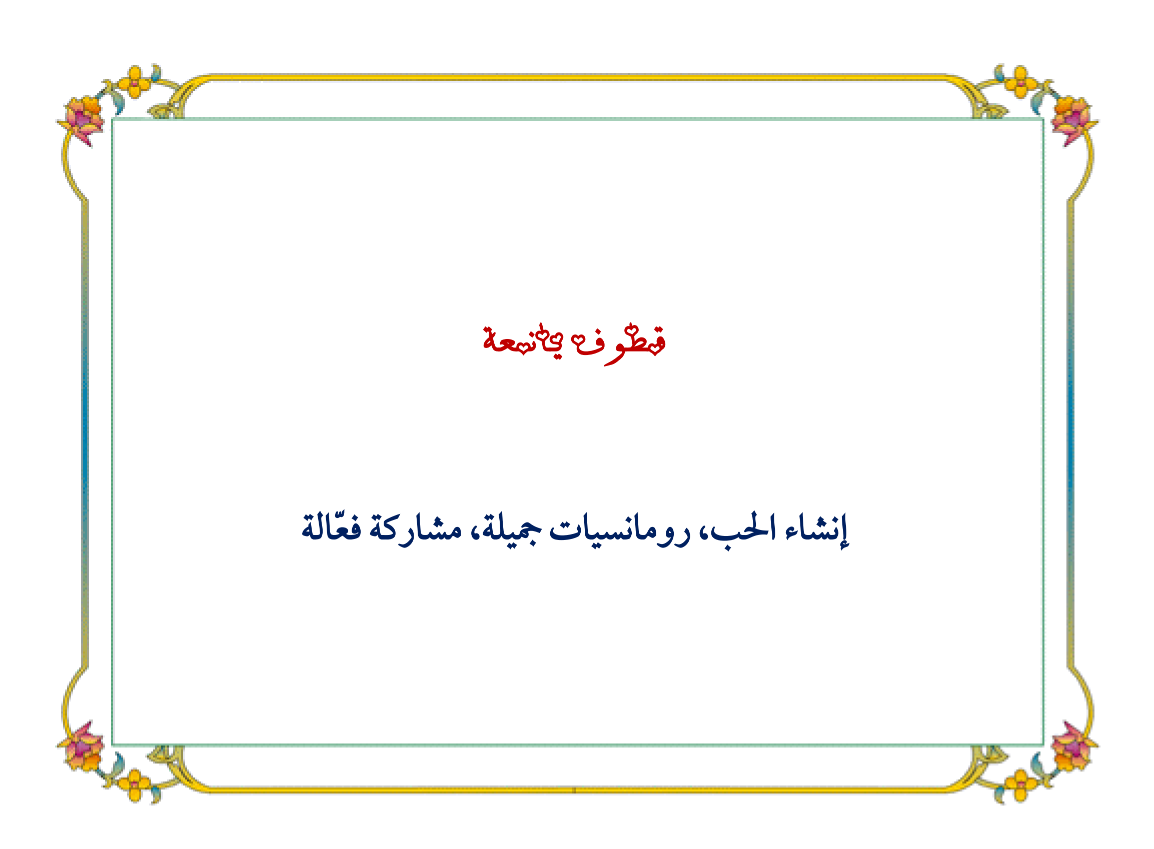
إنّ مَن يرفض تحديد هدف كبير لزواجه يشبه مَن يركب سفينة أو طائرة بدون أن يعرف وجهتها بالضبط! ومن يحصر هدفه من الزواج في حدود الجسد والتقاليد والدنيا يشبه من يبني صرحاً عظيماً على الرمال مع يقينه أنّه وشيكاً سينهدم!

إنّ الهدف هو الركن الأول للسعادة الزوجيّة، والحب هو الركن الثاني، والتفاهم هو الركن الثالث، والتضحية هي الركن الرابع. ولا يمكن تحقيق السعادة والاستقرار في العلاقة الثنائيّة والأسريّة إلا بهذه الأركان الأربعة، فكيف يصح إهمالها! لأنّ الهدف يجذب القلب، والانجذاب ييسر التفاهم، والتفاهم يقوي على التضحية، والتضحية مفتاح السعادة.

كما أنّ هذه الأركان متداخلة لا يمكن الفصل بينها، إذ لا يمكن لأحد الشريكين أن يضحي لأجل شريكه إلاّ إذا كان متفاهماً معه، ولا يمكنه أن يتفاهم معه إلا أن تجمعه به علاقة حب جميل، ولا يمكن أن ينشئ معه علاقة حب صحيح إلا أن يكون هدفهما المقدس واحداً. فهذا هو المعنى الحقيقي لكون الحياة الزوجيّة مسؤوليّة.



1 . «فطرية الإيمان». د، جستون باريت/ صـ 285/ مركز دلائل/ 1438.



قطوف يانعة

إنشاء الحب، رومانسيات جميلة، مشاركة فعّالة

إنشاء الحب

ضرورة الحب:

الحب وشيجة قويّة وعاطفة فعّالة، عندما تصل ما بين قلبي الزوجين فلا شك أنّ حياتهما الثنائيّة تكون جمالاً كلها، ممتعة كلها، وروعة كلها. ومن المؤكد أنّ العلاقة الزوجيّة لا يمكن أن تكون ناجحة إلاّ أن تكون كذلك وأن تستمر كذلك.

الحب لذلك عنصر أصيل وجوهري في الحياة الزوجيّة. فهو من أهم وأبرز المكونات التي تُكسب هذه الحياة رحابتها وثراءها وإشراقاتها. ومن ثم، فالحب ليس أسطورة خالبة يستحيل أن تحقق واقعاً! كما أنّه ليس حلماً جميلاً غايته دغدغة الروح بنسماته وإشراقاته!

إنّ الحب خُلِق لكي يضفي على الحياة معناها، سموّها، قيمتها، وأسرارها! خُلِق لكي يفتح للإنسان آفاقاً أخرى أكثر عمقاً، أصفى جمالاً، وأثرى إثارة. ولهذا، لا يمكن تصور ميثاق زواج ناجح ومستقر بدون أن تكون بشاشة الحب ترفرف بإشراقاتها على علاقة الزوجين.

عندما يعيش الزوجان تجربة الحب بينهما على مستوى الإحساس كما على مستوى الفعل والتواصل، عندها يشعران أنّهما يولدان من جديد بشكل دائم ومتواصل. لتكون النتيجة الواجبة لذلك هي أنّ هذين الزوجين يعشقان النجاح، يعشقان السعادة، وأهم من كل هذا أنّهما يشتاقان إلى الجنّة.. ذلك الفردوس الجميل، لكي يعيشا تجربة الحب بينهما بمعناها الخالد الأبدي.

والحب عنصر ضروري في حياة الزوجين، للأسباب التّاليّة:

- هو مهم لأنّه غريزة فطريّة في الرجل والمرأة سواء، فكلاهما _منذ مرحلة المراهقة والشباب_ يجد حنيناً غامضاً وشوقاً مبهماً إلى الإحساس بالحب، والرغبة في تذوق عذوبته

وتنسّم نفحاته. كلاهما يرغب ـبدافع فطري أوّلاً وقبل أيّة مؤثرات خارجيّةـ في خوض تجربته مع طرف من الجنس الآخر!

- هو مهم لأنّه يحتل منزلة بارزة بين العواطف الوجدانيّة المختلفة. فعندما تداعب بشاشتُه القلبَ وتتفتح أزاهيره في النّفس، تتفتّح كلّ الحواس الوجدانيّة الأخرى، كالعطاء والتضحيّة والحنان.. إلخ. على أنّ أجمل عاطفة يفتحها الحب في شعور الإنسان، لهي عاطفة الإحساس بالقيمة والتقدير الذاتي!
- هو مهم لأنّه يساعد الزوجين بشكل فعّال وإيجابي جدّاً على تحقيق كل شروط نجاح علاقتهما الثنائيّة: الانسجام المتناغم، المشاركة الإيجابيّة، التضحيّة الكبيرة، العطاء الكريم، التنازل الجميل.. إلخ. وبهذا يسهم الحب بين الزوجين في جلب السعادة والاستقرار بشكل دائم ومستمر، ولا شك أن ذلك ينعكس إيجاباً على الأطفال أيضاً.
- هو مهم لأنّه يسهم بشكل فعّال في تشكيل جهاز مناعة قوي لدى الزوجين ضد كل المنغصات المختلفة، سواء التّي قد تنشب داخل البيت لأسباب معيّنة كسوء تفاهم، اختلاف في الرأي، انزعاج من بعض التصرّفات.. إلخ. أو تلك التي قد يتسبّب فيها آخرون كالأهل والأصدقاء.. إلخ.
- هو مهم لأنّه عنصر ضروري للحصول على صحة نفسيّة وجسديّة متوازنة، بسبب المشاعر الإيجابيّة التّي يعيشها الزوجان معاً. فالمحبوب يحظى بدعم حبيبه وتحفيزه ومدحه وتشجيعه المتواصل، وهذا يدفع به لمزيد من العطاء والتّألق المتواصل، سواء في مجال العمل أم في مجال العلاقات الاجتماعية.
- هو مهم لأنّه يعزّز أواصر الانجذاب والارتباط بين الزوجين بشكل قوي للغاية، وهذا يمنحهما الشعور بالثقة والأمان. وبالتّالي يحرصان على الحوار الدائم والسعي الدائب للتقارب

فكريّاً وعاطفياً وجنسيّاً، نعم ويحرصان على التقليل إلى أدنى حد ممكن من الجدال، الشجار، الاستفزاز السلبي بينهما.

- هو مهم لأنّه العامل الأكبر في إشباع الغريزة الجنسيّة بين الزوجين. فبدون الحب يكون الجنس ممارسة آلية باردة وحركات جافة، وبالحب يتحول إلى طاقة مشتعلة ومتعة مثيرة. وهذا ما يحقق للزوجين الامتلاء الكامل من بعضهما، وبذلك يشعران بالإعفاف التام.
- هو مهم لأنّه عندما تكون حاسّة الوجدان في الزوجين خامدة ساكنة، فلا تنبض بالحب ولا تتوهج بعاطفته الدفّاقة، تستحيل الحياة بينهما إلى حياة بلا مذاق! حياة بلا معنى! حياة بلا جمال! وإن تيسّر لهما من أسباب السعادة الماديّة ما عساه أن يتيسر!
- هو مهم لأنّه يحمل الزوجين على الحرص الشديد ليكونا ثنائيّاً مثاليّاً وزوجاً رائعاً. فكلاهما لا يفتأ يطور شخصيّته وينمي مهاراته، وكلاهما حريص على تجاوز سلبيّاته وتخطي معالم ضعفه وعيوبه. وبالتّالي تترسخ علاقتهما بشكل أعمق مع مرور الزمن وتتطّور نحو أفضل.
- هو مهم لأنّه عنصر ضروري وفعّال في نشوء الأطفال نشأة حسنة ونماء متوازناً، جسديّاً، عقليّاً، أخلاقيّاً. فالولد هو ثمرة الحب الجميل بين أبويه، وعندما ينظران إليه بمثل هذه النظرة، حينها سيحرصان على إنمائها نماء حسناً، لتعطي ثمارها الطيّبة بإذن الله.

ولذلك كان للحب بين الزوجين في الإسلام قيمة جميلة وأهمية كبيرة. وقد عبّر الرسول ﷺ عن ذلك في مواقف مختلفة. منها أنّه سئل أيّ النّاس أحب إليك، قال: عائشة. ولا شك أن هذا التصريح على الملأ لم يكن ـحاشاه ﷺـ عبثاً، بل هو يتضمن دلالات مهمة، منها التنبيه على أهميّة الحب بين الزوجين. ومنها التنبيه على أن حب الزوجة لا يناقض حب الله ﷻ ورسوله ﷺ.

لكن، هل هذا يعني أن الزواج لا قيمة له بدون حب؟ وهل هذا يعني أن الزواج لا يمكن أن يستمر وأن يكون ناجحاً بدون وجود الحب بين الزوجين؟ في الواقع كثيرون يقولون مثل هذا الكلام، لست أقصد من عامة الناس، بل حتى بعض مَن ألّف في الزواج والأسرة!

نحن نقول بأنّ هذا الكلام فيه إجمال، والتفصيل واجب. فالنجاح الزوجي شكلان:

➢ **(نجاح داخل الحب)..** والمقصود به؛ أن الزوجين دخلا الزواج بحب مسبق، أو استطاعا إنشاء الحب بينهما بعد الزواج دون أن يكون بينهما حتى معرفة سابقة. ولا شك أنّ هذا الشكل من النجاح أهم وأفضل وأجمل، بل تنشده الفطرة وتحثّ عليه الديانة، لما فيه من الإيجابيات والاستقرار الحقيقي والشعور الفعلي من طرف الزوجين بمعنى العلاقة الزوجية، بالإضافة لتأثير هذا الشكل على نماء شخصية الأطفال واستقرارهم العقلي والنفسي.

➢ **(نجاح خارج الحب)..** والمقصود به؛ أن الزوجين دخلا الزواج بدون حب مسبق، أو لم يستطيعا أو أهملا إنشاء الحب بينهما بعد الزواج، لكن بالرغم من ذلك، فلم يكن عدم الحب بينهما سبباً في نشوب الصراعات والخلافات المستمرة بينهما، بل هما _يمكن القول_ يعيشان معاً في إطار (هدنة متبادلة)، كل طرف منهما حريص على الابتعاد عن حدوث المشاكل والصراعات، فيحرص لذلك على أداء واجباته تجاه الآخر.

ولهذا، فمن يقول بأن هناك عوامل أكثر تأثيراً في نجاح العلاقة الزوجية واستقرارها، لا شك أنّه واهم، يقول ما لا علم له به أو هو فقط يعكس تجربته الباردة داخل بيته أو مجرد يردد الكلام الرائج والمنتشر بدون تمحيص! وكثير من هؤلاء يرمون الشباب في متاهة حين يكتبون ويتحدثون وينشرون عن أن الحب لا يستمر سوى لشهر أو شهرين بعد الزواج، ثم تأتي الحياة الحقيقية، فينصرف الزوجان لما هو أهم أو لا يجدان فرصة للحب!

إن هذا التصرف من هؤلاء السادة لم يلتزم العدل والانصاف في البيان، ولم يقوموا بالواجب عليهم شرعاً تجاه أبنائنا وبناتنا وهم مقبلون على الزواج أو وهم يحلمون بفردوس الزواج! لقد كان الواجب يفرض عليهم أن يصارحوا الشباب بأن الحب ليس عواطف تدغدغ الوجدان، كما أنه

ليس كلمات غزلية يرددها اللسان، ثم تنتهي القصة عند ذلك، بل هو مواقف وسلوك وتعاون وتضحيات، وبهذا فقط يمكن أن يستمر حيّاً متوهجاً رغم كل الظروف والضغوط.

إنّ هذا القول ليس دعوة للمسارعة إلى الطلاق بدعوى عدم وجود الحب، كما أنه ليس دعوة لعدم الزواج إلا عن حب مسبق، بل هو فقط بيان للمسألة. ومن ثم، نحن نشدد ونؤكد ـ كما سيأتي بعد قليل ـ على أهمية وضرورة أن يحرص الزوجان على إنشاء وإنماء الحب بينهما، ليعيشا زواجها داخل الحب، من خلال التودد الجميل لبعضهما والعمل على تلبية مختلف احتياجاتهما، فإن النفس البشريّة بطبعها تميل إلى من يحسن معاملتها.

❁❁❁

حقيقة الحب:

عندما نتصور أنّ الحب يجب أن يكون بلا مشاكل مُقْلِقَة ولا تحدّيات عنيفة! عندما نتوهم أنّه يكفي أن نعطيه قليلاً لنأخذ منه الكثير الفيّاض! وعندما نعيشه مبتوت الصلة بالله تعالى وعالم الخلود، بل حبيساً في عالم الجسد، وحدود الأرض، وسجن التقاليد والتصورات الساذجة!

عندما يكون الحب كذلك، وعندما يرفض الزوجان التعامل مع الحب كما ينبغي، فلا شك في أنّهما لن يعتبراه فقط أسطورة حالمة وأمنيّة بعيدة المنال، بل سيعملان ـ بضجيج صاخب وربما بصمت هادئ ـ على تجفيف منبعه وتشويه معناه في القلب، ومن ثمَّ تتحول حياتهما الثنائيّة إلى جحيم مُهول ومأساة عنيفة!

جمهور عريض من الأزواج يعيشون علاقة متوتّرة، وقلقة، وسلبيّة للغاية.. علاقة جافة لا نداوة فيها، باردة لا دفء فيها، مضطربة لا سكينة فيه! هذه الحقيقة المؤسفة ـ التّي دمرت نفوساً وهدمت بيوتاً ـ مرجعها إلى خطأ ساذج! ذلك هو اعتقادهم أنّ الحب يستحيل إنشاؤه بإرادتنا الحرّة، ومهما بذلنا من المحاولات فإنّ المصير هو الفشل الذريع!

كما أنّ هناك كثيرين يعتقدون أنّ الحب الحقيقي والصادق لا يمكن أن يكون إلا للحبيب الأول الذي ربما لا يكون هو شريك الحياة، وتراهم يحتجون بقول الشاعر قديماً ـ كأنّه نبيّ معصوم نزل عليه الوحي بذلك!ـ:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل

لأنّه ـ في تصوّرهم ـ انجذاب يأتي على حين غِرّة ودونما استئذان! ولأنّه ـ في تصورهم ـ قدر مقدور لا دخل لنا فيه! وقد ازدادت هذه الفكرة شيوعاً بضغط الذين يعملون في وسائل التواصل والمنتديات على ترسيخها في أذهان الشباب!

نحن نعتقد بأنّ هذا التصوّر للحب؛ تصور ساذج، بل مشوّه لطبيعة الحب، بل إنّه مجرد أوهام شاردة لا نصيب لها من الحقيقة، وبيان ذلك هو:

1. **الحقيقة الدينيّة:** عندما نتأمل قول الحق تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾.[1] نفهم بأنّ هذه الآية تكشف لنا أن الرجل والمرأة مخلوقان من نفس الفطرة، بما فيها من رغبات وأشواق واحتياجات. هذه الوحدة الفطرية بين الرجل والمرأة، تعني أنّ فيهما معاً الاستعداد والقابليّة لحدوث الحب بينهما، أي إنّ أي رجل من حيث هو رجل فطريّاً يمكن أن يجذب ويحب أية امرأة من حيث هي امرأة، والعكس صحيح أيضاً.
2. **الحقيقة النفسيّة:** عندما نقوم بتحليل معنى الحب، نجد أنّه شعور عاطفي ينشأ بين شخصين، نتيجة حدوث إعجاب وانجذاب بينهما. هذا الميل النفسي "الإعجاب والانجذاب" بين الرجل والمرأة يكون بدوره مرتبطاً وناتجاً عن مجموعة من المواصفات المشتركة بينهما. وهي مواصفات

1 . الأعراف/189

تدخلت عوامل مختلفة خلال مسيرة العمر في تشكيلها وإبرازها. فعندما يصادف شخص ما هذه المواصفات والقواسم المشتركة في شخص آخر، فإنّه يميل إليه وينجذب إليه تلقائيّاً.

3. الحقيقة الواقعيّة: قد شهدنا وشهد الناس في الواقع العملي؛ أنّ كثيرين تزوجوا لا عن سابق حب وغرام، بل ولا عن سابق معرفة وتواصل. ومع ذلك نشأ بينهم ـمع مرور الوقتـ حب جميل وإعجاب شديد، بحيث تجدهم يؤثرون الموت على فراق بعضهم. وهذا في الحقيقة يرجع إلى وعيهما النفسي أو المعرفي أو بهما معاً، بأنّ الحب تصرفات ومواقف، وأن النفس بفطرتها عندما تجد مَن يلبي نزعاتها وغرائزها بتصرفات عملية، تنجذب إليه بالضرورة.

ماذا يمكننا أن نفهم من هذه الحقائق الثلاثة؟

الذي نفهمه هو أنّ الرجل والمرأة بما أن لديهما الاستعداد والقابلية الفطرية لنشوء الحب بينهما؛ من حيث كون الرجل رجلاً وكون المرأة امرأة، وبما أنّ صورة شريك الحياة المنتظَر تكون لدى كل واحد منهما مرسومة بشكل محايد؛ أي بدون إلصاق هذه المواصفات بشخص معين، بل كل واحد منهما يقول: مواصفاتي في شريك العمر هي كذا وكذا، وليس يهمه أن يكون من العائلة أو من الجيران أو من بلد آخر.

إذا فهمنا هذا، فهمنا بالضرورة أنّ كل رجل وكل امرأة لديهما الاستعداد التلقائي لإنشاء الحب مع أي شخص كان، شرط أن تتوفر فيه غالب المواصفات المرغوبة، وشرط أن يتبادلان حسن المعاملة وتلبية الاحتياجات المختلفة. ولهذا يمكننا أن نؤكد بيقين على أنّ الحب يمكن إنشاؤه، ويمكن أن يُبنى صرحه، وينمو معناه حتّى بين اللذين تزوجا بدون علاقة عاطفية مسبقة، ويكفي لتحقق ذلك أن يجيدا فنون هذا الإنشاء والإبداع له في قلبيهما.

ولك أن نتأمل قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾.[1] فقوله ﴿ لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ يشير -والله أعلم- إلى أنّ كل رجل وكل امرأة يمكن أن تتحقق بينهما السكينة الزوجيّة. لكن الأمر يكون بأسباب كما قلنا، وهذه هي دلالة قوله ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾، فإن هذا الجعل الإلهي يكون بأسباب، عندما تتوفر تحدث النتائج بإذن الله تعالى.

هذه هي الحقيقة التي نريد أن يفهمها القارئ، والتي يغفل عنها كثيرون.. أولئك الذين يعشقون تمثيل أدوار البطولة كما يشاهدونها في الأفلام والمسلسلات، أو كما يقرؤونها في القصص والروايات الرومانسيّة، دون أن يدركوا أنّ تلك الأفلام والروايات ليس غرضها تقديم الحقيقة كما ينبغي أن يفهمها القارئ، بل تمرير مجموعة من الأفكار والرؤى، علاوة على البُعد التجاري فيها لمؤلفيها وناشريها. لكن من المؤسف أن كثيرون وقعوا ضحايا لهذا الخبث والتزييف!

❁❁❁

إنشاء الحب:

إذن الحب بين الرجل والمرأة ينشأ بأسباب وعوامل. ونستطيع في إطار هذه الرؤية، أن نحدد مجموعة من العناصر التّي تسهم بشكل فعّال في إنشاء الحب بين الزوجين، نلخصها في التّالي:

- **تجديد الفهم**: أي أن يجدّد الزوجان فهمهما لطبيعة الحب، كما اكتشفناه آنفاً، إذ على حسب تصوّر الإنسان للشيء تكون معاملته له.
- **فهم الشخصيّة**: أي أن يحرص الزوجان على فهم شخصيّة بعضهما. فأنت ببساطة لن تستطيع أن تنشئ الحب مع شريك تجهل شخصيّته، فقد تخطئ من حيث تريد الإصابة.

1 . الروم/21

- **الدعاء والتضرع**: أي أن يكثر الزوجان من الدعاء الخالص لله تعالى بأن يفتح لهما قلب بعضهما بعضاً، إذ القلوب بيد الله تعالى يقلّبها كيف يشاء.[1]
- **القناعة والرضا**: أي أن يقنع كلا الزوجين ببعضهما، ويعتقدا أنّهما قُدّرا لبعض. ولذا من المفيد لهما معاً أن يرضيا باجتماعهما وأن يحرصا على تحقيق النجاح فيه.
- **الرغبة القوية**: أي أن يكون لدى الزوجين معاً رغبة عارمة في البقاء معاً، ولكن في إطار التناغم والتّفاهم والانسجام، مهما تقلّبت الظروف واختلفت الأوضاع.
- **التقبّل والتفهم**: أي أن يتقبّل الزوجان بعضهما، فإنسان له إيجابيّات وسلبيات، مع العمل على التّعاون لتطوير هذه الإيجابيّات وتجاوز تلك السلبيات.
- **الإيمان بالقدرات**: أي أن يؤمن الزوجان بأنّ كل واحد منهما لديه من القدرات الفطريّة ما يمكن أن يسهم في تحقيق السعادة وتوفير الهناء وإبداع الحب بينهما.
- **التّعاون والمشاركة**: أي أن يحرص الزوجان على مساعدة بعضهما والمشاركة الدائمة، فلا يكفي المطالبة بأن يكون الشريك رائعاً، بل يجب مساعدته ليكون كذلك.
- **استغلال الفرص**: أي أن يحرص الزوجان على استغلال واستثمار كل الفرص، حتّى وإن كانت صغيرة وعابرة للتقارب وإزالة كل الحواجز بصورة دائمة.
- **الثقة المطلقة**: أي أن يكون لدى الزوجين الثقة المطلقة في بعضهما البعض، مهما تقلّبت الظروف وتغيّرت الأحوال وتكالبت الضغوط، أو حاول آخرون الإفساد بينهما.
- **القدوة الرائعة**: أي أن يحرص الزوجان على أن يكونا لبعضهما بعضاً قدوة رائعة ومثالاً جميلاً: في التفكير، الأخلاق، التديّن، المعاملة لإنماء الحب وإنجاح الزواج.

---

1 . تأمل قول الرسول ﷺ: ﴿ لِيسأَلْ أحَدُكم ربَّه حاجتَه كلَّها، حتَّى شِسْعَ نَعْلِه إذا انقطَع ﴾. والشسع هو سيور الحذاء. مرّة قرأت لبعضهم أنّه داعب زوجته قائلاً: لا أدري لماذا أحبك بجنون؟! فردّت عليه: ومالك لا تحبّني، وأنا أدعو الله في صلاة الليل أن يجعلني أجمل امرأة في عينك وأحب إنسان إلى قلبك!

- **الاهتمام الفعّال:** أي أن يحرص كل طرف على الاهتمام بالآخر عبر الحرص على راحته ومتعته، ومشاركته في مشاكله وطموحاته، والالتفات للذكريات الثنائيّة.
- **التضحيّة الدائمة:** أي أن يضحي الزوجان بكل شيء في سبيل إرضاء بعضهما وتوفير استقراره وسعادته، ولا يمكن تحقيق التقدم نحو الأفضل بدون تضحية.
- **الحضور الدائم:** أي أن يحرص الزوجان على إبراز حضورهما الدائم في حياة بعضهما بعضاً. فروعة الحب هي أن يجدك شريكك في اللحظة التّي يكون فيها فعلاً محتاجاً إليك.
- **العتاب الجميل:** أي أن يكون لدى الزوجين فكرة العتاب وتقبّله، عندما يشعران بتراكمات الأخطاء، خيبات أمل، تصرّفات سيّئة.. إلخ، فلا يعاتبك إلا من يحبّك.

هذه أهم العناصر المساهمة في إنشاء وإنماء الحب بين الزوجين، ولذلك يحرص الأزواج الأذكياء على الالتزام بها خلال مسيرة الحياة. ومن المؤكد والواضح أن الغفلة عنها واللامبالاة بها ليست لها نتيجة سوى قلوب قاحلة ونفوس منقبضة وعلاقة باردة وأسرة مفككة!

❁❁❁

تنمية الحب:

إذا ما أردنا تفصيلاً لما حدّدناه آنفاً، يمكننا أن نقول كقاعدة عامة: إنّ تلك التفاصيل الدقيقة والجزئيات الصغيرة ـوالتّي لا يلتفت إليها كثير من الأزواج، بل يعتبرونها غير ذات معنى أو قيمة!ـ هي التّي تنشئ الحب، ترسخه، تطوّره وتشعله في القلب بين الزوجين.

إنّ هذه الجزئيات الصغيرة أشبه بقطرات المطر، هي بمفردها لا تشكّل شيئاً له فاعلية، لأنّها مجرد قطرة صغيرة، لكنّ هذه القطرة عندما تنضم إلى "جيش" من القطرات وتتلاحم معها، فحينها يتغيّر الوضع وتمثل الشيء الكثير وتشكل قوة عظيمة، قد تُغرق وتدمر.

وكذلك تكون مآلات وآثار الأشياء الصغيرة بين الزوجين، من كلمات وتصرفات.

- ✓ إنّ نظرة حانية، ابتسامة مشرقة، كلمة رقيقة، مغازلة لطيفة، مداعبة مثيرة، هدية صغيرة، أي الحرص على تلبيّة مختلف الاحتياجات بأسلوب جميل.
- ✓ إنّ إبداء الزوج الاهتمام الدائم بزوجته: مهاتفة خفيفة، رسالة قصيرة، إظهار الإعجاب بها، مدحها أمام الآخرين، وتحسيسه لها بأنّه حاضر دائماً معها.
- ✓ إنّ التغافل عن الأخطاء والزلات، التنازل عن بعض الحقوق، الحرص على الحوار الإيجابي والمتواصل حول كل شيء.
- ✓ إنّ تنظيم الزوجة وقتها حسب أوقات دخول وخروج زوجها، كتحضير الطعام، ترتيب المنزل، الاهتمام بأناقتها، أجواء الهدوء، كما تدريب الأطفال على احترامه.
- ✓ إنّ شعور الزوج أنّ زوجته تتقبّله كما هو، ولا تحاول أن تغيّره بطريقة سلبيّة، بل لأنها تحبه هي حريصة على تحقيق التغيير برفق وإيجابية.
- ✓ إنّ مبادرة الزوجة _أحياناً_ إلى أخذ حقوقها في زوجها: طلبها مغازلتها، مجامعتها، اللعب معها، وتعليمها له ما ينبغي عليه فعله معها كما تريده هي.
- ✓ إنّ حرص الزوج على ملاعبة أطفاله، ومساعدتهم على حل تمارينهم ومراجعة دروسهم، وتشديده على احترام أمهم، وضرورة الالتزام بقواعد البيت.

إنّ كل هذا _وهو مجرّد أمثلة _ يسهم بشكل فعّال في إنشاء وإنماء الحب بين الزوجين. ولذلك فإنّ هذه التصرفات الصغيرة تحقق نتيجتين في غاية الأهميّة **(الأولى)** أنّها ترسخ في الزوجين فكرة الإعجاب والانجذاب، والرغبة الصادقة في البقاء معاً. و **(الثانيّة)** أنّها تنشئ _بإذن الله تعالى_ مشاعر إيجابيّة ثريّة ومتواصلة، كما أنّها تعزّز الثقة والأمان بينهما، كما ترفع فيهما الإحساس بالقيمة و التقدير الذاتي.

وبلا شك، فإنّ كل هذا ينعكس بشكل إيجابي على الأبناء أيضاً، من حيث نموهم العقلي والنفسي وحتى الجسدي. فإن الأجواء المشحونة والضاغطة والخانقة عنصر قوي في تدهور نماء الأطفال. وهذا شيء مشاهد في الواقع كما أنه مثبت بالدراسات العلمية.

إنّ الحب شيء جميل جدّاً وممتع كثيراً، ولهذا فهو يستحق منه الزوجين الصبر والتضحية وبذل الجهد الكثير، ليظل كذلك جميلاً ورائقاً ورائعاً. فجمالية الحب إنّما تتجلّى في هذا السعي المتواصل و هذا الحرص الشديد منهما على أن يعيشاه تجربة متميّزة.

وما من شك في أنّ الزوجين عندما يتذوقان هذه المعاني ويعيشانها واقعاً، فإنّهما لن يتوانيا أبداً على حياطة حبّهما الجميل بسياج مقدس، وإمداده بكل ما يمكن أنّ ينفخ فيه حياة متجدد، رغم كل الظروف والتحديات التي تواجه الإنسان، خصوصاً في العصر الحديث.

❁❁❁

خذ حقك من شريكك:

نحن نؤكد على أنّ الحب تصرّفات جميلة وعطاءات كبيرة وتضحيّات عظيمة، ولا يمكن أن يكون مجرد مشاعر رقيقة وأحاسيس شفيفة وأشواق خالبة، لأنّ الواقع يبرهن على هذه الحقيقة. فقد رأينا كثيراً من الأشخاص دخلوا عالم الزواج بحب كبير وغرام جميل، إلاّ أنّهما لم يحسنا التّصرف بينهما، ولم يحرصا على سقي زهرة الحب في قلبيهما، فماذا كانت النتيجة؟

كانت النتيجة الحتميّة هي أنّ القلب الذي كان ممتلئاً بالحب والأنس والأحلام والأشواق، صار ممتلئاً بالكره والوحشة والنفور والهواجس والآلام، ثم يتطور الأمر إلى لحظة إعلان "موت الحب"، ثم إما الفراق والطلاق، وإما حياة قاسية وأليمة! ولو ذهبت تسأل أحدهما، لقال لك: كل شيء انتهى، لم أعد أشعر بذاتي مع هذا الشخص!

ليس السبب في هذه النتيجة ـالتّي يتجرّع مرارتها كثيرونـ إلا الإهمال واللامبالاة من الطرفين، واعتقادهما أنّ شعلة الحب التّي توهجت ذات يوم قبل الزواج أو في أوله، ستظل كذلك إلى الأبد، حتّى وإن لم يُقدَّم لها الوقود اللازم للبقاء مشتعلة في القلب!

الواقع أنّه « ليس كل حب غامر قبل الزواج يستمر بعده، فكثيراً ما يفتر الحب لأنه لم يجد غذاء متجدداً يحفظه وينميه، غذاء تثمره العشرة الطيبة والتعاون على مواجهة الصعاب، وقد يتبع فتور الحب إخفاق الزواج ويكون الفراق ».[1]

وتأمل قول النبي ﷺ عن مواصفات الزوجة الصالحة: ﴿ إذا نظر إليها سرّته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته ﴾.[2] ماذا يمكننا أن نأخذ من هذا الحديث النبوي؟ لقد أشار الحديث إلى أن أناقة الزوجة وإغراءها، وحيويتها وتفاعلها، وحزمها ونضجها، كل هذا من أهم وأبرز أسباب تأليف القلب وأصول تحصيل السعادة الزوجيّة، ولذلك جعلها مواصفات للزوجة الصالحة. بل إني ألمح أن في هذا التفصيل النبوي دعوة للزوج أن يعين زوجته على أن تكون كذلك، فهي زوجته وإذا لم يفعل ذلك تهدم كل شيء!

ولهذا نقول نصيحة لكل طرف: لا تنتظر أن يقدم شريكك لك احتياجاتك ورغباتك على طبق من ذهب، بل من الواجب عليك أن تسعى لأخذ حقوقك كاملة منه وفيه: النفسيّة، العاطفية، الجِنسيّة. يجب أن تحرص على أن تكون الشخص الأهم في حياته. أما عدم المطالبة بالحقوق بدعوى أنّ الحب الحقيقي لا ينتظر أن نتكلم ونطالب، لأنّ المفروض أن يحس بنا ويعرف ماذا نريد.. هذا التفكير بقدر ما هو ساذج، وبقدر ما هو جهل بحقيقة الحب، بقدر ما يؤكد على أنّ صاحبه غارق في بحر رومانسية الأفلام والمسلسلات!

---

1 . «على أعتاب الزواج». أكرم رضا/ صـ 64. ألف للنشر والتوزيع/2007.

2 . «سنن أبي داود»

يحكي الأستاذ كريم الشاذلي فيقول: « قالت لي إحدى الأخوات الفضليات يوماً: أنا لا أتنازل عن حقوقي واحتياجاتي العاطفيّة والخاصة أبداً، ما إن أرى في زوجي انشغالاً عنّي أو عدم اكتراث بحاجتي إليه، فإنّي أقرع ناقوس الخطر، وأخبره بوضوح وصراحة أنّه زوجي الوحيد، حليلي الذي لا أعرف سواه، زادي الذي أتزود به، فإذا لم يرو هو عطش روحي فمن يرويه؟! وإذا لم يهتم بي فمن يهتم، وإذا لم يحتويني فمن سيفعل؟! هذه أنا، وهذه إحدى استراتيجيّات سعادتي ».[1] ولا تملك إلا تقديم الاحترام والتقدير لهذه السيّدة الذكية.

❁❁❁

قل لي أحبك:

قبل أن أختم هذا الفصل لأنتقل إلى الفصل التالي، أود أن أنبّه الزوج على أمر مهم للغاية بالنسبة للزوجة وهو: لا توجد زوجة إلا وهي تشتاق لسماع هذه الكلمة (أحبك). بل لا تمل من أن يقولها لها زوجها ولو مائة مرة في اليوم والليلة! إنها كلمة ساحرة جداً، تُدهش الزوجة، تثيرها وتذيبها! فهي تأخذ عليها أقطار أنوثتها الجميلة، فتنسيها كل شيء!

كلمة (أحبك) حروفها قليلة، ولكن معانيها بالنسبة للزوجة كثيرة دفّاقة! ولهذا فهي لا تمل من تكرار سؤال زوجها، حتى وإن كانت على ثقة كبيرة بحبه لها وغرامه بها: هل تحبني؟ لكن؛ المشكلة في أنّ بعض الأزواج يرفضون هذا التكرار الملح من طرف الزوجة، لأنّه يوحي إليهم ـوهذا خطأ في الفهمـ بأنّ زوجته تشك في حبه لها، ولا تُقدّر كل ما يفعله لأجلها!

والحقيقة أنّ هذا الزوج لا يدرك أنّ الأنوثة مشاعر متدفقة وأحاسيس سيّالة. ومن ثم، فالزوجة تحب أن تُعامَل بهذا المنطق فقط! لقد قالوا: الخط المستقيم هو أقرب مسافة بين نقطتين.

---

1 . «أسطورة الحب». كريم الشاذلي/ صـ 169. دار اليقين. 1430-2009.

وإذا كانت هذه حقيقة علمية، فإنّ علاقة الرجل والمرأة حالة شاذة عنها! فإن فيزياء هذه العلاقة تقول بأنّ الخط المستقيم هو أبعد مسافة بين الرجل وقلب المرأة وبين المرأة وقلب الرجل!

إنّك يا رجل قد تقدم لزوجتك هدايا كثيرة، ربما تكون ثمينة جداً، وقد تقوم بأشياء جميلة جداً، كلها تعبر لها عن حبك وعشقك لها. و لكن إذا نسيت هذه الكلمة السحريّة (أحبك زوجتي) وأخواتها.. فكأنك لم تفعل شيئاً!

كثير من الرجال يستغربون هذه الحقيقة وهذا الموقف من الزوجة، ولكن كما قلنا آنفاً، إنها طبيعة الأنوثة في الزوجة، ولن تتغير أبداً، بل لا يمكن أن تكون الأنثى أنثى إلا بذلك، ولا يمكن أن تكون الأنثى جميلة إلا بذلك، ولا يمكن أن تكون الأنثى مثيرة إلا بذلك!

وليت شعري إذا كان الرسول ﷺ قد أخبرنا بأنّ الزوج إذا رفع اللقمة إلى فم زوجته، تُكتب لها حسنة، فكيف بمثل هذه الكلمة السحرية، التي ـولا شكـ تفوق كثيراً في الدلالة والإيحاء رفع لقمة إلى فم الزوجة؟! وليت شعري كيف يمكن لزوج ملتزم أن يقوم بواجب إعفاف زوجته الذي أوجبه الشرع لها وهو مهمل لكلمة (أحبك) وأخواتها؟!

لكن، رغم كل هذا الذي نبّهنا عليه حول أهميّة (الغزل الكلامي) بالنسبة للزوجة، فينبغي التنبيه أيضاً على معنى لا يقل أهميّة عنه. وذلك أنّ كثيراً من الأزواج يحرصون فعلاً على (الغزل الكلامي) مع الزوجة، إلا أن الزوجة تشعر بأنه مجرد وسيلة وحيلة للحصول على ممارسة الفراش لإشباع الشهوة! والزوجة عندما لا تجد مصاديق الحب في الواقع، من تصرفات ومواقف وتضحيات، فإنّها تشعر بأن مغازلة زوجها لها مجرد كلام بلا معنى ومظاهر بلا مضامين!

لقد قلنا في أكثر من موضع، بأنّ الحب بين الزوجين ليس مشاعر تدغدغ النفس، وليس كلمات تطلق في الهواء، بل هو قبل أي شيء آخر، تصرفات عمليّة، يلمسها الحبيب ويراها واقعاً.

ومن ثم يدرك فعلاً بأن تلك المشاعر من محبه صادقة، وأن تلك الكلمات منه لم تخرج إلا وهي ممزوجة بنبضات قلبه تجاهه. ومن ثم، فإن كل ما يفعله المحب يزيده رصيداً في قلب محبوبه.

إنّ الرجل لا يتذوق معاني رجولته إلا في عالم الأنثى، وإنّ الأنثى لا تتذوق معاني أنوثتها إلا في عالم الرجولة.. فليُعط كل واحد منهما ما يحقق للآخر هذا المذاق العذب الجميل.



ضرورة الرومانسية:

الحياة الزوجيّة إنّما تلذ في نفس الزوجين وتحلو إذا كانت تتخلّلها بشكل دائم ومتواصل باقة من الرومانسيات الجميلة. فهذه الرومانسيّات الحلوة اللذيذة هي التي تضفي على الحياة الزوجيّة مرحها الجميل وبشاشتها الممتعة، بل تجعل الزوجين أقرب كثيراً إلى بعض وأشوق جدّاً إلى بعض.

إنّ سر السعادة الزوجيّة وقدرتها على الاستمرار و العطاء الدائم يكمن في قدرة الزوجين على التجديد في علاقتهما بمختلف مظاهرها وجوانبها. فالنفس تعشق الجديد دائماً، ولا تمل من البحث عنه، لأنّه ببساطة يشعرها بقيمته وحيويتها، ولأنّه يربطها بجماليات الحياة وروائعها.

ومن ثمَّ ففي اللحظة التي يتوقف فيها الزوجان عن التجديد والحرص عليه بينهما، حينها فقط يبدأ الشعور بالملل والرتابة يغزو القلب والوجدان، لينشر حُجبه الكثيفة على علاقتهما الثنائيّة، وبذلك يبدأ العد التنازلي لموت كل حلم جميل رواد قلبيهما يوماً من الدهر!

نعم، إن ضغوط الحياة اليوميّة تُسهم بشكل كبير في نشأة الملل والإحساس بالرتابة، وبالتالي الرغبة في الهروب بعيداً! ويزداد الأمر سوءاً والوضع تأزماً عندما لا يتعاون الزوجان على تجاوز هذا الوضع الكئيب والضغط السلبي والمهدد لعلاقتهما ولأسرتهما!

يمكن تحديد بعض أمارات تمزّق العلاقة العاطفيّة بين الزوجين الناتج كما قلنا عن عدم الحرص على التجديد لإبعاد شبح الملل وغول الرتابة، في المظاهر التالية:

1. **التزام الصمت وندرة الحديث بينهما**، مقارنة بما كان عليه الوضع في مرحلة الخِطبة أو في البدايات الأولى من الزواج. لأنّ أحدهما لم يعد يجد مواضيع مشتركة للحوار!

2. **تكبير الأخطاء والاتهام بعدم المسؤوليّة**، فقد يكون الخطأ بسيطاً جداً، ولكن الطرف الآخر يراه كبيراً، ويجعل منه مشكلة عويصة، وينهال عليه بالنقد اللاذع!
3. **الإدمان على مشاهدة التلفاز**، أو قراءة المجلات، أو متابعة الإنترنت. وهذه كلها وسائل يتعمدها أحدهما ليتجاهل الآخر، وليُشعره بالبعد والغربة وعدم الأهميّة!
4. **عدم الاهتمام براحته وطعامه ومظهره**، خاصة من قِبل الزوجة ، لا تكاد تُعيره اهتماماً، أكل أم لم يأكل! وربما الزوج يأكل خارجاً ليتفادى الأكل مع زوجته!
5. **كثرة الخروج مع الأصحاب والأصدقاء** والعودة متأخراً ليلاً بالنسبة للزوج أو كثرة زيارة الأهل والأقارب والصديقات بغير مناسبة بالنسبة للزوجة!
6. **قلة الرغبة الجِنسيّة والبحث عن الأعذار لعدم ممارستها**، مع عدم الاعتناء بالمداعبة والغزل اليومي كما كانت الرغبة بينهما في أول عهدهما بالزواج.

هذه المؤشرات _وغيرها_ ناقوس خطر على العلاقة الزوجيّة!

لكن؛ ماذا تنتظر من زوج يعود إلى البيت وهو مضغوط بالعمل والزبائن، أو مقهور بخلافات العمال والموظفين، ليجد صدمة أخرى تنتظره في البيت، وهي لامبالاة الزوجة وعدم اهتمامها وجفافها وبرودتها، وربما الصراخ لأنه نسي شيئاً أو لأن الأطفال كسروا صحناً أو كأساً؟!

و ماذا تنتظر من زوجة تنتظر بلهفة وشوق عارم عودة زوجها، ليُخرجها من فضاء الرتابة المكرورة يوميّاً، إلى فضاء آخر متدفق بالمودة والرحمة، ليُسمعها كلمة شكر وتقدير، ليُشعرها بالشوق والحنين إليها، ليمنحها قبلة حب وضمة إعجاب، لتكون الصدمة القاتلة هي اللامبالاة منه؟!

في الحالتين معاً، يكفي أن يستمر ذلك بينهما لبضعة أسابيع ليمتلئ الطرفان مللاً وسآمة وإحباطاً وسخطاً، لأن هذا الأسلوب في التعامل يُشعر الإنسان _مهما حاول المقاومة والمجاهدة_ بالتحطم وعدم القيمة والفشل الذريع، وأن كل ما يقوم به لا معنى له ولا اعتبار به!

❁❁❁

وسائل التجديد:

إنّ الزواج في الإسلام ميثاق غليظ، وهو علاقة غير محصورة في نطاق الأرض والشهوة والتقاليد، بل هي ممتدة إلى الله تعالى والدار الآخرة، ولهذا يجب الاهتمام بالعلاقة الثنائيّة والحفاظ عليها من كل ما يمكن أن يشوه جمالها ويحطم أركانها ويفقدها معناها الجميل.

إنّ الزوجين وهما يسعيان نحو هذا الهدف النبيل والغاية المقدسة، لا يفعلان ذلك لأجل استمرارها فقط أو لأجل الاستقرار فقط أو لأجل التقاليد فقط، أو لأجل الأبناء فقط، بل فوق هذا كله، لأنهما يعتبرانها نعمة كبيرة من الله تعالى تستحق الشكر الجميل.

أضع هنا مجموعة من آليات التجديد بين الزوجين، التي يمكن أن تنبّه على غيرها. وهي:

- **الصلاة والذكر وقراءة القرآن معاً.** فهذا فيه صلة قويّة بالله تعالى، ومن جهة أخرى فيه الشعور بالتنافس في مرضاة الله تعالى وحب التعاون على طاعته.
- **التغيير اليومي في المظهر الخارجي**، من حيث اللباس وتسريحة الشعر وتنويع العطور والنظافة الجسديّة. فهذا يجعل الطرف الثاني يرى شريكه جذاباً باستمرار.
- **التغيير في فترات متقاربة في أوضاع الأثاث.** فهذا من شأنه أن يريح الزوجين ويشعرها بمتعة التغيير. ولا شك أن المرأة بلمساتها الرقيقة تستطيع ذلك.
- **الإكثار من المفاجآت الجميلة والرائعة**، سواء من حيث تقديم هدايا صغيرة، أو من حيث أكلات مختلفة، أو من حيث طريقة الاستقبال للطرف الغائب عن البيت.
- **التنويع في وضعيات الجماع وفنونه**، فهذا يساعد الزوجين على تذوق اللذة بشكل متواصل، ويكون عبر تغيير أماكن الممارسة أو من حيث الإطالة والتقصير.

- **الإتفاق على أخذ عطلة ليومين**، أو ثلاثة أيام مرة واحدة كل شهر أو شهرين، فهذا يضرم في الزوجين شعلة الشوق ويذكرهما بقيمة كل واحد منهما في حياة الآخر.
- **الإكثار من الملاطفة والملاعبة**، فهذا يمنح النفس ترويحاً وإفراغاً لشحنات الملل والرتابة اليوميّة، إضافة إلى المشاعر الإيجابيّة التي تملأ وجدان الزوجين.
- **الإتفاق على تبديل الأدوار المنزليّة في عطلة نهاية الأسبوع**، كأن يقوم الزوج بتحضير الأكل، والزوجة تقتصر فقط على النظافة والترتيب، أو العكس.
- **الإكثار اليومي من التقبيل والعناق والمداعبة**، بلا ممارسة للجماع، فهذا يشعر كلاًّ من الزوجين أنّه مرغوب لأنّه مثير ولديه الشيء الكثير يغري الطرف الآخر.[1]
- **الإتفاق على فترات محدودة لزيارات الأقارب والمعارف**، وكذلك على الخروج معاً للفسحة أو الأكل في الخارج مرة واحدة كل شهر حسب ميزانية النفقة الشهريّة.
- **الإكثار من إظهار الاهتمام والرعاية**، حتى في أقل الأمور، فالتصرفات الصغيرة تضيف رصيداً ضخماً في القلب والروح، فكما قلنا سابقاً فهي مثل قطرات المطر.

إنّ الإنسان يملّ من كل شيء اعتاد عليه، فمن الخير إذن للزوجين أن يبذلا أقصى جهدهما لتجاوز عقبة الملل بينهما، حتى يستطيعا الاستمرار معاً في أفق حياة زوجية سعيدة ومستقرة. ولا شك أنّ هذا الجهد يدخل ضمن مفهوم (الزواج مسؤولية).

❁❁❁

إثارات جميلة:

---

[1] . يقول الدكتور مأمون مبيّض: «إن الرجال والنساء ومن كل الأعمار بحاجة لغذاء كاف من اللمس والمداعبة، كما هو الحال بالنسبة للأطفال الصغار، وخاصة العناق واللمس البريء غير الجنسي بين الزوجين، مما يشير إلى علاقة المودة والرحمة بينهما. ومن الأخطاء الشائعة بين الزوجين أن يصبح التركيز فقط على العلاقة الجنسية، فلا يعود للمس البريء مكان في حياتهما الخاصة». (التفاهم في الحياة الزوجية) ص 240.

وبعد هذا، فلنذكر باقة من الإثارات الجميلة، وعلى الزوجين أن يبتكرا وأن يتفنّنا في الإبداع منها ما شاءا و كيف شاءا، فغرضنا هو التنبيه ليمكن القياس عليه. فالرسالة الكبرى التّي تحملها فنون الرومانسيات الممتعة، هي: (أنت ذو قيمة كبيرة في حياتي، ولهذا سأبذل كل جهدي وحيلتي لإسعادك وإشاعة السرور في قلبك). [1]

و بعد هذا هاك بعض الأمثلة المفيدة:

➢ يجب أن تعلم يا رجل أنّ زوجتك لن تمل من سماع همسات الحب، فلا داعي أن تكون بخيلاً، بدعوى (تعرف أنّي أحبها وأحترمها ونخور بها). فزوجتك لا تفهم هذا التفكير، بل ما يهمها هو ما تسمع وما ترى، لأنّه يُشعرها بالأمان، الطمأنينة والجمال.

➢ من المفيد أن تُكثر يا رجل خلال اليوم عناق زوجتك، فقد ثبت علميّاً ـوهو أمر مشهود ومُجرّب ـ أنّ عناق الزوجة يؤثر بشكل إيجابي على نفسيّتها، لأنّه يُشعرها بالدفء، بالأمان، بالحب، بالرحمة، بالشوق.. إلخ. لذا احرص على ذلك، فلن تخسر شيئاً.

➢ ورد في السيرة العطرة أنّ النبي ﷺ ثنى ركبته الشريفة لتركب زوجته الطاهر على دابتها. فما رأيك أن تقتدي برسولك الكريم ﷺ فتفح لزوجتك الباب عند ركوب السيّارة، فإنّ ذلك يشبع فيها غرور الأنثى. ولا تلتفت لسخافات النّاس وأقوالهم جانباً.

➢ من المفترض أنّك أيّتها الزوجة الصالحة تعرفين وقت عودة زوجك، ولذا احرصي على إنهاء كل أشغالك، وكذا تزيين نفسك قبل وصوله، فإذا سمعت فتح الباب أو طرقها سارعي لاستقباله بابتسامة مشرقة، ثم عانقيه بحرارة مع قبلة جميلة.

➢ من صور الرومانسيّة التّي يغفل عنها كثيرون (الأدب الجميل) في المعاملة. فأقوال: (شكراً حبيبي/ أميرتي)، (من فضلك روحي/ حياتي)، (أيها البطل الرائع هل يمكنك مساعدتي)، (نبض قلبي دعيني أفعل هذا بدلاً عنك)، مثل هذه التعابير لها مفعول قوي للغاية.

---

[1] . يمكن مطالعة كتاب (1001 نصيحة رومانسية) تأليف جوريجوري جوديك، ففيه أشياء يمكن للزوجين استغلالها بينهما.

➢ عند الخروج إلى عملك، تأمل مقلتيها، أخبرها أنّك ستشتاق إليها كثيراً. ثم أرسل إليها رسالة هاتفيّة تخبرها بوصولك. أما أنت أيّتها الزوجة فأرسلي إليه رسالة شوق، أو إخباره أن هناك مفاجأة ليلية تنتظره، فهذا سيثير خياله ويهيّج شوقه وحماسته للعودة سريعاً.

➢ عندما تكون زوجتك متضايقة، تشعر بالإحباط والحزن، لا تبتعد عنها، بل كن بجانبها، أكثر من ضمها إلى صدرك، وأعطها الفرصة لتشعر بالدفء والحنان، أشعرها أنّك متعاطف جدّاً معها، ومتفهم لحالتها، فكل هذا يُبرهن لها أنها ليست وحيدة.

➢ تعشق الأنثى المديح والإطراء من زوجها، لجمالها، لشخصيّتها، لطعامها.. إلخ. فتفنّن في إسماعها ذلك، أمام أهلك وأهلها، فهذا يشعرها بالفخر والقيمة، أو عندما تكونان معاً، فإنّها لن تمل من سماع كل حرف يتعلّق بهذا الأمر، لأنّه يمنحها الطاقة لتقديم المزيد.

➢ قد يحتدم النقاش حول موضوع ما، فالواجب عدم السماح له بإفساد مزاجكما، بل المبادرة إلى حضن الطرف الآخر، ولا يهم مَن المخطئ الحقيقي. فهذا سيرفع رصيد الحب عالياً في القلب ويضيف إعجاباً آخر في النفس، بسبب سماحتك ونُبل أخلاقك.

➢ ملاعبة الأطفال أمام أمهم مهم جدّاً، فهي تفهم منها معاني الحب والتقدير لها. كما يمكنك يا رجل مداعبة زوجتك بمطالبتها بالعدل والإنصاف من هؤلاء "اللصوص" الذين يسرقونها منك، فكل هذا له مردود إيجابي على نفسيّة الزوجة والأطفال معاً.

➢ احرص على مداعبة زوجتك بتصغير أو اختصار اسمها، فذلك يضفي عليه مرحاً جميلاً. وقد كان رسول الله ﷺ يداعب السيّدة عائشة ـرضي الله عنهاـ بمناداتها: ﴿ يا عائشُ، هذا جبريلُ يُقرئُك السلامَ ﴾.[1] وهو أسلوب تفهم منه الدلال والدلع.

➢ اكتب مثلاً في سقف غرفة النوم بالشريط اللاصق المضيء (أحبك) أو (أنت أميرتي). بعد غزل ومداعبات، أطفئ الصباح واطلب منها أن ترفع بصرها إلى السقف.

---

[1] .«رواه البخاري»

- اشتري باقة زهور حقيقية، ثم ضعي بداخلها وردة اصطناعية، واكتبي في بطاقة: سأظل أحبك بكل قلبي حتّى ذبول آخر وردة أيها الأمير الرائع. ثم قدميها له عند النوم.
- خذ مرآة جميلة، قدمها لشريكتك أثناء انشغالها في المطبخ مثلاً، بعد أن تكتب عليها: سترين في هذه المرآة أجمل عروس وأعذب أنثى وأحلى امرأة في العالم.
- اطلب من الخياط أن يطرز في زوايا إزار أبيض وروداً جميلة، وفي الوسط الأعلى يطرز عصفورة جميلة تأخذ بمنقارها غصناً مكتوب عليه (سأظل أحبك إلى الأبد).
- احفظ أبياتاً من أحلى شعر الحب والرومانسية، ثم أجلس أميرتك على فخذيك، وأغمض مقلتيها برفق، ثم انطلق في سرد ما حفظت في أذنها اليسرى بنغمة رقيقة ودافئة.
- خذ أرجوحة يمكن تركيبها وإزالتها بسهولة، ثم اطلب من زوجتك الجلوس فيها، وابدأ بتحريكها برفق مع استعراض بعض الذكريات الجميلة. ستتذكر أيام الطفولة.
- اطلب من النجار أن يصنع لك صندوقاً متوسط الحجم، ضعه في غرفة النوم، ثم عود زوجتك على أن تجد فيه بداية كل شهر هدية صغيرة، فالهدايا دلالتها معنوية.
- إذا كنتما متقدمين في السن، أرسل إلى زوجتك رسالة خطية عبر البريد: (أشكرك من كل قلبي لأنّك صبرت معي، وضحّيت بالكثير من أجلي). أنا فعلاً ممتن لك.

ولنكتف بهذا القدر، فقد قصدنا التمثيل فقط، وإلا فهناك عشرات الأفكار الجميلة والمعبرة، يستطيع الزوجان استثمارها لإضفاء البهجة على علاقتهما الثنائيّة.

لكن، من المهم أن ألفت انتباهك يا رجل إلى حقيقة مهمّة، ألا وهي: القليل الدائم من الرومانسيّة الجميلة، خير وأحب المرأة من الكثير المنقطع أو في أوقات متباعدة.

فبضع قبلات خفيفة يوميّاً و جلسة لمدة عشر دقيقة تُعبّر فيها عن مشاعرك، خير وأحب إليها من قبلات ساخنة مرّة في الأسبوع، أو جلسة عاطفية لمدة ساعتين مرّة الأسبوع.

على أنني لست أحاول إيهام القارئ بأن الحياة الزوجية مفروشة بالورود والأزاهير، بلا تحدّيات ولا منغصات ولا خلافات! لا أبداً، فالحياة الزوجية لا يمكن أن تخلو من أشياء تحول أحياناً دون ممارسة تلك الرومانسيات اللذيذة، والاستمتاع الجميل بها بشكل متواصل.

عدم خلو الحياة الزوجيّة من شيء من المنغّصات والخلافات ليس غريباً ولا عجيباً، لأن شيئاً من ذلك كما أنه لابد منه في الحياة، كذلك هو أمر صحي للعلاقة الزوجيّة ونماء الزوجين. بل إن حلاوة هذه الرومانسيات الرقيقة والمثيرة لا يمكن تذوقها إلا في خضم التحديات والمنغصات التي لابد من شيء منها في الحياة العامة والخاصة.

ومن هنا، يكون مضمون هذه الدعوة هو أن يحرص الزوجان على درء المنغصات والتقليل منها ما أمكن، مع عدم السماح لها بالطغيان والسيطرة على الحياة اليوميّة بينهما.

❁❁❁

أختم هذا الفصل بالتنبيه على أمر مهم للغاية. وهو أنّه ينبغي أن يتذكر الزوجان أهميّة أن يكونا على سجيّتهما وبساطتهما وهما يمارسان تلك الرومانسيات بينهما.

إنّ هذه التلقائيّة والبساطة هي التي تجعل الشريك يشعر أنّه أمام إنسان ودود، طيّب، رقيق وحنون.. أمام إنسان يمكن وضع الثقة المطلقة فيه والطمأنينة إليه.. أمام إنسان تصدر تصرّفاته من أعماق قلبه وصدق مشاعره، وبالتّالي فالأمر ليس مجرد تمثيل وتدليس وتكلّف!

وأيضاً لسنا نقصد بما ذكرنا الأزواج الشباب فقط، أما غيرهم فلا، بدعوى أنّ العمر غير مناسب لكل ذلك، إطلاقاً! فحتّى لو كان قد مضى على علاقتك بشريك حياتك زمان طويل، قضيته معه في بؤس وشقاء وألم ومعاناة، فهناك فرصة أخرى، تستطيع أن تستغلّها في استئناف الطريق وتجديد علاقتك به.

نعم، هناك بعض الأمور لا تليق إلا بالشباب، لكن هناك أشياء كثيرة جدّاً تظل ثابتة وخالدة في العلاقة الزوجيّة. فالمشاركة الفعّالة، عذوبة الكلام، دماثة الأخلاق، المغازلة اللطيفة، تبادل الهدايا، كل هذا متاح للشباب كما للطاعنين في السن.

ولك قدوة في رسول الله ﷺ، الذي كان فوق الخمسين، وكان يلاطف أهله ويداعبهم بحلو الكلام ، بل كان ـصلى الله عليه و سلمـ يسابق عائشة ـرضي الله عنهاـ ويغتسل معها في الحمام. بل أكثر من هذا، ففي لحظات الموت، لم يغفل رسول الله ﷺ عن تلك اللفتات الجميلة.

ورد في السيرة أنّه ـصلى الله عليه و سلمـ في اللحظات الأخيرة من حياته الشريفة، طلب من عائشة ـرضي الله عنهاـ أن تُليّن له السواك بريقها، وتوفي على صدرها الحنون. وهذه إشارة إلى زوجته الطيبة أن لا شيء ـحتّى الموتـ يمكن أن يشغلني عنك!

أرأيت لروعة الرومانسيّة! أرأيت لتدفق العاطفة حتّى في أشد اللحظات! إذن لا عذر لك أبداً، لو أنّك فقط تمتلك الشجاعة لتنظيف عقلك من تلك الأفكار الصغيرة والتصورات البائسة التي تقول لك بأنّ مرحلة العمر المتأخر لا يليق بها تصرّفات الشباب!

وبعد:

إن كثيرين وكثيرات يعترفون بأن لديهم فعلاً رغبة قوية في أن تكون حياتهم سعيدة، يشعرون بمتعتها ومرحها وانسجامها، ويلتزمون فيما بينهم بالكثير والكثير من أمثال تلك الفنون التي عرضنا قبسات منها قبل قليل.. إنهم فعلاً يريدون ذلك، وهل يوجد إنسان سويّ الطبيعة يكره السعادة والمتعة والجمال والفرح؟! هل يوجد إنسان سليم الفطرة يكره أن يكون دائماً نظيفاً ومتعطّراً وحيويّاً؟! هل يوجد إنسان معتدل المزاج يكره أن يكون بيته مرتّباً وجميلاً؟!

من المؤكد أن الجواب هو النفي، لكن.. هؤلاء الأزواج يحرصون بشكل لاشعوري على تبرير إهمالهم لأنفسهم ولشريك حياتهم، بشتّى المبررات. فالزوجة تتعلّل بكثرة الأشغال وشغب الأطفال، والزوج يتعلّل بضغوط العمل وظروف الواقع! أما نحن فنقول: كل المسؤوليّات ليست عذراً، لكي يهمل الزوجان أنفسهما أو بعضهما أو الحرص على استقرار علاقتهما، فقط يجب توفر الإرادة الصلبة، وإدارة فعّالة للوقت، ورؤية واضحة للهدف الأعلى من الزواج. أما بدون هذا، فمن المؤكد أن النتائج ستكون سلبية للغاية!



مشاركة فعّالة

ضرورة المشاركة:

بعض الأزواج بعد مرور مدة معيّنة على زواجهم، لا تكاد تسمع منهم إلا الشكوى من شريكهم: لقد كانت حياتنا الثنائيّة سابقاً حلوة ممتعة، وكنا نشعر بالتقارب الدائم، وكنا نبدي الاحترام الكبير لبعضنا، لقد كنا سعداء. أما الآن فقد تغيّر كل شيء بيننا، صارت علاقتنا مطبوعة بالعناد والغرور، وبالجفاف الوجداني واللامبالاة المدمرة!

هذه هي قصة بعض الأزواج! وبسببها تجدهم يتجرّعون الألم في كل لحظة، ثم إما مصابرة المأساة، أو السقوط في الخيانة، أو قرار الطلاق! وللأسف فإنّ هؤلاء البؤساء لا يدركون أنّ من أكبر أسباب مأساتهم إهمالهم للمشاركة الفعّالة الشاملة في علاقتهم الثنائيّة! فنحن إذا بحثنا في أسرار السعادة الزوجيّة، سنجد من أهمها هو المشاركة الثنائيّة والدائمة بين الزوجين.

في الواقع هناك أربعة حقائق تدعم فكرة أنّ الحياة الزوجيّة السعيدة والممتعة، الناجحة والرائعة، الراسخة والمتماسكة، لا يمكن أبداً أن يفوز بها شريكان قبل أن يحققا المشاركة الفعّالة بينهما، بل وبشكل دائم ومتواصل مهما تقلّبت الظروف وامتد العمر بينهما. هذه الحقائق الأربعة هي:

1. **قانون الدين**: لأنّ غرض الدين من الزواج هو تعاون الزوجين على طاعة الله تعالى.
2. **حقيقة الفطرة**: لأنّ مقصد الفطرة من الزواج هو استكمال فضائلها الإنسانيّة.
3. **دستور الحب**: لأنّ غاية الحب من الزواج هو أن يشعر الحبيبان بالتماهي بينهما.
4. **قواعد الحياة**: لأنّ حكمة الحياة من الزواج هي إشاعة معاني الفضيلة في الواقع.

ولهذا يكون ثواب الزوجين المحافظين على شعار «**تعاوننا ضمان نجاحنا وسعادتنا**» أنّ علاقتهما الثنائيّة تستمر ولكن في مستوى الجمال، الاستقرار، والرسوخ. وفي المقابل يكون عقاب الزوجين المهمِلَين لهذا الشعار، أنّ علاقتهما الثنائيّة قد تستمر إلى الموت، ولكن من المؤكد أنّها تكون مطبوعة بالنفور، الاضطراب، البرودة، الضحالة، الجفاف!

ولأن الإنسان في الحياة لا يتحرّك إلا بدوافع وحوافز، لتحقيق غايات وأهداف معيّنة، يمكننا أن نفهم أنّه من العسير أن تكون المشاركة الزوجيّة فعّالة تؤتي نتائجها الطيّبة في حياة الزوجين، قبل أن تستند إلى أربع عناصر، وهي:

- **وحدة الهدف**: الهدف يُوحّد جهود الزوجين في سبيل تحصيل السعادة والاستقرار لعلاقتهما الثنائيّة. وبالتّالي تعمل وحدة الهدف على حمل الطرفين على التزام المشاركة الفعّالة لتحقيق غايتهما المقدس (التعاون على الطاعة، تنشئة أطفال صالحين، واللقاء في الجنّة).
- **فهم الشخصيّة**: لا يمكن التّعامل مع الإنسان إلا بفهم طبيعة شخصيّته والقيم الكبرى التّي تحكم فيها وتوجّهها. وبالتّالي بقدر ما يفهم الشريكان بعضهما، بقدر ما تكون المشاركة بينهما فعّالة جدّاً، لأنّها تكون مناسبة لطبيعتهما الشخصيّة.
- **وحدة المتعة**: المتعة تختلف من شخص لآخر، بحسب مجموعة من العناصر التّي تُشكل كيانه النفسي والجسدي. والزوجان عندما يحكمهما هدف واحد، ويفهمان بعضهما جيّداً، تكتسب المشاركة بينهما في كل شيء متعة خاصة، عليها طابع شخصيّتهما الثنائيّة.
- **قواسم مشتركة**: بدون قواسم مشتركة تربط الزوجين، لا يمكن أن يتقدما في سبيل المشاركة الفعّالة. فالحب، التضحية، الهدف، من أهم القواسم التي تحقق المشاركة الفعّالة، لأنّ كل طرف يكون حريصاً على التعاون مع الآخر للتقارب معه أكثر.

إذا تأملت كل هذه المعطيات المذكورة، فبلا شك ستعيد نظرتك بشكل جذري لأسلوب التعامل مع شريكك، إذ سيتأكد لديك أنه لا خيار لك سوى المشاركة الفعّالة التي تعني النجاح أو رفضها ويعني ذلك الموافقة على الفشل!

في جميع الأحوال يجب أن نؤكد على أن آثار قبول المشاركة وما يصحبها من مشاعر وتواصل وانسجام، أو رفضها وما يصحبها من نفور وانفصال وشقاق، كل هذا له تأثيرات بالغة حتى على الأبناء، ولا يمكن بحال أن يظلوا بمنجاة عن ذلك!

يقو الدكتور علاء الدين كفافي ـأستاذ الصحة النفسية والإرشاد النفسي بجامعة القاهرة بمصرـ: « في دراسة لأثر علاقة الوالدين معاً على الطفل وجد "بلسكي" أن العلاقة بين الزوجين عندما تكون إيجابية يكون الوالدان مندمجين بدرجة عالية مع أطفالهم، وتكون الأمهات إيجابية نحو الأطفال وأكثر كفاءة في الأعمال الخاصة برعاية الطفل. ومن الناحية الأخرى، فإن الزواج الذي يتسم بالتوتر والصراع من شأنه أن يزيد درجة اندماج الوالدان مع الأطفال كتعويض، أو قد ينقص درجة اندماجهما مع الأطفال بفعل الإحباط. وكلما زاد الأزواج من انتقادهم لزوجاتهم اتجهت الزوجات باللوم إلى أبنائهن أو اتخذن منهم موقف الإهمال واللامبالاة ».[1]

❁❁❁

ثمرات المشاركة:

اهتمام الزوجين بالمشاركة بين الجادة والفعّالة له إيجابيات مهمة. وذلك لأن المشاركة:

- تضفي على العلاقة الزوجيّة قيمتها وقدسيّتها. فبها يشعر الشريكان أنّ حياتهما بعد الزواج صار لها مذاق آخر، غير أنّه رائع جميل، ثري عميق، جاد ومسؤول.

---

1 . «علم النفس الأسري». صـ 126.

- دليل صادق على وجود رغبة قويّة في إنجاح العلاقة الزوجيّة، والاستمرار معاً في مستوى الثنائي المنسجم الرائع. وهذا يشبع في الزوجين غريزة الأمان والثقة.
- من أهم أسباب تحفيز دوافع شريك الحياة على مزيد من العطاء السخي، وبذل مزيد من الجهد لجلب كل ما يرسخ الوشائج الوجدانيّة، ودرء كل ما يُوهِنُها ويُفسدها.
- تحقق للزوجين غريزة (القيمة والجمال)، من خلال حرصهما الدائم على الارتقاء من الآليّة الماديّة إلى الحيويّة المتدفقة، فيكتسب كل شيء بينهما قيمة رائعة ومعنى نبيلاً.
- تساعد الزوجين على عدم الالتفات إلى آثار تلك الهفوات والأخطاء التي لابد أن تقع بينهما. أما بدون هذه المشاركة، فإنّ هذا الالتفات يكون متضخماً جدّاً.
- من أعظم الأسباب لتزكية النفس من الأنانيّة الذميمة، لأنّها تُشعر صاحبها بالسماحة، الحب، العطاء، التضحيّة، الصبر والتعاون. وهذه مطالب دينية عظيمة.
- من أعظم وسائل تربية الأطفال تربية سليمة، بسبب نشوئهم في بيئة سليمة، تسودها السماحة ويحفها الحب والتّعاون، ويغمرها الحنان والتعاطف والرحمة.
- هي خير معين للزوجين المسلمين للقيام بدورهما الرسالي، من حيث الالتزام بطاعة الله تعالى، وتنشئة الأبناء تنشئة إسلامية، والعمل على نفع الأمة الإسلامية العظيمة.
- في فلسفتها الكبرى تعني حرص الرجل على تعليم زوجته أن تكون أنثى، وحرص المرأة على تعليم زوجها أن يكون رجلاً، أي أنّ لسان الحال هو (علمني أن أكون كما تمنى).
- هي تعبير عن شكر نعمة الزوج لله تعالى، ثم لشريك الزواج، ولكن بأسلوب عملي. لأن الكلام مهما كان جميلاً ومعبّراً، فإن الممارسة العمليّة لا بد منها.

أما سلبيات رفض المشاركة مع شريك الحياة، فهي بالضد مما ذكرنا، لكن يكفي أن نعرف أنّ عدم المشاركة بين الزوجين:

- يُحوِّل العلاقة الزوجيّة إلى كابوس فظيع وجحيم مهول، يغتال الحب ويطمر الوجدان، كما أنّه يقتل كل شيء جميل وكل معنى نبيل بينهما!
- يحرم الزوجين من تحقيق مختلف المقاصد والغايات الموضوعة للزواج، سواء في الاعتبار الديني أم الوجداني أم الاجتماعي، كما سبق ذكر كل ذلك في أول الكتّاب!
- يشيع في فضاء البيت والعلاقة الزوجيّة أجواء مشحونة بالتوتر والقلق، والأنانيّة والنفور، وهي أجواء لا شك أن تأثيراتها السلبيّة تشمل الأطفال أيضاً!

في الواقع، إذا كنت ترفض المشاركة مع شريك حياتك، وإذا كنت تستبد بالرأي في توجيه علاقتك به، وإذا كنت تحرص على السيطرة عليه وإفقاده الشعور بشخصيّته وضرب سياج من العزلة حوله، فليت شعري لماذا تعتبره شريك حياتك؟!

إنّ هذه الكلمة «شريك حياتي» تعني أنّك رضيت أن يكون هذا الشخص شريكاً لك في كل شيء يخصك، لكي تحقق معه أهدافك وأحلامك، وأنت تخوض غمار الحياة وتواجه تحديات الواقع. وبالتالي فحين ترفض المشاركة معه، فأنت عمليّاً تناقض نفسك!

تقول جينا لمبروزو ـدكتوراه في فلسفة اللغات والطب، وزوجة المؤرخ جلو جليمو فريرو ـ:

« إنّ العزلة (وحدة العقل والقلب) التّي قد يفرضها الرجل على زوجته، أشد إيلاماً وضرراً من الاستبداد والتّوحش العنيف اللذين يستهجنهما الرأي العام بشدة. فهذه الآلام تراها العين، وهي ليست إلا آلاماً بدنيّة، وتكون عابرة وقتيّة، إذ يتأثر بها الرأي العام تأثراً سريعاً يكفل الحماية والعلاج. أما وحدة الهجر (عزلة الهجر)، فهي عذاب غليظ لا تراه العين ولا يتصوّره العقل، وهي ذاتها تجعل المقاومة عبثاً، وتسمّم كل ساعة من اليوم وتملأ أيّام الحياة كلّها بالشقاء، لأنّ الوحدة هدم للأمل والحياة، ومن ثمراتها تثبيط الهمة وتوزيع الهدف، وهما يصيران على مرّ الأيام أشد وأشمل وأعصى على العلاج، ويثقلان على النّفس أكثر من أي ضربة قويّة سريعة.

من واجب الرجل أن يشرك زوجته معه في علمه، تساهم فيه. كما يجب أن يتعرّف صعابها ويرشدها في نشاطها، ويطمئنها ويؤمّنها من المخاوف والشكوك. إنّه قادر على أن يفعل ذلك كلّه. فليس لرجل عمل لا تستطيع امرأة أن تساعده فيه عقليّاً وماديّاً، إلى حد ما. وما استبد بالمرأة قلق إلاّ كان في استطاعة الرجل أن يطرده بكلمة. فليُعْطِها الرجل قسطاً من عمله، وليحاول أن يفهّمها ويرشدها، فتعتقد أنّها تحظى بحبه وتقديره، وتغمرها السعادة مهما طلب منها من تضحيّات».[1]

وهذا كلام سليم، لا نجد بُدّاً من المصادقة عليه وتقريره. ولنا في سيرة رسول الله ﷺ خير برهان على صحة هذه الدعوة. فلقد كان رسول الله ﷺ يشرك زوجاته رضي الله عنهن في شؤونه الخاصة، حتى في أشد المواقف حرجاً وضغطاً وشدة، كما حدث لما نزل عليه جبريل عليه السلام في غار حراء أول مرة، فذهب إلى السيدة خديجة رضي الله عنها، يطلب دعمها ومشورتها. وكما حدث في صلح الحديبية لما ظن الصحابة ﵃ أن رسول الله ﷺ تنازل كثيراً في مفاوضاته مع قريش، وحين أمرهم ﷺ بالنحر وحلق الشعر، لم يفعلوا ذلك من شدة شعورهم بإذلال قريش لهم، فدخل على زوجته أم سلمة رضي الله عنها وأخبرها بالحدث، فأشارت عليه بأن يخرج وألا يكلم أحداً من أصحابه، وليذهب وينحر ويحلق، فأخذ باقتراحها، وكانت النتيجة أن الصحابة بمجرد أن رأوا رسول الله ﷺ فعل ذلك حتى قاموا بالاقتداء به.

❁❁❁

مجالات المشاركة:

إنّ مجالات المشاركة الفعّالة بين الزوجين واسعة ومتنوعة، ولذلك سنحدد هنا هذه المجالات ونضع معالمها وكيف ينبغي أن تكون:

---

1 . نقلاً عن كتاب (الزواج المثالي) فان دي فيلد. ترجمة: محمد فتحي/ مؤسسة الخانجي.

1. **المشاركة الإيمانيّة**: تتجلّى هذه المشاركة في التّعاون على طاعة الله تعالى ومرضاته، وتذكير الشريك بعدم الإغترار بالحياة الدنيا الزائلة، وضرورة الاستعداد للآخرة الباقية. فمن المفيد أن يحرص الزوجان أحياناً على قراءة القرآن معاً، الصلاة معاً، قيام الليل معاً، الصيام معاً، مطالعة العلم الشرعي والثقافي معاً. فهذا بالإضافة إلى أنّه يعزز أواصر الحب والتقارب الوجداني بينهما، فإنّه يُكسب الزوجين رضا الله تعالى ويستنزل بركاته. وقد نبّه الرسول ﷺ على هذا المعنى حين قال: ﴿ رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء. رحم الله امرأة قامت من الليل وصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء ﴾. لكن على الزوج أن يراعي طاقة زوجته، فلا يكون متشدّداً فينفرها من الطاعة والعبادة. فرسول الله ﷺ كان يقوم الليل وزوجته الحبيبة السيّدة عائشة ـرضي الله عنهاـ إلى جانبه نائمة.

2. **المشاركة الشخصيّة**: تتجلّى هذه المشاركة في تحسيس الشريك بالاهتمام بطموحاته الخاصة، وتقديم مختلف أشكال الدعم ليحقق أفضل مستويات النجاح. ذلك لأنّ كل إنسان له أهداف معيّنة، وتفضيل هوايات على غيرها. والشريك عندما يجد الدعم من شريكه لتحقيق أهدافه وبلوغ طموحاته، وعندما يجده يشاركه في هواياته واهتماماته، فلا شك أنّ هذا يعزز أواصر العاطفيّة بينهما ويُشعره بالثقة والقوة والأمان. فالزوجة الصالحة عندما تجد زوجها ميّالاً للمطالعة الشرعيّة والثقافية، أو للخدمات الاجتماعيّة.. إلخ، فإنّها تحرص على الإلمام بهذه المجالات، لكي لا يشعر زوجها بأنّها غريبة عنه. والزوج الصالح عندما يجد زوجته ميّالاً للدارسة أو للطبخ أو الخياطة.. إلخ، فإنه يحرص على توفير الدعم المالي والمعنوي لها، لكي لا تشعر بالانفصال النفسي بينها وبينه. فالتحفيز والدعم بين الزوجين مهم جدّاً لعلاقتهما كما لأسرتهما.

3. **المشاركة الوجدانيّة**: تتجلّى هذه المشاركة في تحسيس الشريك بالتفهم لاحتياجاته العاطفيّة والحرص على تلبيّتها وإشباعها بطريقة رائقة وجميلة. فمن الجيّد أن يهتم الزوجان كثيراً بالناحيّة الوجدانيّة بينهما. وذلك من خلال إشباع القيم الكبرى لدى كلٍّ واحد منهما، وقد سبق أن قلنا

أنّها بالنسبّة للرجل تمثل في (القوة/الكفاءة/الإنجاز)، وبالنسبة للزوجة فتتمثل في (الحب/الجمال/المشاركة). فإبداء الزوجة إعجابها بقوّة رجلها الرائعة، وكفاءته الماهرة، وقدرته على الإنجاز، وتعبيرها بأنّه يشبع احتياجات أنوثتها، يشد زوجها إليها بقوة وعمق. كما أنّ تفنّن الزوج في أساليب التعبير عن الحب والافتتان بجمالها الساحر، والحضور الدائم معها، لا شك أنّه يشدّها إليه بقوة بل يذيب أنوثتها في رجولته الرائعة. وقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على إشباع الرغبات العاطفيّة لزوجاته الطاهرات، من خلال المداعبة الكلاميّة والعمليّة.

4. **المشاركة الجِنسيّة**: تتجلّى هذه المشاركة في التّعاون مع الشريك لإحراز المتعة الجِنسيّة في أرقى مستوياتها، والحرص على إشراكه في تنميّتها وتطويرها وتلافي مكامن القصور فيها. ففلسفة الجنس تتجلّى في شعور الزوجين بالتّماهي والذوبان الروحي والجسدي في بعضهما. هذه الغاية النبيلة تقتضي المشاركة الفعّالة من الطرفين والاهتمام الإيجابي برغبات بعضهما الجِنسيّة. إذ لكل شخص ميولات مختلفة عن الآخرين، ومسارات اللذة التي تُشبع هذه الميولات لا يمكن للزوجين معرفتها إلا بالتّعاون والمشاركة المستمرة. وهذا يكون من خلال الملاحظة الدقيقة والحوار الصريح حول ما يحب الشريك أكثر وما يمتعه أعظم وما ينفر منه. لأنّك في العلاقة الجِنسيّة لا يمكنك أن تأخذ من اللذة والمتعة إلا بمقدار ما تعطي لشريك الفراش، وبالتّالي كلما تفنّن الزوجان في ممارسة الجنس بينهما، كانت اللذة أعظم والمتعة أحلى والنشوة أكثر.

5. **المشاركة المنزليّة**: تتجلّى هذه المشاركة في مساعدة الزوجة في كل ما يخص الأشغال المنزليّة، والحرص على تخفيف الضغوط عليها بحسب الإمكان. فذلك يدخل عليها سروراً بالغاً يشعرها بأنّ زوجها يُقدر تعبها وشقاءها في شؤون البيت، كما أنّه يشعرها بعاطفته الجيّاشة وحبّه الكبير لها. وقد كان النبي ﷺ يهتم بهذه المشاركة مع زوجاته اهتماماً بالغاً، كما أخبرتنا بذلك السيّدة عائشة ـرضي الله عنهاـ حين سئلت عن عمله في بيته؟! فقالت: ﴿ كان في مهنة أهله: يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه ﴾. وفي المقابل حين تحرص الزوجة على

مشاركة زوجها وإظهار التعاطف معه بسبب تعبه وإرهاقه، من خلال توفير أجواء الراحة والهدوء والحرص على تحضير طعامه ولباسه في الوقت، وإبداء الفرحة والبسمة عند عودته، فلا شك أنّ كل هذا يضيف رصيداً ضخماً في قلب زوجها لها.

6. **المشاركة الأسريّة**: تتجلّى هذه المشاركة في الحرص على التخطيط الثنائي لتدبير النفقات الشهريّة، والخطط المستقبليّة، وطرق تنشئة الأطفال. كل هذا في إطار الهدف المقدس الذي يسعى إليه الزوجان المؤمنان. ولهذا لابد من المشاركة الأسريّة الفعّالّة، إذ ليس من المعقول أن ينفرد أحد الطرفين بتقرير قرارات معيّنة، علماً أنّ آثارها تنعكس على الأسرة جميعاً. إنّ اشتراك الزوجين في هذا الجانب، يُشعرهما معاً بالأهميّة والتقدير والقيمة عند بعضهما. ومن هنا، فإنّ النتيجة للمشاركة الأسريّة الناضجة، هي الحرص على ترشيد النفقات بما يتناسب مع مقدرة الزوج الماليّة، والحرص على اختيار أفضل طرق تربيّة الأولاد بما ينعكس عليهما وعليهم إيجابيّاً. والزوجان المؤمنان ينطلقان من منطلق أنّ الدنيا فانية زائلة، واللهاث المسعور وراءها حماقة نكراء، كما أنّ الأولاد هم أمانة الله تعالى عندهما، سيُسألان عنهم يوم القيامة.

7. **المشاركة الاجتماعية**: تتجلّى هذه المشاركة في الاهتمام بعلاقات الشريك الاجتماعية، ومعرفة مستوياتها، والعمل على ترشيدها لصالح العلاقة الزوجية خصوصاً والأسرة عموماً. ذلك لأنّ الإنسان كائن اجتماعي؛ يبحث بدافع غريزي عن علاقات خارجيّة تُلبي له احتياجات الجانب الاجتماعي في فطرته. غير أنّ واقع الناس، وقد قلّ الوازع الديني وتفشّى الفساد وشاعت الفتن، يحتّم على الزوجين أن يتحاورا حول علاقاتهما الاجتماعية المختلفة، بغرض حفظ كيان الزواج والأسرة من كل ما قد يسبب لها الأضرار والمفاسد. فكم من زوجين أهملا هذا النوع من المشاركة بدعوى حريّتي الشخصيّة! فكانت العواقب وخيمة جدّاً على الأسرة كلّها! لكن، رغم هذه الحقيقة التي نعيشها في واقعنا الاجتماعي، ليس حسناً أن يحاول أحد الطرفين

منع الآخر من إنشاء علاقات اجتماعية واضحة وهادفة، فالصحبة الصالحة جند من جنود الله تعالى يؤيد بها عبده المؤمن، خصوصاً في أزمة الفتن.

تلك سبعة أنواع من المشاركة الفعّالة بين الزوجين (المشاركة الإيمانيّة، المشاركة الشخصيّة، المشاركة الوجدانيّة، المشاركة الجنسيّة، المشاركة المنزليّة، المشاركة الأسريّة، المشاركة الاجتماعيّة). ولا شك أنّها تمنح العلاقة الزوجيّة قوة وتماسكاً، وعمقاً وامتداداً. كما أنّها تُشكل طاقات تحفيز هائلة للزوجين معاً على بذل مجهود أكبر لتحقيق السعادة والاستقرار والسكينة بينهما. فبالحوار، بالعطاء، بالمشاركة، تمتلئ النفس بالرغبة القويّة في العمل أكثر وبشكل أفضل للحفاظ على الشريك الذي يحقق لها احتياجاتها المختلفة، فما المشاركة بمختلف أشكالها وألوانها إلا تعابير عن الحب، الشوق، الإعجاب، التقدير، ولكن بطريقة مختلفة وبأسلوب متفرّد.

❁❁❁

احذر يا رجل..

غير أنّ كل ما ذكرناه لا يجب أن يُفهم منه أنّه دعوة لسيطرة أحد الطرفين على الآخر، كما نبّهنا في أكثر من موضع. ذلك لأنّ محاولة السيطرة على الشريك بمثل هذه الطريقة السلبية هي في الحقيقة تدمير لقدرات شخصيّته التي من الممكن استغلالها لصالح إنجاح العلاقة الزوجيّة والكيان الأسري. فالمشاركة الإيجابيّة مهمة كما رأينا، ولكن مع إتاحة الطرفين الفرصة لبعضهما للشعور بالاستقلالية الشخصيّة. فالإنسان بطبيعته يعشق الحريّة، ويعشق الاستقلال، ويبغض جدّاً من يحاول أن يحرمه منهما!

ولهذا نوجه الدعوة للطرفين معاً لاحترام شخصيّة بعضهما. فهناك أشياء تحب الزوجة ألا يتدخل فيها زوجها، بل تنتظر منه فقط ـإن كان ولابد من إبداء الرأيـ الإشادة والإعجاب. وهناك أوقات تفضل أن تكون منعزلة مع أنوثتها فقط، أو تريد أن تشعر بالانتماء إلى مجتمع الإناث مع

أخواتها فقط، وتكره أن يتدخل زوجها سواء في هذه أو تلك. ونفس الشيء بالنسبة للرجل، هناك أشياء يحب ألا تتدخل فيها زوجته، بل ينتظر منها فقط ـإن كان ولابد من إبداء الرأي ـ التقدير والتحفيز. وهناك أوقات يفضل أن يكون منعزلاً مع رجولته فقط، أو يريد أن يشعر بالانتماء إلى مجتمع الذكور مع إخوانه فقط، ويكره أن تتدخل هي سواء في هذه أو تلك.

هناك حالة واحدة توجب التدخل بلا حدود وبلا تردد بالنصيحة والموعظة الحسنة والموقف الحازم، وذلك حين تكون هناك مخالفات شرعيّة، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾.[1] وكما قال رسول الله ﷺ: ﴿ كلكم راع فمسؤول عن رعيته.. والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم ﴾.[2] قال سيد قطب رحمه الله تعالى تعليقاً على هذه الآية: « إن تبعة المؤمن في نفسه وفي أهله تبعة ثقيلة رهيبة. فالنار هناك وهو متعرض لها هو وأهله، وعليه أن يحول دون نفسه وأهله ودون هذه النار التي تنتظر هناك. إنها نار، فظيعة متسعّرة، الناس فيها كالحجارة سواء. في مهانة الحجارة وفي رخص الحجارة، وفي قذف الحجارة. دون اعتبار ولا عناية. وما أفظعها ناراً هذه التي توقد بالحجارة! وما أشده عذاباً هذا الذي يجمع إلى شدة اللذع المهانة والحقارة! وكل ما بها وما يلابسها فظيع رهيب ».[3]

لكن، في الواقع فإنّ كل ما ذكرناه آنفاً، ليس يعني أن يُهمل الزوجان السمو الأدبي في المعاملة بينهما، سواء في الكلمات أم في التصرّفات. والبعض بدعوى أنّنا شخص واحد ولا حواجز بين الزوج وزوجته وأننا نتشارك كل شيء، لا يراعون هذا السمو بينهما، إلا أنّهم لا يدركون أنّ ذلك على الأقل يؤثر بشكل سلبي على تكوين الأطفال!

هناك ثلاث عناصر تحتم السمو الأدبي بين الزوجين:

---

1 . التحريم/6

2 . «صحيح البخاري»

3 . «في ظلال القرآن». جـ 6 صـ 3618.

❖ **الدين**: فقد أمرنا الإسلام بالسمو الأدبي والالتزام بجميل الأخلاق في كل شيء. قال الله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾.[1] فكما نرى، فالله تعالى أمرنا بالحرص على الكلمة التي هي "أحسن" و ليس التّي هي "حسنة"، لأنّ الشيطان قد يستغل كلمة واحدة فيشعل بها النار بين الطرفين المتحاورين، وبحكم أنّ الزوجين يكون التواصل والحوار الكلامي بينهما بشكل دائم ويومي وفي مختلف الظروف، فلا شك أنّ الشيطان حريص على استغلال إفساد هذه العلاقة ولو بشطر كلمة. ولهذا، ينبغي أن تكون مفردات التواصل بين الزوجين راقية وجميلة، ولو في حالة الممارسة الجنسيّة. على عكس ما يفعله البعض، خصوصاً ما يتعلّق بالإثارة الجنسيّة وممارستها!

❖ **الحب**: الحب مثله مثل الزهرة، لا تستطيع أن تستمتع بمنظرها الجميل، ولا بعطرها الفواح، إلاّ بالرعاية والاهتمام المتواصل، وإلا فإنّها سريعاً ما تذوى وتموت. كذلك الحب، لا يمكن أن يمو ويسمو إلا بماء الكلمات والتصرفات. والواقع والدراسات العلميّة يؤكدان على أنّ للكلمات والتصرفات قوة تأثيريّة هائلة على العقل والوجدان، إن كانت إيجابيّة فالتأثير يكون إيجابيّاً، وإن كانت سلبيّة فالتأثير يكون سلبيّاً. فعندما يستقبل العقل والوجدان كلمات وتصرفات ذات إيحاء إيجابي، يكون شعور الإنسان مريحاً وممتعاً وسعيداً وحيويّاً. وعندما يستقبل العقل والوجدان كلمات وتصرّفات ذات إيحاء سلبي، يكون شعور الإنسان كئيباً وحزيناً وبائساً وكسولاً. ولهذا فالرقي في الكلمات والتصرفات واجب لينمو الحب ويسمو و تترسخ وشائجه.

❖ **الطفل**: الطفل هدية من الله تعالى، كما أنّه أمانة عظيمة عند الزوجين. ولهذا يجب العناية به والتّعاون على تنشئته تنشئة طيّبة مباركة. إنّ العلماء اليوم يقولون بأنّ الطفل في مرحلة الطفولة تكون حاسة التقليد والمحاكاة لديه شديدة ودقيقة، مثل أي جهاز دقيق من أجهز الرصد، أدنى شيء يسجله ويخزنه في ذاكرته، ثم يعيد إنتاجه لاحقاً. ولهذا يجب على الزوجين أن يكونا يقظين

---

1 . الإسراء:53]

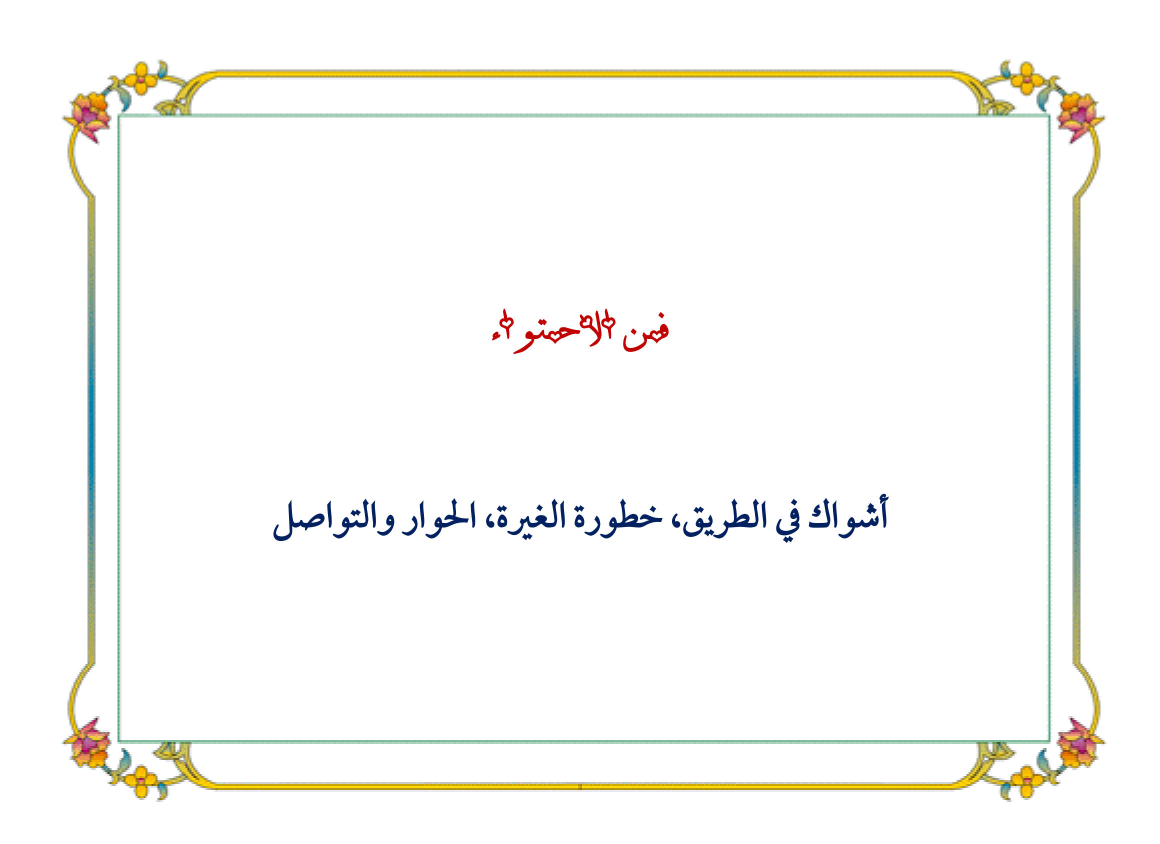
للغاية لكلماتهم وتصرفاتهم، سواء تلك الدائرة بينهما أو التي يتعاملون بها مع أطفالهم. فعندما ينمو الطفل في وسط يستقبل فيه كلمات وتصرفات إيجابية وجميلة، فلا شك أنّه ـبإذن الله تعالى ـ ينمو بصحة نفسيّة متوازنة. عكس نموه وسط يتلقى فيه كلمات وتصرفات سلبية وبذيئة، فلا شك أنّه ينمو بصحة نفسيّة مضطربة، عقلاً وأخلاقاً.

دعنا نضع هنا أمثلة توضح ما نقصد:

- ✓ عندما يقدم لك شريكك خدمة معيّنة، ولو كوباً ماء، قل له: شكراً قلبي لقد أتعبتك معي/ جزاك الله خيراً حياتي على خدمتك لي.. إلخ.
- ✓ عندما تطلب شيئاً من شريكك، ولو شيئاً صغيراً، قل له: من فضلك هل تستطيع أن تساعدي/ حبيبي هل يمكنك أن تقوم بدلاً عنّي بكذا.. إلخ.
- ✓ عندما تدخل الخلاء أو تريد الاستحداد أي إزالة شعر الإبطين والعانة، أو تكون متعرّقاً، لا تدع شريكك يراك على تلك الحالة أو يشم منك رائحة عرقك النتنة.
- ✓ عندما تضطر للأكل وحدك بسبب غياب شريكتك أو حضورك متأخراً بعد وقت الأكل، لا تنسى أن تنظف المائدة ولا بأس أن تغسل ما أكلت فيه.
- ✓ عندما تستحم أو تقوم من الفراش أو تغيّر ملابسك، لا تترك المكان فوضى، بل بالحري يجب عليك أن تتركه مرتباً نظيفاً، وأن تضع كل شيء في مكانه المخصص له.
- ✓ عندما تثور مشكلة معيّنة أو خلاف في الرأي، ابتعد عن الألفاظ النابية أو الحركات الهوجاء، أو الاستهزاء بشريكك، أو السخريّة من أفكاره.

إذن المشاركة الفعّالة واجبة، وتجاوز الحواجز ضروري، ولكن كل هذا لا ينفي أهميّة الحرص على السمو الأدبي في الكلام والفعال والمشاركة بين الزوجين.




فن الاحتواء
أشواك في الطريق، خطورة الغيرة، الحوار والتواصل

أشواك في الطريق

أسباب المشاكل:

عندما نقرّر السفر إلى مكان معيّن، نجد أنفسنا ملزمين بتقبّل شروط السفر: قليل من التعب والإرهاق، قليل من المفاجآت غير المتوقعة، قليل من الاكتشافات الجميلة والجديدة. ومهما كانت الطريق معبّدة، فإنّ بعض النتوءات وبعض المنعرجات، وربما بعض الحفر لابد أن تظهر هنا وهناك. كل هذا شيء عادي وطبيعي في السفر، لكن، من الواضح أنّ هذا القليل من كل ذلك هو الذي يضفي الإثارة والروعة على رحلة السفر.

وكذلك الزواج.. إنّه رحلة سفر طويلة، تبدأ أولى محطاته منذ الموافقة على الارتباط، ويستمر إلى لحظة الموت، بل إن هذه الرحلة تبتدئ هنا في عالم الدنيا، لتستمر خالدة بعد الموت، كما يخبرنا الإسلام. وبين لحظة الارتباط ولحظة الموت، وبين الدنيا والآخرة، هناك الكثير من الأحداث التي تصحب الزوجين خلال هذه المسيرة الطويلة. وهي مسيرة يقرّر الزوجان بمحض إرادتهما الشراكة فيها وتحمّل وعثائها والاستمتاع بمفاجآتها والتعاون على تجاوز تحدّياتها.

عندما يتخلى الزوجان عن تحمّل تبعات هذا القرار والقيام بحقوقه كما ينبغي، وبالتالي لا يتعاونان لتفادي الأشواك المتناثرة في الطريق.. عندما يفعلان ذلك فلا شك أنّ النتائج تكون كارثيّة ومأساوية للغاية! فإما حياة تتمزق بالخلافات اليومية الكئيبة، أو خيانة آثمة وبائسة تدمر علاقتهما، أو طلاق يهدم عش الزوجيّة ويُشرّد الأبناء نهائيّاً!

هناك كثيرون يتصورون أنّه لأجل تفادي هذه النهايات الحزينة، لابد من الحب، أي بالحب يستحيل أن تبرز مشاكل بين الزوجين الحبيبين!

لكن، هل هذا التصور له نصيب من الصحة؟ أما نحن فنقول: (لا)، بل حتى مع وجود حب صادق وعميق بين الزوجين، من الممكن أن تحدث خلافات وتظهر مشاكل وتهجم تحديات بينهما، وهو أمر طبيعي جدّاً، للأسباب التّاليّة:

1. **اختلاف الشخصيّة**، في الزوج والزوجة يقتضي وجود اختلافات سواء في طريقة التفكير أو في طريقة التعبير أو في طريقة الفعل والممارسة. ولا شك ـ كما سبق أن بيّنا في فصل الشخصيّة ـ أنّ الزوجين عندما لا يهتمان بفهم طبيعة شخصيّة بعضهما بعضاً، فإنّ حروباً ضروسة لا بد أن تقع بينهما، لأنّهما لا يعرفان مفاتيح التعامل بينهما. ومن الطبيعي أنّك إذا فقدت مفتاح الباب، فإما أن تكسره وإما أن تذهب وتتركه!

2. **المثاليّة الزائفة**، رسم صورة مُغرقة في المثاليّة الجميلة، بسبب المسلسلات أو الروايات الغراميّة، وتصوّر الشريك المحب على أنّه إنسان كامل! لكن عندما يدخل الزوجان عالم الزواج ويكتشفان الكثير من معالم شخصيّة بعضهما بعضاً، ولا يلمسان واقعاً تلك الأحلام الجميلة التي تمنّياها من قبل، تحدث خيبة أمل كبيرة، تُولِّد إحباطاً وربما اكتئاباً! وكل هذا يجعلهما غير قادرين على تحمل أدنى سوء تفاهم أو خلاف!

3. **الغيرة الجامحة**، الغيرة العارمة منهما جميعاً أو من أحدهما، خصوصاً من طرف الزوجة. لأنّ الشريك الذي يغار يتصور أنّ شريكه لم يعد يرغب فيه. ولذلك يفسر كلامه وتصرّفاته على هذا الأساس. وبهذا يكون مستعدّاً نفسيّاً للتأثر سلباً بأي شيء يحدث بينهما، ولو كان أمراً صغيراً وعابراً. لتكون النتيجة هي الحرص على استغلال أي شيء للثورة والاحتجاج على قلّة الاهتمام به. كما أنّ هذه الثورة هي متنفسه لرد بعض الاعتبار لذاته المحطمة!

4. **نضوب المشاعر**، خمود العاطفة بسبب إهمالها و تجديدها. كثيرون يعتقدون أنّ الحب يمكن أن يظل زهرة فواحة إلى الأبد، حتّى بدون توفير أسباب الحياة لها! اعتماداً على (أنا أحبّه حبّاً كبيراً، وأعرف أنّه يحبّني كذلك)! أو انهماكاً في هموم الأطفال وتوفير المعيشة الراقية! لكن

الحقيقة هي أنّ الحب يحتاج للتجديد المستمر وإلا فإنّه وهجه يخبو سريعاً في القلب، فإذا خبا وذوى، غزت جيوش من الهواجس والمنغصات هذين الزوجين!

5. **تدخل الآخرون**، السماح للآخرين بالتدخل في العلاقة الثنائيّة، سواء كانوا الأهل أم الأصدقاء أحد أسباب المشاكل. كثيرون يسمحون للآخرين بالتدخل في علاقتهم، إما بدعوى العلاقة الوثيقة التّي تربطهم بهؤلاء! أو بدعوى طلب النصح والارشاد وأنّهم أوسع منهم خبرة! أو بدعوى أنّهم طرف محايد يستطيع أن يقترح حلولاً موضوعيّة! وكم جنى السماح لهؤلاء بالتدخل على البيوت من مشاكل ومصائب، يكون الزوجان في غنى عنها!

6. **انتفاء الهدف**، ضبابيّة أهداف الزواج، بسبب الجهل بمقاصد العلاقة الزوجيّة. فلا شك أنّ عدم وضع هدف للزواج والاتفاق عليه، يدفع بالزوجين لعدم احترام وتقدير ارتباطهما الثنائي. وإذا انتفى الاحترام والتقديس لرابطة الزواج، عجز الشريكان عن التّصرف بما يساعد على توفير أجواء المودة والسلام، وإضفاء المعنى على زواجهما. و لهذا شدّدنا سابقاً على ضرورة وضع هدف مقدس موصول بالله تعالى و الدار الآخرة.

7. **ارتباط مصلحي**، عندما يكون أساس الارتباط الزوجي قائماً على المصلحة فقط أو اتباع التقاليد أو رغبات الوالدين فقط، فلا شك أنّ الزوجين يكونان بذلك مستعدين نفسيّاً للانصهار في بوتقة المشاكل وخمود العاطفة. إذ كل مَن ارتبط بشخص لسبب معيّن فإنّ ارتباطه يزول بزوال السبب. ولهذا كانت أفضل العلاقات الناجحة هي العلاقة المرتبطة بالله تعالى والطامحة للقاء في الجنة، النابعة من التفاهم والمودة والرحمة. وهذا ما يغفل عنه كثيرون!

8. **قلّة الحوار**، عدم العناية بالحوار بين الزوجين حول مختلف التحديّات والعراقيل أو الخطط والرغبات، من أقوى عوامل نشوب المشاكل بينهما. إذ أنّ اختلاف الشخصيّة وكذا الخبرة الحياتيّة يُولّد بين الزوجين اختلافات كبيرة في طريقة التفكير والتعبير، واختلافات واسعة في

منهج التخطيط والتدبير، واختلافات واضحة في أسلوب إشباع الاحتياجات. كل هذا يحتّم الحوار الدائم، لأنّه ضمان التقريب بين وجهات الرأي وفهم أفضل لبعضهما بعضاً.

9. الانغماس في الماديّات، الرغبة الجامحة في تحصيل مختلف الشهوات، والحرص على العيش في مستوى أعلى من المستوى الحقيقي الذي يوفره دخل الزوج الشهري، يُحدث في العلاقة الثنائيّة صدوعاً وشقوقاً. فالانغماس في ملذات الدنيا ورغباتها ـوهي لا تنتهي أبداًـ يحوّل علاقة الزوجين إلى علاقة ماديّة، تنتفي فيها نفحات الجمال وإشراقات الروح. وهذا ناتج بدوره عن ضعف في عقيدة الآخرة في النفس، وجهالة كبيرة بحقيقة مهمّة الإنسان في هذه الحياة.

10.الظمأ الجنسي، عدم الانسجام الجنسي من أعظم أسباب المشاكل و الشقاق بين الزوجين. فالدافع الجنسي من أقوى الدوافع في النفس البشريّة، ولهذا كان من مقاصد الزواج توفير بيئة طيّبة لتصريف شحنات الشهوة الجنسيّة في الزوج والزوجة. هذه الرغبة الغريزيّة تختلف طريقة إشباعها بين الرجل والمرأة، ولذا فعندما يجهل أحد الشريكين فنّ إرواء هذه الغريزة في شريكه، يكون ذلك سبباً في نشوب المشاكل اليوميّة.

11.الاهتمام بالأولاد، قد يعيش الزوجان مدة بتفاهم وانسجام وسلام، ولكن بمجرد مجيء المولود الأول حتى يتغيّر كل شيء بينهما: يقل التواصل، يتراجع الانسجام، يتضاءل وقت الحوار، تضيق مدة التعبير العاطفي بينهما. فالزوجة تتعلّل بأنّ المولود الجديد يحتاج لرعاية كبيرة، والزوج يتذرع بأنّ المولود الجديد يحتاج لمصاريف أكثر. وبالتّالي يكون المولود نقمة عليهما بدل أن يكون نعمة جميلة، بل قد يتطور الأمر لدى بعضهم أن يكرهوا أطفالهم بسبب ذلك!

12.ضيق الوقت، يتعلل كثيرون بعدم وجود الوقت الكافي للاهتمام بالذات والطرف الآخر. فالزوج بدعوى تحسين مستوى المعيشة، والزوجة بدعوى العناية بالأطفال وأشغال البيت، يهملان بعضهما (نفسيّاً وعاطفيّاً وجنسيّاً). ومع مرور الأيام يتفاجآن بأنّهما غريبان عن بعض،

وأنّ أحلامهما قد تلاشت وتبخرت، وبهذا يكونان على أتم الاستعداد للغرق في بحار المشاكل لأدنى سبب، لأنّه لم يعد يربط أي سبب!

13.**الجهل بالدوافع**، ينسى الرجل أنّ المرأة في كثير من الأحيان تلجأ إلى الرسائل المشفرة، أي لا تخبره بما تريد بشكل واضح ومباشر، بل تكتفي بالإشارة والتلميح، ربما لأنّ هذا الأسلوب متوافق مع أنوثتها، وربما لأنّها تفترض أنّ الرجل يعرفها أو يجب أن يعرفها! وعندما لا يفهم هذه الإشارات تُصاب بالإحباط واليأس، لأنّها تعتقد أنّه فهم غرضها، ولكنّه رفض التجاوب معها! ونفس الشيء يقال عن الرجل حين تنسى المرأة طبيعته النفسيّة والتكوينيّة!

14.**الأنانيّة المقيتة**، عندما ينشغل كل طرف بشؤونه: الرجل بشؤونه خارج البيت، والمرأة بشؤونها داخل البيت، فلا شك أنّهما ينصرفان عن المشاركة الإيجابية والفعّالة بينهما في كل شيء، ومع مرور الزمن تتفكك الروابط العاطفية والنفسية بينهما، ثم قد يتطور الأمر إلى أن يشعر كل طرف بالرغبة في الابتعاد عن الآخر، على الأقل لتفادي الشجار والخصام معه. وكل هذا ناتج عن أسلوب الأنانيّة في التعامل بينهما!

15. **كثرة النقد**، الحرص على تصيّد أخطاء الشريك، لكي يفهمه بأنّه جد منتبه لما يجري حوله، وأنّه لا يمكنه خداعه! هذا التصور للعلاقة الزوجيّة يُحَوّلها إلى ساحة حرب باردة وتجسس دائم. وليت شعري كيف يسعد ويبتهج مثل هذين الزوجين؟! إنه لا يوجد أدنى مبرر لحرص الزوجة على تحسيس زوجها بأنّها ذكية ويقظة جدّاً لا يمكن خداعها، أو أن يحرص الزوج على تحسيس زوجته بأنّه جهاز مراقبة لكل صغيرة وكبيرة من كلماتها و تصرفاتها!

16.**الحب الأناني**، يحدث أن يكون بين الزوجين حب كبير، لكن المشكلة التّي يقعان فيها هي أنّ أحد الطرفين يحرص على تحقيق السعادة الزوجيّة بأسلوب أناني لا يعير الطرف الآخر أدنى اعتبار، فيشعر الآخر بأنّه بدون قيمة، حتّى وإن اعترف بأن ما يفعله شريكه شيء جيّد

ورائع. ومن هنا لا يجد لرد الاعتبار لنفسه الجريحة إلا العناد المضاد، لكي يبرهن له على أنّ خطته غير مفيدة، وهو إنّما يريد فقط أن يشعر بقيمته وكرامته المهدورة!

17.**هجران البيت،** بعض الزوجات بمجرد حدوث خصام مع الزوج، لا تجد حلاًّ سوى الذهاب إلى بيت أهلها! وبعضهن لا تجد عقوبة لزوجها سوى حرمانه من الفراش! ويفعل هذا بعض الأزواج أيضاً. لكن ما يجب تذكره أنّ هذا التصرف بالإضافة إلى أنه ذنب عظيم عند الله سبحانه، فإنّه يفسح المجال للشيطان لزراعة الكراهة والشكوك، قد تصل النتيجة عند بعض مَن لا تقوى لهم إلى السقوط في وحل الزنا انتقاماً واحتقاراً من شريكه!

18.**الانخداع بالنميمة،** كم من زوجة طلّقت ومن بيوت هدمت، بسبب كلمة نميمة ووشاية خادعة! وإنّما يلقي الزوجان السمعَ لنميمة الأشرار لسذاجة غبيّة أو لنفور عاطفي ضاغط أو إحساناً للظن بالآخرين! إنّ النمام الخادع غرضه هو إفساد العلاقة الثنائيّة؛ فكم من امرأة حسدت صديقتها أو جارتها على زوجها، فسعت بينهما بالنميمة الكاذبة، لكي تحقق هدفها الدنيء! والأمر نفسه يقال عن الرجل. وهذا شيء وقع بين الناس!

19.**المقارنة الساخرة،** المقارنة نزعة من نزعات الإنسان. وإذا كانت المقارنة ضروريّة لمعرفة مكامن الضعف والإخفاق، ومواطن القوة والنجاح، فإنّ العلاقة الزوجيّة ترفض هذه الضرورة. فمقارنة الشريك بشخص آخر، ثم إخباره بأن هناك مَن هو أفضل منه، يؤثر سلباً على نفسيّته، بل يشعره بالتحطم والانكسار. ولكي يسترجع قيمته المهدورة، قد يتجه إلى الاستمرار في عمل الأشياء نفسها التي يكرهها منه شريكه، إضافة إلى كثرة انتقاده لأي سبب!

20.**إنكار التضحية،** حيث يكون الحب تكون التضحية. لكن إنكار التضحية كما يكون إنكاراً عاماً، فقد يكون إنكاراً في شكل اعترف سلبي بالتضحيات التي يبذلها الآخر، أي مجرد كلمات دون أن يكون هناك تصرفات عملية تؤكد على هذا الاعتراف. الذي يحدث هو أنّ الطرف الآخر

يفهم من ذلك (أنا لا أقدر ما تقوم به لأجلي)! ومن ثَمَّ لا يجد بدّاً من التراجع، لأنّه يرى أنه مهما فعل ومهما ضحى، فإنّ شريكه لن يعترف له بشيء، فلماذا إذن يزعج نفسه؟![1]

تلك عشرون سبباً هي أبرز أسباب نشوب المشاكل واندلاع الصراعات بين الزوجين.. المشاكل والصراعات التي تُحوّل حياتهما إلى جحيم كئيب، والتي تغتال كل حلم جميل داعب يوماً أعماقهما وهما يطمحان إلى إنشاء علاقة ثنائيّة رائعة وجميلة، وينشئان أسرة متماسكة وعظيمة!

❁❁❁

علاج التحديات:

بعد أن اكتشفنا أسباب المشاكل، من المهم أن نطرح هذا السؤال: هل يمكن للزوجين أن يتفاديا الوقوع في أوحال المشاكل، وبالتالي حفظ علاقتهما الزوجيّة من التفكك والتمزّق؟ بكل يقين الجواب هو (نعم). يكفي _بعد فضل الله تعالى وتوفيقه_ أن يكون لدى الطرفين رؤية واضحة وعزيمة صادقة وحرص ثابت على التعاون والمشاركة. ولهذا سأضع هنا باقة تنبيهات وإرشادات لطريقة التعاطي مع المشاكل وتجاوز التحدّيات.

1. **المشكلة ليست مشكلة في حد ذاتها**، بل في طريقة التّعامل معها. لأنّ المشكلة ما هي إلا حدث من الأحداث التّي تقع في حياتنا، ومن جهة أخرى هي نتيجة لأحداث سابقة نحن فعلناها. إذا أقررنا بهذه الحقيقة، سيسهل علينا التّعامل مع كل ما يسمى "مشاكل".
2. **لكل مشكلة تحدث أو يمكن أن تحدث حل.** لهذا لا يجب على الزوجين أن يتردّدا في بحث أيّة مشكلة تحدث بينهما والحرص على إيجاد حل صحيح لها. وهذا ينطبق على المشاكل العاطفيّة (قلّة اهتمام)، والمشاكل الجِنسيّة (قلّة إشباع)، والمشاكل الماديّة (قلّة/إسراف).

1 . تأمل: قال رسول الله ﷺ: ﴿ أُريتُ النارَ فإذا أكثرُ أهلِها النساءُ، يَكْفُرن. قيل: أيَكْفُرن باللهِ؟ قال: يَكْفُرن العشيرَ، ويَكْفُرن الإحسانَ، لو أحسنتَ إلى إحداهُن الدهرَ، ثم رأتْ منك شيئًا، قالت: ما رأيتُ منك خيراً قطُّ! ﴾.

3. **الاعتراف بالمشكلة أول خطوة في العلاج**، فإنكار المريض للمرض لا ينفي حقيقة أنه مريض ويعاني من مرضه. ولهذا من المفيد أن يمتلك الزوجان الشجاعة الكافية للاعتراف الصريح بالمشكلة القائمة بينهما، ثم يحرصان على التعاون لحلّها وتجاوزها.

4. **التعاطي مع الأحداث المزعجة على أنّها مشاكل وتهديدات خطيرة؛ خطأ**. بل من المهم أن يعتبر الزوجان هذه الأحداث المنغّصة مجرد تحدّيات في الطريق، من الطبيعي حدوثها، كما أن من الضروري مواجهتها، وهما يسعيان إلى التحقيق المتواصل لأحلامهما وأهدافهما الثنائيّة.

5. **من الخير للشريكين وأد المشكلة في مهدها وعدم تركها تنمو وتكبر**، بدعوى أنّ الأمر بسيط لا يستحق أو أنّ الأيام كفيلة أن تُنسي المشكلة من الأساس! الحقيقة أنّ هذا الصمت عن معالجة المشكلة يسهم في تراكم ضغوطها على النفس، حتّى تأتي لحظة الانفجار المدمر!

6. **المشكلة ليست في شريكك، ربما في طريقة تعاملك معه**. فإذا كنتَ تتعامل معه على أساس أنّه إنسان كامل أو أنّه شخص عادي في حياتك أو تحسبه بأنّ مهمته تنتهي عند الإنجاب (الزوجة)، وتوفير النفقات (الزوج)، فلا تنتظر منه كثيراً!

7. **رفض تنبيه الآخر على الخطأ**، بدعوى (لا أريد إحراجه) أو (أخشى غضبه) أو (غداً سيتغيّر) أو (المفروض أن يفهم ذلك)، هو مساهمة قوية في تفكيك العلاقة العاطفية، وهذا ما يترتب عليه آثار مدمرة جدّاً على المدى البعيد، وهناك أخطاء يحسن التغاضي عنها.

8. **من الواجب أن تقول:** بما أنّ شريكي أساء الظن بكلامي أو اختلف معي في الرأي، فقد أكون أنا السبب إذ لم أحسن عرض فكرتي وموقفي بصورة جميلة وواضحة وجذّابة. إذن قبل أن تنفجر مع شريكك القنبلة راجع نفسك أوّلاً.

9. **عندما تثور بينك وبين شريكك مشكلة ما**، تذكر الهدف الأعلى والمقدس للعلاقة الزوجيّة، تذكر أنّ الزواج إما كسب لكما معاً أو خسارة لكما معاً، تذكر السلبيات الفظيعة التي ستنتج لاحقاً، تذكر أنّ أطفالك يحتاجون لك ولشريكك معاً.

10.من الخطأ الشنيع السماح للمشكلة، أن تأخذ مساحة أكبر من حجمها الحقيقي، أو وقتاً أوسع من الضروري لها. تقع مشكلة، يكون النقاش حولها ـبحب وهدوءـ في لحظة معيّنة، ثم تطوى صفحتها ولا يعاد النقاش حولها مرّة أخرى. هكذا يتصرّف العقلاء.

11.القيام بالواجبات كأحسن ما ينبغي قبل المطالبة بالحقوق، صمام أمان. فعادة الإنسان عندما تُلّبَى حقوقُه يقوم بواجباته بشكل تلقائي. لذا حسنٌ جدّاً التنافس في أداء الواجبات ابتغاء الأجر عند الله تعالى من خلال العمل على حفظ ورعاية ميثاق الزواج.

12.قبل أن تثور على شريكك تذكر أنّه حبيبك وليس عدوّك. لقد اتفقت معه على بذل الجهد لتحقيق حياة جميلة ورائعة. ثم تخيّل أنّك ارتكبت نفس الخطأ الذي أنتج المشكلة، وانظر هل كنت ستفعل مثله وتقع في المشكلة نفسها أم لا؟ هذا سيساعدك على التماس العذر له.

13.عندما يرتكب شريكك خطأً معيّناً، فبدل أن تقول: إنّه لا يحسن إلا الأخطاء الشنيعة، ثم تنطلق في الطعن في شخصيّته وتقديم النقد اللاذع له! اعتبر خطأه فرصة لمساعدته على التطور والنماء، فرصة للتعاون على بناء علاقة قوية وراسخة معه.

14.هل من الواجب أيّها الزوج أن تنقل مشاكل عملك إلى داخل بيتك؟ هل من الواجب أيّتها الزوجة أن تنقلي مشاكل أهلك وصديقاتك إلى بيتك؟ هل من الواجب أن تواجهي زوجك فور عودته بمشاكل الأطفال؟ لا، بل ذلك من أسباب اشتعال الحرب بينكما.

15.من خطط الأزواج الأذكياء، خطة (التقويم والتقيم الشهري). أي أنّهم يلجؤون بشكل دوري لمناقشة الأخطاء التي وقعوا فيها، مظاهر التقصير الذي ظهر منهم تجاه بعضهما البعض، النتائج السلبيّة الناتجة عن ذلك، الحلول الناجعة للإصلاح، الالتزام بالتغيير والتطوير.

16.إذا كنتَ في غرفة فيها أوراق مهمّة، فجاءت ريح بعثرت كل شيء، فإما أن تستغرق وقتك في جمع الأوراق، لكن مع وجود الريح كلما جمعت أوراقاً تفرّقت أخرى، وإما أن تختصر الطريق وتغلق النوافذ فتجمع أوراقك بهدوء وترتاح. إذن ركّز على أسباب المشكلة.

17.هناك أسلوبان للتعامل مع المشاكل والأخطاء وتقلبات مزاج شريكك بسبب ظروف معيّنة، إما أسلوب الغضب والاتهام، وإما أسلوب التفهم والحب. بالأسلوب الأول لن يزداد الأمر إلا سوءاً، أما الأسلوب الثاني فأنت تربح الأجر عند الله تعالى وتماسك أسرتك.

18.إذا كنّا ننبّه الزوج على ضرورة الابتعاد عن التقاليد الجاهليّة التي تأمره بالتّعامل مع زوجته بعنف وقسوة لكي تحترمه، فإنّنا ننبه الزوجة على ضرورة الاحتراز من الإغترار بدعوات الإعلام الفاسد الذي يدعوها للثورة على الزوج وعدم طاعته والتّعامل معه بأسلوب النديّة.

19.المشكلة حدث يشوّش الذهن ويقبض القلب، ولذا فحلّها يحتاج لتركيز وحوار هادئ للوصول إلى حل صحيح يرضي الطرفين. ومن هنا يجب على الزوجين اختيار أنسب الأوقات لبحث المشاكل، وإلا سيتضاعف حجمها وآثارها. لكن لا يجب تأخيرها كثيراً.

20.خير علاج للمشاكل الثنائيّة، هو اتباع قاعدة (الوقاية خير من العلاج)، أي أنّ الزوجين الذكيين هما اللذان يحرصان على الابتعاد عن كل ما يمكن أن ينشئ بينهما مشكلة أو يفجر بينهما خصاماً. كل هذا من أجل نقاء النفوس ومن أجل نفسية الأطفال.

21.يقال أمضى سلاح للمرأة هو دمعتها، لكن السلاح إذا لم يتقن صاحبه استعماله عاد عليه بالضرر البالغ. ففرق شاسع بين أن يشعر الزوج أنّ دمعة زوجته وسيلة لإضعافه وبين أن يراها وسيلة لاستعطافه. الأولى تستفزّه، والثانيّة تحفزه وتأسره. والشيء كلما قلّ غلا ثمنه.

22.تراجع مستوى الاهتمام لا يعني بالضرورة تراجع الحب. فالحب شعور وجداني، ولذا فهو خاضع لأسباب تُوقظه وتُشعله، وأخرى تُخمده وتُضمره. إذن سكون الحب بسبب (ضغط العمل، مرض معيّن، الدورة الشهرية.. إلخ)، مجرد حالة عابرة لا ينبغي أن تثير الفزع.

23.يعتذر الزوج بأنّ التعب لا يترك له مجالاً لسماع ثرثرة زوجته وتفاصيل حديثها المملة! لكن ما يجب أن تدركه يا رجل أنّ ما تسميه أنت "ثرثرة"، هو في الحقيقة رسالة مفادها (أريد أن أشعر بقربك مني، وتعاطفك معي، واهتمامك بي)، وليس إثارة مشكلة معك.

24.يمكن أن يحدث خصام ينتج عنه ابتعاد طيلة النهار، لكن الأزواج الأذكياء لا ينامون إلا والقلوب صافية والنفوس راضية. وهو أدب نبوي رفيع، والنهي عنه لأنّ العقل الباطن يظل مشتغلاً في فترة النوم بآخر شيء نام عليه، سواء كان شيئاً إيجابيّاً أم سلبيّاً.

هذه النقاط التي ذكرناها هي أبرز أسباب المشاكل بين الزوجين. ولهذا من المفيد أن يتذكر الزوجان دائماَ بأنّ المشاكل تُحدث شروخاً عظيمة وجروحاً غائرة في النفس والوجدان، تظهر آثارها مع مرور الزمن في شكل برودة في المشاعر، وجفاف في الإحساس، وآليّة في التّعامل، ونفور من التقارب الجنسي، وهروب من المشاركة المختلفة. بل تشمل هذه الآثار السلبيّة حتّى الأطفال وطبيعة العلاقة الأسريّة بشكل عام.

ذكر المؤرخون أنّ الصينيّين في العصر القديم كانوا إذا أرادوا تعذيب شخص لجريمة ارتكبها، يأتون به ويضعونه في غرفة مغلقة، لا يسمع فيها سوى صدى أنفاسه، ويخلعون عنه ملابسه، ويضعون أعلى رأسه دلواً مليئة بالماء، فيها ثقب صغير، بحيث يقطر عليه الماء قطرة قطرة. في البداية يكون الأمر عاديّاً، لكن بعد فترة معيّنة من وقوع القطرات، لا يستطيع التحمل فيصاب المسكين بالجنون وتدمر خلايا مخه تماماً.

فكما ترى يا قارئي هي مجرد قطرات تافهة، ولكن تكرارها المستمر أحدث نتيجة مؤلمة جدّاً. وهكذا تعمل المشاكل في العلاقة الزوجيّة إذا لم يحسن الطرفان التعامل معها. ولهذا فليس المقصود امكانية خلو الحياة الزوجيّة من المشاكل، فهذا شيء ممتنع، إذ هذه طبيعة الدنيا وطبيعة الإنسان، وإنما المقصود هو وعي الزوجين بأهميّة التعاون لتقليل المشاكل ومحاصرتها.

ولهذا كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله تعالى دائماً من الهموم والمشاكل، لأنّها تحطم كينونة الإنسان. وقد توصلت دراسة حديثة إلى أنّ المشاكل بين الأزواج من الممكن أن تزيد من

خطورة الوفاة في منتصف العمر، بمقدار مرتين أو ثلاث مرات أكثر من المعدلات الطبيعية، رغم أنّ القائمين على الدراسة لم يتمكنوا من تفسير العوامل التي تفسر ذلك.[1]

فجدير بكل زوجين ناضجين أن يتذكرا هذه الحقيقة دائماً، ومن ثم، أن يحرصا على تفادي المشاكل وتقليلها إلى أدنى حد ممكن. ولا يفعل هذا سوى الذين يشعرون بأن لهم في الحياة رسالة مقدسة، يجب عليهم القيام بها، أما الغافلون والغافلات فلا يعنيهم في أي أودية التفاهة هلكوا، وإنما أقصى مناهم أن يقال (فلان متزوج) و (فلانة متزوجة)!

❁❁❁

ضرورة التضحية:

يعتمد نجاح العلاقة الزوجيّة واستقرارها على مدى ما يقدمه طرفاها من تضحيات وتنازلات. فقرار الزواج يتضمن استعداد المرء الكامل تضييق مساحة الحريّة التي كان يتمّع بها قبل مرحلة الزواج، حيث يفعل ما يشاء، ويخطط كيف يشاء، ويتقلب في مسارات الحياة كما يريد.

ولئن كانت التضحية تعني التنازل لأجل الحفاظ على كيان العلاقة الثنائيّة، كما على كيان الأسرة وتماسكها ونماء الأبناء نماءً سويّاً، فإنّ هذه التضحية لا يستطيع الزوجان ممارستها والثبات عليها والاستمرار في مسارها، إلا بتذكر مجموعة من الحقائق يمكن تلخيصها في المعالم التّاليّة:

- الحياة الدنيا لا تخلو من منغصات مختلفة. والزواج لأنّه جزء من الحياة، فطبيعي أن تكتفنه منغصات مختلفة، وهذا يتطلّب تضحية الزوجين لتجاوز كل التحديات والعراقيل.

---

1 . الدراسة أوردتها ال (بي بي سي BBC البريطانيّة).

http://www.bbc.co.uk/arabic/scienceandtech/2014/05/140509_arguing_increases_premature_death.shtml

- الحياة الدنيا مبنيّة على قانون (الأخذ بمقدار العطاء). والزواج جزء من الحياة؛ ولذا فبقدر ما يعطي الزوجان لبعضهما يأخذان من بعضهما، وهذا يحتّم التضحيّة.
- اختلاف شخصية الزوج عن شخصيّة الزوجة، ينشئ بينهما اختلافات في الطباع والميولات، وأنماط التفكير والانفعال، وطرائق التخطيط والتدبير. وهذا يحتّم التضحيّة.
- الزواج الناجح ليس الذي يكون فيه الزوجان نسخة متشابهة، بل الذي يحتفظ فيه الطرفان بشخصيّتهما، لكن مع تضحية كبيرة للحفاظ على زواجهما جميلاً ممتعاً.
- السعادة والاستقرار مرتبطان بشكل وثيق بمدى تلبية الطرفين احتياجاتهما المختلفة. وهذا يوجب على الزوجين العاقلين التزام قيمة التضحية بينهما بشكل دائم.
- الهدف الأعلى لدى الزوجين المسلمين هو رضا الله تعالى واللقاء في الجنّة، والأهداف كلما كانت كبيرة وجب بذل الكثير والتضحية بالكثير لبلوغها وتحقيقها.
- لا قيمة للتضحية إلا إذا كانت من الطرفين معاً. وإلا فإنّه مع مرور الوقت يشعر الطرف المضحي باختناق كل المعاني الجميلة فيه وفقدان القدرةَ على استمرارية العطاء.
- استمرارية الزواج مع خط الزمن، مثل الشجرة العظيمة التي تحتاج لماء كثير للبقاء والنماء. كذلك الزواج كلما ترسخ في أعماق الزمن، احتاج لتضحيات أكبر.
- التضحيّة الفعّالة من أقوى الأسباب التّي يمكن أن تنشئ في الزوجين حوافز فعّالة جدّاً: المبادرة، التنافس، التخطيط الجيّد.. إلخ، لتحقيق السعادة الثنائية والأسرية.
- إذا كانت التضحية شكلاً من أشكال التعبير عن الحب، فإن عدم الالتزام بها يتضمن رسالة سلبية مفادها (أنت غير مهم بالنسبة إليّ، ولست حريصاً على البقاء معاً)!

على أنّ هذا الذي قلناه آنفاً لا يمكن أن يؤتي أُكُلَه و يحقق أهدافه إلا بشروط، وهي:

1. **أن يكون نابعاً من أعماق القلب**: أي أن يشعر كل طرف بأنّ زواجه وأسرته يستحقان ما يبذله من التضحيات. أي لابد الاقتناع العقلي والنفسي بأهمية التضحيّة.

2. **أن يكون نابعاً بهدف نيل مرضاة الله تعالى:** أي أن يلتزم الزوجان التضحيّة بينهما وهما موصولان بالله تعالى، يرجوان فضله ويبتغيان ثوابه الجزيل في الآخرة.
3. **أن يكون نابعاً من إحساسهما بالمسؤوليّة:** أي أن ينطلق الزوجان في ممارسة التضحية، من إحساسهما العميق بمسؤوليّتهما الكبيرة في الحياة، دينيّاً واجتماعيّاً.

إنّ للتضحية دلالة جميلة، لكنها قوية وعميقة. فهي تعكس ذلك السمو في الشخصيّة وامتلائها بمعاني الفضيلة، كما تعكس تلك النظرة الموضوعيّة للذات كما للطرف الآخر. أي إن كل طرف يدرك أنه يتعامل مع إنسان وليس مع مَلَك، مع إنسان له شخصيّة تتأثر بظروف مختلفة، ومن ثم فهو يعذره حين يتعثر في الطريق، ويتغافل عنه حين يتراجع مستوى تفاعله معه.

يقول الرسول الكريم ﷺ مُنبّها على هذه المعاني: ﴿ لا يفرَكْ مؤمنٌ مؤمنةً، إن كرِهَ منْها خُلقًا رضِيَ منْها آخرَ ﴾.[1] أي لا يكره الزوج زوجته لبعض العيوب فيها وصدور بعض الزلاّت منها، فكل زوجة صالحة لابد أن تكون حسناتها أكثر من سيئاتها، ومعاني الكمال فيها أعظم من أمارت النقص فيها، وسمو السلوك وحسن المعاملة مع الزوج أكثر وأوضح. فلا يضير الزوج أن يتحمّل منها شيئاً من النقائص ويغض الطرف عن بعض من العيوب.

إنّ الزوجين المسلمين حتى مع التضحية بدافع المودة والرحمة، فإنّهما لا يغفلان عن ربط هذا الخلُق الرفيع (أي التضحية) بالله تعالى والآخرة. فالتضحية بمختلف أشكالها تتضمن معنى تقديم العون والمساعدة، وقال النبي ﷺ: ﴿ اللّهُ في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيه ﴾.[2] كما تتضمن معنى تفريج الكُرَب، وقال النبي ﷺ: ﴿ مَن فرَّج عن مُسلِمٍ كُربةً في الدُّنيا فرَّج اللّهُ عنه

1 . «صحيح مسلم»
2 . «صحيح مسلم»

كُربةً مِن كُرَبِ يومِ القيامةِ ﴾.[1] كما أنها تتضمن معنى التعاون على البر المرغوب فيه شرعاً، قال الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾.[2]

حين يتعاون الزوجان على توطيد الإيجابيات وتقليل السلبيات، ويتكاثفان على تجاوز الصعوبات وتفريج الكربات، فهما بذلك يعملان على درء كل المنغصات عن النفس التي تحول بينها وبين الاتصال بخالقها سبحانه. إنّ التضحية قد تكون بشيء صغير تافه؛ ولكن معناها في القلب كبير ورصيدها في الروح عظيم.

❁❁❁

قصة وعبرة:

كان هناك زوجان استمر زواجهما ستين سنة كاملة. كانا خلالها يتصارحان بكل شيء، ويتشاركان في كل شيء، ويسعدان بقضاء كل الوقت في الكلام أو خدمة أحدهما للآخر. ولم تكن بينهما أسرار. ولكن الزوجة العجوز كانت تحتفظ بصندوق خاص، وحذرت زوجها مراراً من فتحه أو سؤالها عن محتواه. ولأنّ الزوج كان يحترم رغبات زوجته، فإنّه لم يأبه بأمر الصندوق. إلى أن جاء يوم أنهك المرض فيه الزوجة، وقال الطبيب: أنّ أيامها باتت معدودة.

اغتم الزوج لسماع هذا الخبر المؤلم غمّاً عظيماً، وصار يدعو الله تعالى أن يطيل في عمر زوجته. وبينما هو في حزنه وألمه، أخذ يقلّب في حاجيات زوجته متذكّراً ذكرياتهما الجميلة، ووقعت عيناه على الصندوق، فحمله إلى سرير زوجته. وما إن رأته الزوجة حتى ابتسمت ابتسامة حانية جميلة، وقالت له: لا بأس عليك الآن أن تفتح الصندوق وترى ما بداخله. فتح الزوج الصندوق فوجد بداخله دميتين من القماش وقضبان النسج المعروفة بالكروشيه، ومع هذا كله وجد مبلغاً من المال قدره خمسة وعشرين ألف دولار!

---

1 . «رواه الطبراني»

2 . المائدة/2

سألها عن كل ذلك، فقالت العجوز المريضة: عندما تزوجتك أبلغتني جدّتي أن سرّ الزواج الناجح يكمن في تفادي الجدال، ونصحتني إذا غضبت منك أن أكتم غضبي، وأقوم بصنع دمية من القماش. ومع أنّ الرجل لم يصدق نفسه تأثراً بموقف زوجته الحنون وحبّها الكبير له، إلا أنّه أحس بسعادة جميلة وكبيرة، لأنّه فهم أنّه لم يغضبها سوى مرتين، فسألها: حسناً، فقد فهمت سر الدميتين، فماذا عن هذا المبلغ المالي الكبير؟! فأجابته العجوز المريضة والزوجة الحنون المحبّة: هذا هو المبلغ الذي جمعته من بيع الدمى!

لا تهمنا صحة القصة من عدمها، فالذي يعنينا هو بيان فن التعامل والتعاطي مع مشاكل العلاقة الزوجيّة، وكيف أن الزوجين العاقلين الصالحين لا يفزعان من حدوث بعض الخصام والخلافات بينهما بين فترة وأخرى، إذ يدركان أن ذلك شيء طبيعي، غير أنّهما يحرصان على إتقان فن التعامل مع هذه الحالات المنغصّة والطارئة، فلا يسمحان لها بتحطيم كل شيء جميل مضى بينهما في ساعة غضب عابرة، بل يلزمان الصبر والكظم و احتساب الأجر عند الله تعالى.

قد أضيف هنا طريقة أفضل بكثير من طريقة العجوز، وهي أن يتخذ الزوجان دفتراً خاصاً بكل واحد منهما، وكلما أغضب أحدهما الآخر، قرأ الغاضب حزباً من القرآن الكريم، ويسجل ذلك في دفتره، وهكذا حتى يختم القرآن الكريم، ثم يعاود التسجيل مع قراءة كل حزب. ولأنّه من الطبيعي أن تحدث بعض المنغصات، فمن المؤكد إذن أن عدد الختمات القرآنيّة سيكون مرتفعاً مع مرور العمر، وهذا أجر عظيم عند الله تعالى.

دعنا نضرب مثالاً: إذا دخل شريكك أيتها الزوجة غاضباً وأغلق الباب بعنف، فبدلاً من القول: كيف تفعل هذا؟! هل نسيت أنّك في بيت محترم؟! لماذا تحملنا أخطاء الآخرين؟! التزمي الصمت وتفهمي حالته، لأنّه من المؤكد أنّ هناك شيئاً ما ضايقه. بعد لحظات اقتربي منه مع

كأس عصير أو فنجان قهوة، وهدئي من روعه، وتصرفي مثل الصحابيّة التّي دخل عليها زوجها مهموماً فبادرته بالقول: إن كان بدر شيء منا أغضبك أعتبناك أي اعتذرنا وترضيناك!

عندما يتهمك زوجك فجأة بالتقصير في حق البيت أو الأطفال أو أهله، لا داعي لأن تنفجري عليه بالكلام الجارح والثورة الغاضبة، بل يمكنك أن تعتذري إليه لأنّ تقصيرك سبّب له انزعاجاً شديداً، بالرغم من أنك تدركين أنّك غير مقصرة. لأنّك تفهمين أنّ الأمر ليس تقصيراً في البيت أو مع الأطفال، بل هناك شيء آخر، احرصي على معرفته لاحقاً عندما يرتاح وتهدأ ثورته، لتعالجي الأمر بطريقة صحيحة.

والشيء نفسه نقوله للزوج، عندما ترى زوجتك غضبى، وترفع صوتها وليس من عادتها ذلك، فلا بأس أن تلزم الصمت، لأنك تعلم أنها مضغوطة، ولذلك فهي محتاجة لتفريغ شحنات الغضب أو الإحباط. فيكون العلاج هو أن تقترب منها وتحضنها إليك برفق، حتى تهدأ ثورتها، فليس جيّداً أن تقترب منها عندما تكون هادئة ومبتسمة، وتتركها إذا كانت ثائرة ومنزعجة!

نحن ندرك أن هذا المستوى من التعامل قد يراه البعض مثالية سامية، لا يمكن التعامل بها في واقع العلاقة الزوجيّة اليوميّة، خصوصاً في ظل الظروف المعاصرة الخانقة والقاهرة. ولكن؛ مع ذلك نقول: لو أن كل الأزواج استطاعوا الارتقاء إلى هذا المستوى الممتلئ بالنبل والفضيلة، في التعامل فيما بينهم، لكانت الدنيا بخير والمجتمع على أحسن ما يرام، لكن، لأن هذا المستوى راقي جدّاً، فلذلك لا يرتقي إليه إلا عظماء النفوس!

أخيراً نُذكر الزوجين بهذا الحديث النبوي، وهو و إن كان موجهاً إلى الرجل بشكل أساسي، إلا أنّ على الزوجة أن تفهم أنه موجه إليها أيضاً. قال رسول الله ﷺ: ﴿ لا يَفْرَكْ ـأي لا يكره ـ مؤمنٌ مؤمنةً إن كره منها خلقاً رضي منها آخر ﴾.[1] أي أنّكما أيّها الزوجان ينبغي عليكما أن تفهما أنّ

---

1. «صحيح مسلم».

كل إنسان فيه عيوب معيّنة وحسنات معيّنة، وإنّما الكمال لله تعالى. والواجب هو التعاون على تطوير الفضائل والتقليل من النقائص.

كان لأبي بكر ابن اللباد أحد علماء المالكيّة في القرن الرابع الهجري، زوجة سليطة، تؤذيه بلسانها، ويقاسي منها أمراً عظيماً. فقال له الطلبة: طلقها ونحن نؤدي عنك صداقها. فقال لهم: حفظتها في والدها. وذلك أنّي خطبت إلى جماعة من النّاس، فردوني، وقالوا: لا نزوج صاحب محبرة وقلم، فخطبت إلى هذا الرجل، فلم يردني، و زوجني ابنته لله ﷻ، وكان يفعل معي جميلاً كثيراً، ويرفقني بما يقدر عليه، أفتكون مكافأتي لهذا الرجل طلاقي ابنته؟![1]

ولا شك أنّ هذا المستوى نبيل جدّاً! فمن اهتم بحسنات شريكه واستغلّها لصالح العلاقة الثنائيّة والأسريّة فسيسعد به ومعه ما جمعت بينهما الحياة، بالرغم من تلك العيوب الأخرى. أما من ركّز على العيوب حتّى تضخمت في إحساسه، فهي وإن كانت خفيفة إلا أنّ تركيزه عليها سيدمر علاقته به، وسيحطم كل شيء جميل بينهما، علاوة على نفسيّة الأولاد.

ولتحذر المسلمة العاقلة من الاستجابة لدعوات الفاجرين والفاجرات حين يطالبنها بالثورة ضد الزوج، فغايتهم تفكيك الأسر وتحطيم المجتمع المسلم. وتأملي كلام ابنة سعيد بن المسيب ﵁، تلك المرأة الصالحة التي قال عنها زوجها، وهو أحد نجباء طلبة أبيها الفقيه العظيم: «دخلت بها فإذا هي من أجمل النساء، وأحفظهن لكتاب الله تعالى، وأعلمهن بسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهن بحق الزوج»، هذه المرأة الصالحة هي من قالت: «ما كنّا نُكلّم أزواجنا إلا كما تكلمون أمراءكم»!.



1 . «رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية». أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي/ جـ 2 صـ 285/ دار الغرب الإسلامي. بيروت/ 1414-1994.

خطورة الغيرة

شعور رهيب:

الغيرة عنصر حسّاس في العلاقة الزوجيّة. فقد تكون سبب زيادة الحب، ورسوخ الألفة، وتوطيد المشاعر، وقد تكون معول هدم في صرح الزواج، وبوابة الزوجين إلى جحيم مُهْول! ولذلك ينبغي على الزوجين اللذين يحرصان على البقاء معاً، ولكن بحب وسلام، وبدفء وجمال، أن يتعاملا مع عاطفة الغيرة بحذر شديد!

لقد تفككت أسر، وانهارت صروح زواج، وتلاشت مشاعر دافئة، وتشرد أطفال، فقط لأنّ الزوجين استهانا بالغيرة، وتناسيا أنّها نار مُهولة عندما تشتعل في النفس فإنّها تدمر كل شيء! ولأنّه بدون معرفة بحقائق الأشياء لا يمكن التعامل معها جيّداً، سنذكر مجموعة من المعالم المهمّة حول طبيعة الغيرة ومعناها، عسى أن ينتبه لها الزوجان:

1. الغيرة انفعال وجداني يعتري أحياناً علاقة أي زوجين، لأنّها ترتبط بعاطفتي الحب والتقدير الذاتي. فعندما يشعر الشريك أنّ هناك خطراً مُحدقاً بحبه وقيمته لدى شريكه، تشتعل نار الغيرة في قلبه. ولهذا فالغيرة غريزة فطريّة، والإحساس بها طبيعيّ جدّاً.
2. الغيرة إحساس بالتملّك الخاص، فالشريكُ يعتبر شريكَه ملكاً خاصّاً به، فقط لأنّه يحبه ومعجب به. ولهذا ينفر من مشاركة شخص آخر له فيه. وعندما يشعر بشيء من هذه المشاركة، فإنّ النتيجة هي الإحساس بالقلق، والتشتّت في التفكير، والاضطراب في المشاعر.
3. الغيرة ربط بين الحب والاهتمام. فالشريك يعتبر اهتمام الطرف الآخر به دليلاً على حبّه له، وعدم اهتمامه به دليل تراجع هذا الحب. ومن جهة أخرى فعادة ما يتم ربط هذا التراجع بطرف ثالث. فلأجل هذا كانت قلّة الاهتمام سبباً من أسباب اشتعال الغيرة في الزوجين.

4. الغيرة شعور بتراجع القدرة على استثارة الآخر، والإحساس بالفشل في تحقيق الشريك المثالي له. وهذا شيء مفزع، ومن ثم، يقاوم الشريك هذا الشعور في البداية، كما أنّه يقاوم التصريح به، لكنه يفشل في النهاية فتخرج نار الغيرة في شكل غضب وصراخ واتهامات.

إذن نستطيع القول بأنّ الغيرة في تحليلها النهائي هي تعبير عن ضعف ثقة بالنفس، وضعف ثقة بالشريك! أما أنّها ضعف ثقة بالنفس، فلأنّها تتضمن اعترافاً كامناً بالنقص "شكلاً، إثارة، مهارات.. إلخ"، وبالفشل في تحقيق الشريك المثالي للطرف الآخر.

وأما أنّها ضعف ثقة بالشريك، فلأنّها تحمل الطرف الذي يغار على الخوف من تضاؤل حب شريكه له، والبحث عن شريك آخر أكثر إثارة له وانسجاماً معه. وهذا الشعور بضعف الثقة يُولّد الخوف والهواجس، من أن يسرق طرفٌ ثالث الحبيبَ، وهو شعور قاتل بالنسبة للمحب، إذ يجعله يغوص في دوامة رهيبة من الهواجس المقلقة، والأفكار المتباينة، والمشاعر المضطربة!

فكما ترى، فإنّ الغيرة يتجاذبها شعوران عنيفان هما (الخوف المرعب) و (ضعف الثقة). يخاف المحب من الفقدان والحرمان، فتضعف ثقته حتى بحبيبه بل وبنفسه، وتضعف ثقته بنفسه وبحبيبه فيمتلئ خوفاً ورعباً وهواجس مقلقة.

« إن الحب عادة يُخفي تحته خوفاً من ذهابه أو نقصانه، ولذلك فكلما قوي الحب كلما كبر هذا الخوف الخفي من ذهاب هذا الحب. كالذي يُنعم الله عليه بالرزق الوافر، فيبدأ يشعر بالقلق لاحتمال ذهاب هذا الرزق، ويبدأ بالخوف من صعوبة العيش بعد رخائه. وقد تنشأ مثل هذه المخاوف من تجارب سابقة مؤلمة في الحياة، عندما تعرّض الإنسان إلى الإهمال أو الرفض أو الكراهية من قبل قريب أو صديق، ولو كان هذا في أيام الطفولة ».[1]

1 . «التفاهم في الحياة الزوجية». صـ 254.

دعنا نتحدث عن المرأة، إذ الغيرة ألصق بها من الرجل. فنقول: الغيرة شعور شيء مقلق لها إلى أبعد مما يتصوّر الرجل! فليس يدمر نفسيّةَ المرأة شيءٌ ما يدمرها إحساسها بالعجز عن جذب وإثارة رجولة هذا الإنسان، الذي اختارته شريكاً لها وسيّداً لأنوثتها!

ومن هنا، فعندما تبلغ هذا المستوى، فإنّها تفسر كل كلمات زوجها وتصرّفاته، وكل حركاته ومواقفه على أنها دليل واضح وصريح على رغبته في الابتعاد عنها، بسبب تراجع تميزها في نفسه وإثارتها لرجولته. كما أنها تفسّر الأمر على أنّه دليل على ميله نحو امرأة أخرى.. امرأة عندها ما تعجز هي عن إعطائه له! ومن ثمَّ تلاحقه، تتجسّس عليه، تفتش أغراضه، تحاول أن تكشف السرّ وراء ابتعاده عنها، ومعرفة هذه التي استطاعت أن.. تسرق زوجها وحبيبها منها!

إنّها حرب تدور رحاها، هناك.. في أعماق الزوجة الغيور!

صحيح أنّها قد تقاوم في البداية غيرتها الطاغية، بسبب خشيتها أن يكون ذلك برهاناً على ضعف ثقتها بنفسها، أو إقراراً منها أنّها بدأت تفقد جاذبيّتها لزوجها، لكن عندما يستمر الأمر طويلاً، فإنّها لا تستطيع مقاومة ضغوط الغيرة، لأنّها تكون مهيّأة نفسيّاً بشكل مسبق للانفجار في أيّ لحظة وبأدنى سبب ظاهر!

إنّ المرأة عندما تحب، فإنّها تحب بكل كيانها، ولا ترضى إلا أن يسكن حبُّ رجلها في أعماق أنوثتها. ومن ثمَّ تتعامل مع هذا الحب بشكل مختلف تماماً، وبصورة أكثر عمقاً وتعقيداً مما يتصوّره الرجل، لأنّها تشعر أنّها اختارته لأنّه حلمها المنشود. وهذا يساعدها على الشعور بالفخر والاعتزاز بنفسها وذكائها وإغراء جمالها، وأنّها تستحق أن تُحب من طرف رجلها الرائع!

أما عندما تغار فإنّها تفقد الإحساس بكل هذه المشاعر الإيجابيّة والجميلة والممتعة لها، أو لنقل عندما تفقد الثقة بجاذبيّتها لزوجها وإثارتها له تفقد الثقة بنفسها، ومن ثمَّ تثور ثائرة غيرتها! ثم

تستمر هذه الهواجس تموج في أعماقها إلى أن تفقد ـأو تكاد!ـ عقلها. فإذا كان ذلك، فتستطيع أن تنتظر منها كل شيء، مثل الاتهامات المتسرّعة، والتي قد تكون جارحة للغاية!

وفي الحقيقة هي اتهامات أو ثورة تحاول الزوجة العاشقة من خلالها أن تسترد بعضاً من ثقتها بنفسها أو أن توحي لنفسها أنّها لا تزال أنثى جميلة ومثيرة، وأنّ لديها الكثير الذي يمكن أن تقدمه لهذا الإنسان الذي اختارته حبيباً ورفيقاً في درب الحياة. فلا جرم ـوالحال هذهـ أنّ أقصى ما تنتظره هذه الزوجة وتتمناه وهي تعاني تهاويل الغيرة وضغوطها، شيئان اثنان:

- ✓ **الاعتراف بالخطأ**: أي أن يعترف الزوج بأنّه أساء إليها للغاية، وأنّه سبب لها إحباطاً وخيبة أمل كبيرة. وبالتّالي فهو سبب هذا الإرهاق والحزن والمأساة التي تعيشها. وأنّه مستعد لعمل أي شيء يرضيها لإصلاح خطئه الجسيم!
- ✓ **الإعلان عن الحب**: أي أن يعلن لها الزوج عن أنّها حبيبته الفريدة، بل أن يؤكد لها أنّها هي الحب والحب هي، وأنّه يستحيل أن يفكر ـمجرد تفكيرـ في غيرها، لأنّها يعشقها هي فقط من بين نساء العالمين. ولهذا تحتاج في هذه الفترة لعاطفة متدفقة جدّاً.

والزوج حينها يقوم بهذا التصرّف معها (الاعتراف بالخطأ، الإعلان عن الحب)، فإنّه يشبع فيها غرور الأنثى. ذلك الغرور الذي يبرهن لها على أنّها لا تزال تحتفظ بجاذبية قوية وسحر فاتن له. والحقيقة أنّ الأنثى لا تسعد ولا يمكن أن تشعر بالأمان والطمأنينة في حياتها إلا أن يشبع زوجها هذا الغرور فيها!

لو شئنا ترجمة إحساس الزوجة بالغيرة وما تود إيصاله لزوجها، فإنّها ستقول: أنت لا تفهم ـولن تفهمـ معنى أنّي أغار عليك، لأنّك لا تحس بنبضات قلبي، ولا تسمع همسات روحي العاشقة! حاول أن تفهم « أنّني أغار من كل شيء يحيط بك، كل شيء يثير اهتمامك، كل شيء يحتل مكانة عندك، كل شيء يستدر حماسك ويستدرج مشاعرك... أغار من كل شيء

يزحزحني من بؤرة اهتمامك ومركز وعيك، فأنا أريد كل اهتمامك، كل تركيزك، كل حبّك وعطفك وحنانك وإشفاقك... حاول أن تفهم لتشعر كيف تؤلمني الغيرة، لست وحدي بل هذا حال كل امرأة تحب.. الغيرة هي امرأة تحب، وامرأة تحب هي الغيرة ».[1]

ليس مهمّاً أن تفهم السرّ الكامن وراء غيرة المرأة، بل الأهم أن تدرك أنّ المشاعر النفسيّة في الأنثى تختلف مستوياتها وتتداخل دوافعها وعوامل إثارتها. فلا يمكن قياسها، أو تحديدها، أو فهم ما هو الطبيعي منها وما ليس طبيعيّاً. فالمرأة غير الرجل، والمرأة غير المرأة، والغيرة غير الغيرة،، بل حتّى الحب غير الحب « فهناك امرأة حبها فوق حياتها وحبيبها قبل نفسها، اختارت بإرادتها وأعطت دون أن تتوقع أن تأخذ، ضحت وناضلت واستمرت، ورويت بالحنان وبالسنين وبالصبر ثمرة الحب. وهناك امرأة أخرى حياتها فوق كل شيء، ونفسها قبل حبيبها، تزن وتحسب وتقدر، ولا تعطي قبل أن تأخذ، وإذا لم تأخذ باعت واستغنت. مشاعر المرأة الأولى غير مشاعر الثانية، ودوافع الغيرة عند الأولى غيرها عند الثانية ».[2]

❁❁❁

أنواع الغيرة:

قد علمنا مما سبق معنى الغيرة ودوافعها وآثارها. وهنا سنتحدث عن أنواع الغيرة، وهي قسمان: (غيرة معتدلة) و (غيرة مفرطة). وهذا تفسيرهما معاً:

(أولاً).. الغيرة المعتدلة:

ملامح هذه الغيرة هي:

- تكون مضبوطة بميزان الشرع وبقانون العقل. فلا يُسمح لها بالاشتعال لأدنى شبهة.

---

1 . «الغيرة و الخيانة». عادل صادق/ صـ 11/ دار الشروق، 1413ـ/1993. بتصرف واختصار.

2 . «الغيرة و الخيانة». عادل صادق/ صـ 12.

- يكون الدافع الأكبر لها هو الحفاظ على زهرة الحب في القلب متألقة بأريجها الفواح.

نتائج هذه الغيرة هي:

- الغيرة المعتدلة تسمو بالعلاقة الزوجيّة، فتضفي عليها سحرها وجمالها و إثارتها وجدّيتها.
- الغيرة المعتدلة تنمي الحبَّ بين الزوجين وترفع مستويات التقارب الوجداني بينهما.

مشاعر هذه الغيرة هي:

- الإحساس بالمتعة الجميلة والحب الدافئ، إذ كل واحد يدرك قيمته لدى الآخر.
- الرغبة القويّة في تمتين العلاقة الزوجيّة لتشكيل ثنائي مستقر ورائع وثابت ودائم.

(ثانيّاً).. الغيرة المفرطة:

ملامح هذه الغيرة:

- تكون منفلتة من ضوابط العقل وميزان الشريعة. فهي تشتعل لأي شيء وفي أي وقت!
- لا تكون ناتجة بالضرورة عن الحب، فقد تكون ناتجة عن رغبة في الشعور بالتقدير!
- قد تكون نابعة عن مشكلة قديمة أو متأثرة بالآخرين، أي أن دافعها هو الخوف!

نتائج هذه الغيرة هي:

- الغيرة المفرطة ألم عنيف يطحن صاحبته ومأساة قاسية تحطم صاحبها، فهو متوتر أبداً!
- الغيرة المفرطة تعمل في اتجاه معاكس، فبدل توثيق العلاقة تعمل على تفكيكها!
- قد تكون هناك مقاومة طويلة، لكنه في النهاية يكون الاستسلام فالطلاق!

مشاعر هذه الغيرة:

- الانزواء الكئيب، لأنّ هذه الزوجة الغيور تخاف من مواجهة زوجها!

- ➤ الإحساس بالظلم والقهر، لأنّ هذه الزوجة تشعر بأنّ زوجها خذلها وخيّب أملها!
- ➤ الإمعان في الابتعاد، لأنّها ترغب في استرجاع شيء من كرامتها وثقتها بنفسها!

كانت تلك معالم طبيعة الغيرة ونتائجها وآثارها. والزوجان المسلمان لابد أن يُفرّقا بين نوعي الغيرة، إذ ـ كما رأينا ـ فإن الغيرة المعتدلة تُضفي لمسات جميلة على العلاقة الزوجيّة، أما الغيرة المفطرة فهي مدمرة من حيث يريد صاحبها البناء، ومنفّرة من حيث يريد التقارب!

قال رسول الله ﷺ: ﴿ إنَّ منَ الغَيرةِ ما يحبُّهُ اللَّهُ ومنها ما يبغضُ اللَّهُ. فأمَّا الَّتي يحبُّها اللَّهُ فالغيرةُ في ريبةٍ، وأمَّا الَّتي يبغضُها اللَّهُ فالغَيرةُ في غيرِ ريبةٍ ﴾.[1] فالغيرة المحمودة شرعاً وعقلاً هي التي تكون هناك دلائل واضحة وصريحة تثير علامات استفهام. كما أنّ الغيرة المذمومة شرعاً وعقلاً، هي التي تكون ناتجة عن الوهم والظن السيئ بلا دليل ولا أمارات واضحة!

ولهذا، لابد من إنشاء قناة ثقة صادقة، والتوكيد عليها باستمرار، فالثقة المتبادلة عنصر مهم في التخفيف من آثار الغيرة المدمرة. يقول ستيفن. آر. كوفي: « ما لم يتم الحفاظ على رصيد كبير من الثقة من خلال الإيداع المستمر سيتعرّض الزواج للتدهور. وبدلاً من التّفهم والتواصل الغني والمستمر سيتحول المنزل إلى منزل به شخصان يحاول كل واحد منهما العيش بأساليب حياة مختلفة بكل احترام وتسامح. ويمكن أن تشهد العلاقة المزيد من التدهور لتتحول إلى علاقة عدائيّة ودفاعيّة، وتخلق استجابة الهروب أو المواجهة معارك لفظيّة وصفق الأبواب ورفض الحديث.. وربما ينتهي الأمر بشن حرب باردة بالمنزل لا يوقفها سوى الأطفال أو العلاقة الحميمة أو الضغوط الاجتماعية أو الحافظ على الصورة أو ربما ينتهي الأمر في ساحات المحاكم ».[2]

❁❁❁

1 . «صحيح ابن حبان»

2 . « العادات السبع للناس الأكثر فعّاليّة » ستيفن آر. كوفي/ صـ 223. بتصرف واختصار.

علاج وحلول:

سبق أن نبّهنا على أنّ العلاقة الزوجيّة علاقة متفرّدة في كل شيء، سواء في المتعة أم في الألم، وسواء في التحديّات أم في الحلول والعلاج. لأنّها علاقة يتقاسم الزوجان معاً كل هذا الذي ذكرنا. بحيث لا يستطيع أحد الزوجين أن يتذوق حلاوة المتعة دون إشراك شريكه، أو أن يتجرع مرارة الألم وشريكه في أمان منها، أو يتجاوز التحديات بدون مساهمة من شريكه!

إنّه لا يمكن للزوجين تفادي آثار الغيرة الوخيمة والمذمومة شرعاً وعقلاً وأخلاقاً، بدون تعاون صادق ومشاركة فعّالة بينهما في سبيل ذلك. فهذا التعاون وهذه المشاركة هما الضمان الوحيد لعلاج الغيرة بسرعة وفعّالية. ولأجل ذلك أرى أنه من المفيد أن أضع هنا باقة من التوجيهات والإرشادات، للزوجة والزوج معاً، عسى أن تكون زاداً مباركاً في مسيرة حياتهما الثنائيّة:

أيّتها الزوجة: بدل الاندفاع المتهور مع ثورة الغيرة، والتعبير السلبي عن مشاعرك القلقة، بما قد تندمين عليه لاحقاً، كوني أكثر إيجابيّة في التعامل مع غيرتك. ولذا تذكري:

- ✓ ليس المطلوب منك عدم الغيرة على زوجك، فهذا غير ممكن، بل المطلوب والواجب فقط هو أن تصححي تصورك عن الغيرة، وأن تضبطي جماحها بالشرع والعقل.
- ✓ من المهم مراجعة علاقتك مع زوجك، فربما تكونين أنت المقصّرة في تلبية بعض احتياجاته ورغباتها. لهذا حاولي واجتهدي للنظر في الأمر من زاوية مختلفة.
- ✓ عندما تضغط عليك الغيرة، لأسباب وجيهة، بادري لفتح حوار ودود مع شريكك. ولا تتركي نفسك نُهبة للهواجس، فقد يكون في الأمر مجرد التباس وسوء فهم.
- ✓ بدل أن تُشعري زوجك بأنّك تمارسين معه دور المحقق، احرصي على أن يشعر بأنّ دافعك الأوحد والأكبر هو حبك له وحرصك عليه وعلى البقاء معه.

- ✓ لجم جماح الغيرة والتفكير فيها بهدوء من شأنه أن يساعدك على تطوير وتجديد علاقتك الثنائيّة بشريكك، لحسنٌ جداًّ أن تراجعي هذه العلاقة باستمرار.
- ✓ الحب الذي يربط بينكما لن يموت بمجرد شعورك بالغيرة، ولكن من المؤكد أنّه قد تعلق به شوائب تشوّه معناه وجماله بينكما. والفيروسات بدون علاج تدمر الجسد!
- ✓ إذا كنتِ أنت شخصياًّ التي تشتعل فيك نيران الغيرة لا تريدين القيام بشيء عملي وإيجابي لتفادي الخطر المحدق، فكيف تنتظرين من شريكك أن يقوم بذلك؟!
- ✓ ابتعدي عن فكرة (إحساس الحب لا يكذب). فالحب كثيراً ما يعمي عن رؤية الكثير من تفاصيل الحقيقة. فلا تتهمي زوجك بالظن والإحساس.
- ✓ زوجك ليس شيئاً من الأشياء التّي تمتلكينها. بل هو إنسان له أفكار ومشاعر، وله أحلام ورغبات، ولهذا تعاملي معه بمنطق (ماذا يريد مني؟ ماذا ينقصه معي؟).
- ✓ آثار وعواقب الثورة وخيمة جداًّ، والنتائج المطلوبة منها غير مضمونة. لهذا درّبي نفسك على السيطرة على مشاعرك وكلماتك وتصرفاتك، فربما يرد الزوج بثورة مضادة!
- ✓ من الممكن جداًّ أن تكون هناك مَن تحاول فعلاً سرقة زوجك، فبدل الاشتعال كوني ذكية، وحاربي تلك الآثمة في قلب زوجك بهدوء عبر تطوير علاقتك به.
- ✓ الهيجان تعبيراً عن الغيرة، تعني لزوجك (أنت ضعيف الشخصيّة لا تقوى على مواجهة إغراء أيّة الأنثى)، هذا يحطم الرجل، فماذا تنتظرين من قلب جريح!
- ✓ عندما تغارين تفقدين ثقتك بنفسك أو عندما تفقدين ثقتك بنفسك تغارين. ولهذا يجب عليك أن ترفعي مستوى ثقتك بنفسك، لتكون غيرتك لها معنى وقيمة!

أيها الزوج: بدل التبرّم من غيرة زوجتك، وإطلاق العنان للشكوى منها، لماذا لا تكون زوجاً واعياً، فتتعامل مع غيرة زوجتك بشكل أكثر إيجابيّة؟ ولذا تذكر:

- ✓ عادة لا تغار عليك زوجتك إلا لأنّها تحبك بصدق وعمق، ولأنّها تريد الاستمرار معك أنت فقط، فقدّر غيرتها واحترم ذلك الحب الذي تشعر به نحوك.
- ✓ الغيرة تعني أنّ زوجتك قلقة من تراجع جاذبيّتها لك وامتيازها في نفسك، لذا أكثر من مغازلة أنوثتها، وامدح مهاراتها، وأظهر العجز عن مقاومة إعجابك بها.
- ✓ تسبب الغيرة إحباطاً عنيفاً للمرأة. ولذا احرص على احتواء ضعفها، وتقرّب إليها أكثر عبر مشاركتها حتّى في الأشياء الصغيرة، فهذا سيرفع ثقتها بنفسها ويشعرها بالأمان.
- ✓ عندما تشعر أنّ زوجتك بدأت تثور فيها ثائرة الغيرة، بادر لمعرفة السبب، ثم إما أكد لها الابتعاد عما يجلب لها الغيرة أو قدم لها تفسيراً موضوعيّاً، ولا داعي للمراوغة.
- ✓ إن كنت صادقاً في البقاء مع هذه الإنسانة، فمن المهم أن تضحي بكل ما من شأنه أن يشوّش على علاقتك بها. فالميثاق الذي يجمعك بها يستحق ذلك منك.
- ✓ عندما تشعر الأنثى بالغيرة من أنثى أخرى، فإنّها تعتبر نفسها في حالة حرب، يجب أن تنتصر فيها. فساعد زوجتك على الشعور بالانتصار، فهي تستحق ذلك منك.
- ✓ ربما تستمتع أنت بغيرة زوجتك عليك، لأنّك تشعر أنّك محبوب ومرغوب. ولكن في لحظة استمتاعك فإنّ زوجتك تقاسي آلاماً خانقة وإحباطاً عنيفاً، فهل ذلك جزاؤها؟!
- ✓ دعوى أنّ زوجتك تعرف حبك لها، فلا معنى للاهتمام بغيرتها الواهمة، هذا الموقف لن يزيد الأمر إلا سوءاً والفجوة إلا اتساعاً، بل سيؤكد شكوكها فيك.
- ✓ الزوجة العاشقة قد تتنازل عن كل شيء من متاع الدنيا وزينتها، ولكنّها في المقابل لن تحتمل إطلاقاً أن تشعر أنّك غير مهتم بمشاعرها، ولا تبالي بهواجسها.
- ✓ تعرف زوجتك أنّ بعض الإناث مغريات جدّاً، ولهذا تشعر بالقلق. فدورك هو بناء الثقة المطلقة بينك وبينها، دعها تشعر أنّها تمتلك كلك وأنها بالنسبة لك أفضل من الكل.

أعتقد أن زوجين يستوعبان هذه المعاني المذكورة ويلتزمان بها، فكراً وسلوكاً في حياتهما الثنائيّة جدير أن يحققا الحماية الكافية لزواجهما وأسرتهما من الآثار الوخيمة والمدمرة للغيرة المندفعة. ولهذا نؤكد على أهميّة الاعتدال في الغيرة، وعلى عدم الاستهانة بها، فهي كاللعب بالنار قد تحرق صاحبها من حيث أراد الاستمتاع بها! أو لنقل: الغيرة، مثلها مثل الحرب، تستطيع الجيوش إعلان بدايتها، لكنّها لا تستطيع إعلان نهايتها إلا بخسائر فادحة للغاية!

إنّ الإسلام حريص على تماسك كيان العلاقة الزوجيّة والأسريّة، كما أنه حريص على نقاء المشاعر وصفاء القلوب وانسجام النفوس داخل هذه العلاقة الثنائيّة، فمن أجل ذلك _كما سبقت الإشارة_ ذم الغيرة بغير أدلة موضوعيّة، كما ذم تجاهلها عند توفر أسبابها الحقيقيّة. ولهذا، فإنّ المراجعة الدائمة للعلاقة الثنائية لتطويرها وترسيخها، وللتقليل من الأخطاء والسلبيات التي قد تكون سبباً للابتعاد والشقاق، هذا كله من شأنه أن يقي العلاقة الزوجية وعش الأسرة من شرور وأخطار يكون الزوجان في غنى عنها.

في المقابل كثيرون ألغوا كلمة الغيرة من تفكيرهم بالرغم من وجود أسبابها الموضوعيّة، بدعوى الثقة الكبيرة والحب الكبير، فكانت العاقبة هي الخيانة القبيحة من أحد الشريكين! هذا التغافل والتغاضي عن الغيرة رغم دلائلها وأسبابها الموضوعية، ليس من أخلاق الإسلام في شيء، بل إن الإسلام قد حرّم ذلك عندما يكون من طرف الزوج، وهو المسمى بالدياثة. قال رسول الله ﷺ: ﴿ ثلاثةٌ لا يدخلون الجنَّةَ أبدًا: الدَّيُّوثُ.. إلخ ﴾.[1] والديوث هو الذي يرى أو يتأكد لديه أن زوجته فاسدة، ومع ذلك يلزم الصمت ويغض الطرف. والواقع أنّ الدياثة من أخلاق الملاحدة والعلمانيين، إذ لا يؤمنون بقيم مقدسة ولا آخرة!



1 . «الترغيب والترهيب» للمنذري.

الحوار والتواصل

أهميّة الحوار:

كثير من الأزواج لديهم رغبة قويّة في بناء علاقة ثنائيّة ناجحة، غير أنّ جلَّ مساعيهم تبوء بالفشل الذريع، ليجدوا أنفسهم في نهاية المطاف مضطرين لإعلان فشل العلاقة الزوجيّة، إما بالطلاق والفراق، وإما بالخصام والشجار، وإما بالصمت الكئيب وتجرّع المأساة الصامتة!

إذا تأملنا هذا الفشل البئيس في علاقة هؤلاء التعساء، سنجد أنّ من أهم أسبابه انتفاء الحوار والتواصل بينهم. وفي أحيان أخرى سنجد أنّ بعض هؤلاء يعترف بأهميّة الحوار، ولكن الجهل بفنون التواصل والإقناع يكون سبب التوتر الدائم والتدهور المستمر بينه وبين شريكه!

دعنا أولاً نحدد الأسباب التي تمنح الحوار والتواصل بين الزوجين أهميّته وضرورته:

1. الحوار بين الزوجين ضرورة مهمة لأنّه يعكس وجود **رغبة قويّة للاستمرار معاً.**
2. الحوار بين الزوجين ضرورة مهمة لكي يستطيعا **تحمّل مسؤوليّاتهما برضى جميل.**
3. الحوار بين الزوجين ضرورة مهمة **لتقييم مستوى العلاقة وتقويمها بشكل صحيح.**
4. الحوار بين الزوجين ضرورة مهمة لأنّه **يعزز الثقة في الذات والشعور بالقيمة الكبيرة.**
5. الحوار بين الزوجين ضرورة مهمة **لتجديد العلاقة الثنائيّة في ظلال المودة و الرحمة.**
6. الحوار بين الزوجين ضرورة مهمة **للاعتصام من سوء الفهم وإدارة الخلافات الثنائيّة.**
7. الحوار بين الزوجين ضرورة مهمة **لمواجهة ضغوط الواقع وتقلّبات الظروف المختلفة.**
8. الحوار بين الزوجين ضرورة مهمة **لتغيير بعض القناعات والطباع المضرة بالعلاقة الثنائيّة.**
9. الحوار بين الزوجين ضرورة مهمة **للمشاركة في تنشئة الأطفال تنشئة متوازنة ومستقيمة.**
10. الحوار بين الزوجين ضرورة مهمة **للتعاون على تحقيق مقاصد الزواج وغاياته المختلفة.**

إنّ رسالة الحوار هي « أنت مهم جداً بالنسبة إليّ، ورأيك له قيمة كبير عندي، لأن سعادتك واستقرار أسرتنا أهم من كل شيء ».

والمقصود بيان أنّ الحوار بين الزوجين من البديهيات في خطة النجاح والحفاظ على الزواج والأسرة والأطفال، إلا أنّه في عصر وسائل التواصل الاجتماعي سهل نشر الأوهام والخيالات الجامحة تحت شعارات مختلفة!

فمن هذه الأوهام الشائعة هي قولهم بأنّ الحب لا يحتاج للتصريح، لأنّ الحب الصادق هو الذي يجعل الحبيب يشعر بحبيبه بدون أن يتكلم! هذه الفكرة لا أساس لها من الصحة، وإنما هي أوهام شاردة، نشرها بعضهم أو بعضهن فتداولها غيرهم!

فهل الحب الصادق يعطي صاحبه القدرة على الاطلاع على غيب فؤاد شريكه؟! نحن نشك في هذا، إذ كيف يمكن للإنسان أن يعرف ما بداخل فؤادك وما تشعر به وما تفكر فيه، بدون أن تنطق بكلمة واحدة، أو أن تقوم بتصرّف يدل دلالة واضحة على ما فيه نفسك؟!

❁❁❁

قناعات مهمة:

الزوجان الناضجان ينطلقان في سبيل تحقيق الحوار البنّاء والفعال بينهما، سواء في الحوار العام اليومي أو في الحوار الخاص المتعلّق بحدوث حدث معيّن، من القناعات التّاليّة:

- الاقتناع بالأهميّة القصوى للحوار مع الشريك للحفاظ على العلاقة به جميلة رائعة.
- الاقتناع بأنّ طبيعة الشخصيّة كل واحد منهما تؤثر بشكل واضح في تفكيره ومواقفه.
- الاقتناع بأنّ كل واحد منهما يستطيع فهم المشكلة والتوصل إلى حل مرض للطرفين.
- الاقتناع بأنّ الرأي الشخصي خطأ يحتمل الصواب، ورأي الشريك صواب يحتمل الخطأ.

- ➢ الاقتناع بأنّ الصراخ ومحاولة فرض الفكرة على الشريك مآلها إلى الفشل الذريع.
- ➢ الاقتناع بأنّ إقناع الشريك بالرأي له أهمية كبيرة في الوصول إلى الهدف المنشود.
- ➢ الاقتناع بأنّ الشريك إنّما ينشد توطيد الحب وتجاوز كل ما من شأنه تشويهه.
- ➢ الاقتناع بأنّ الصمت لا يعني عدم وجود مشكلة، بل هو نفسه مشكلة تحتاج لحل.
- ➢ الاقتناع بأنّ الثورة قد تكون شكوى غير مباشرة للإحساس بالحرمان.

هذه القناعات تنبع من ثلاث حقائق:

1. **الحقيقة الدينيّة:** لأنّ الزواج مرغوب دينيّاً لاستكمال معاني الإنسانيّة في الزوجين.
2. **الحقيقة العاطفيّة**: لأنّ الزواج مرغوب نفسيّاً لإشباع النزعات والاحتياجات الوجدانيّة.
3. **الحقيقة الاجتماعية**: لأنّ الزواج مرغوب اجتماعيّاً لتخريج أشخاص أسوياء نافعين لأمتهم.

وبلا شك، فإنّ هذه الأمور الثلاثة لا يمكن تحقيقها إلا بممارسة الحوار بشتى أشكاله ومعانيه. إذ صحيح أنّ الزوجين يسعيان معاً إلى الهدف نفسه، وصحيح أنّهما يحثان معاً عن الرغبة ذاتها من الزواج، ولكن صحيح أيضاً أنّ كل واحد منهما يريد بلوغ هذا الهدف ويريد تحقيق هذه الرغبة بطريقته الخاصة، ولا يمكن تفادي الآثار السيّئة لذلك إلا بالحوار المتواصل.

على أنّ هذه الدعوة.. دعوة أن يجعل الزوجان الحوار شعاراً لعلاقتهما الثنائيّة، لسنا نعني به سوى الحوار البنّاء والإيجابي وقوة الفاعليّة. لأنّ هناك حوارات مختلفة يجمع بينها قاسم مشترك هو (السلبيّة والهدم وعدم الفاعلية!)، ومن الواضح أنّه لا يمكن أن تستقيم العلاقة الزوجيّة في ظلال السلبية والعناد والهدم، فضلاً عن أن تدوم وتستمر طويلاً!

يمكننا في هذا الإطار أن نحدد بعض معالم الحوار الإيجابي والسلبي، فنقول:

أشكال الحوار السلبي:

❖ **الحوار الصامت**: نقصد به الحوار الذي يفسر فيه الشريك مواقف وكلمات وإشارات الطرف الآخر، بشكل سلبي وسيّئ، دونما طلب منه توضيح موقفه أو كلامه أو إشارته، وكل هذا يكون مستنداً على وهم (أنا أعرفه وأحس به).

❖ **الحوار العدواني**: نقصد به الحوار الذي يكون مشحوناً بالانفعالات السلبيّة والمشاعر الضاغطة، وغالباً يكون هذا النوع من الحوار مصحوباً بالكلمات الجارحة والألفاظ النابية، وقد يصل إلى العنف الجسدي، لإيقاع الأذى بالشريك.

❖ **الحوار الجاف**: نقصد به الحوار الذي يتعامل فيه الشريك مع شريكه بجفاف قاتل وبرودة زائدة جدّاً. وفي الواقع لا تكون لديه رغبة في الحديث معه، فيشعر كأنّه مرغم على جوابه. وغالباً ما يحاول أن ينشغل عنه بأي شيء، ويكون جوابه مختصراً جدّاً.

❖ **الحوار الرتيب**: نقصد به الحوار الذي يقتصر على النقاشات اليوميّة المعتادة الدائرة حول جلب احتياجات المنزل، أو مشاكل الأولاد، أو بعض الأخبار الاجتماعية.. إلخ. كما أنّه يكون ناشئاً عن عدم الرغبة في الشعور بالوحدة أو للحفاظ على شكليّة الزواج.

❖ **الحوار المتسلّط**: نقصد به الحوار الذي يسعى فيه أحد الشريكين للهيمنة على الحوار والنقاش، ومحاولة فرض رأيه، ورفض كل اعتراض أو نقد، مع إهمال آراء الطرف الآخر وتحسيسه بالعجز عن حل المشكلة أو أنّه هو نفسه سبب المشكلة.

إنّ هذه الأنواع من الحوارات لها دخل قوي في تدمير العلاقة الزوجيّة وتفكيك كل الروابط العاطفيّة بين الزوجين. بالإضافة إلى الآثار السيئة على نفسيّة الأبناء، فلا شك أن الأبناء الذين يشبّون في أجواء خانقة، ينتفي فيها التواصل والحوار وغير ذلك بين الأبوين، يتأثرون بذلك بشدّة عندما يكبرون و عندما ييسر الله تعالى لهم فرصة الزواج!

✤ أشكال الحوار الإيجابي:

❖ **الشموليّة:** ونقصد بها ألا يقتصر الحوار على جانب دون آخر، بل أن يكون شاملاً لكل شيء يتعلّق بالزوجين (العاطفة، الجنس، النفقات، الأولاد.. إلخ). فهذا الشمول يُشعر الطرفين أنّهما روح واحدة، كلاهما حريصان على تنمية وتطوير علاقتهما.

❖ **الاستمرارية:** ونقصد به ألا يقتصر الحوار على فترات حدوث نشوب الخلافات، بل من الأهميّة القصوى أن تكون عمليّة الحوار بصورة مستمرة ومتجددة حول كل شيء، لأنّ غرضهما الأعلى هو استقرار وسعادة علاقتهما الزوجيّة، وما يترتب على ذلك.

❖ **الصراحة:** ونقصد بها ألا يكون الحوار عاماً مُبهماً، بل يجب أن يكون واضحاً صريحاً. فقد قلنا بأنّ الزواج الناجح هو تعاون ومشاركة بين الزوجين لتلبيّة احتياجات ورغبات بعضهما بعضاً، وهذا لا يمكن أن يكون إلا بالوضوح والصراحة بدون غموض ولا روغان.

❖ **السمو الأدبي:** ونقصد به أن يعكس الحوار سمو العلاقة الثنائيّة. فبالرغم من أنّ الزواج يذيب الحواجز بين الزوجين، إلاّ أنّ هذا لا يعني عدم الحرص على اختيار الكلمات الجميلة والمعبرة أثناء الحوار مع الشريك، ومن اعتاد شيئاً سهل عليه.

❖ **المشاركة الفعّالة:** ونقصد بها أن يتم الحوار في أجواء الهدوء، وفي أوقات الراحة، لكي يشعر الطرفان أن حوارهما ليس نابعاً من تحسيس الآخر بالضغط والإكراه، بل من منطلق المحبة الصادقة والرغبة الكبيرة في تطوير هذه العلاقة الثنائيّة والحفاظ على الأسرة.

من أجل ذلك حريٌّ بالزوجين الصالحين أن لا يكتفيا بالحرص على ترسيخ فكرة الحوار بينهما فقط، بل أيضاً ينبغي أن يحرصا أكثر على أن تكون حواراتهما في مستوى الفعّاليّة والإيجابيّة البنّاءة. لأنّ ذلك هو الضمان الأكيد ـبإذن الله تعالىـ لتمتين أواصر المودة والرحمة بينهما، والتجديد الدائم لعلاقتهما الثنائيّة.

يقول ستيفن. آر. كوفي: « لابد من تعلّم الإنصات من أجل إقامة علاقات فعّالة مع الزوجة أو الزوج أو الأطفال أو الأصدقاء أو شركاء العمل. وهذا يتطلّب قوة عاطفيّة، لأنّ الصبر والانفتاح والرغبة في الفهم جزء من الإنصات، وهي سمات عالية التطور للشخصيّة ».[1]

❁❁❁

أقسام الحوار:

الحوار بين الزوجين قسمان **(حوار عام)** يكون يوميّاً، و **(حوار خاص)** يكون وليد حدث معيّن. ولهذا من المفيد أن يعرف الزوجان كيف يتعاملان مع كل قسم بما يناسبه:

الحوار العام:

- ✓ لا يلتزم بموضوع معيّن، بل تكون مواضيعه مختلفة: كيف مضى اليوم، ماذا عمل الأولاد، أخبار محليّة وعالميّة، علاقات اجتماعيّة، شؤون المنزل.. إلخ.
- ✓ لا يتطلّب المواجهة المباشرة، فقد يكون الزوج في الصالة والزوجة في المطبخ، أو الزوجة مشغولة مع الأولاد والزوج يصلح شيئاً ما.. إلخ.
- ✓ لا يقتضي إظهار الاهتمام اليقظ، بل يكفي إظهار التجاوب مع كلمات الشريك، سواء بشكل مباشر أم غير مباشر، والتعليق على كلامه أو طرح أسئلة جديدة.
- ✓ لا يستوجب الجديّة، فقد تتخلل المحادثة والحوار العام بعض المفاكهة المرحة والشغب الجميل: قبلات، لمسات، حركات.. إلخ.

الحوار الخاص:

1 . « العادات السبع للناس الأكثر فعّاليّة ». صـ 48.

- ✓ يلتزم بموضوع معيّن، كشيء يخص الأطفال، أو يخص العلاقة الجنسيّة، أو يخص النفقات الشهريّة، أو يخص الارتباطات الاجتماعيّة.. إلخ.
- ✓ يتطلّب المواجهة، إذ هي عنصر جوهري في تحقيق التفاهم ووضع الأمور مواضعها، أما بدونها فلن يكون هناك تقدم ملموس في أي موضوع، ولو بعد سنين طويلة.
- ✓ يقتضي الاهتمام، لأنّه مع اللامبالاة والإهمال أثناء الحوار لا يمكن أن تكون هناك نتائج مرضية وإيجابيّة، بل إن الطرف الآخر يشعر بعدم القيمة واستخفاف الآخر به.
- ✓ يستوجب الجديّة، لأنّ المفروض في مثل هذه الحوارات الخاصة أن تكون جادة بسبب تأثيرها ـولو مع مرور الوقتـ على العلاقة الزوجيّة والأسرة عموماً.

لنذكر أمثلة مرتبطة بمجالات الحوار التي سبق أن تحدثنا عنها:

- **العاطفة**: عندما يشعر أحد الشريكين بأنّ احتياجاته العاطفيّة غير مشبعة تماماً، يسعى للحوار مع شريكه ليوضح له الأمر، وأنّه يعاني نقصاً في شعوره العاطفي.
- **الجماع**: عندما يشعر أحد الطرفين بأنّ رغباته الجِنسيّة المختلفة غير مشبعة جيّداً، يسعى للنقاش مع الطرف الآخر، للاتفاق على تطوير الممارسة الثنائيّة.
- **النفقات**: عندما يشعر أحد الطرفين بأنّ التدبير المالي للأسرة مضطرب؛ تقتيراً أو تبذيراً، يسعى للتحدث مع شريكه لمعالجة الأمر لتفادي صعوبات ماليّة مستقبلاً.
- **الأولاد**: عندما يشعر أحد الزوجين بأنّ الأطفال لا ينالون حظهم الواجب من الطرف الآخر، يسعى للحوار معه ليعمل على تغيير طريقة تعامله معهم وتمتين العلاقة بهم.
- **التخطيط الأسري**: عندما يشعر أحد الزوجين بأنّ الأسرة تسير في مسار خطأ؛ لأسباب معتبرة، يسعى للحوار مع شريكه للاتفاق على خطة إصلاح شاملة.
- **الآخرون**: عندما يشعر أحد الشريكين بأنّ العلاقات الاجتماعية (زيارة الأهل والأصدقاء، أو تدخلهم)، يسعى للحوار مع شريكه لضبط هذه العلاقات.

تلك هي المجالات التي على الزوجين الاهتمام بها. وإذا لاحظتَ، فإنني لم أذكر (مجال التحدث حول مشاكل الآخرين)، وهذا أمر مقصود، للتنبيه على أن جلب أحد الطرفين مشاكل الآخرين (الأهل، المعارف، الأصدقاء) إلى داخل البيت ومناقشتها، إن سلم من الغيبة المحرّمة شرعاً، فإنه من الصعب أن يسلم من التأثر السلبي بها، خصوصاً إذا تعلق الأمر بعائلة أحد الطرفين. و لهذا أنا أنصح دائماً بترك مشاكل الآخرين عند عتبة الباب.

❁❁❁

اقتراحات واحتياجات:

إنّ التّسامي في الأسلوب والتفنن في الحوار من أهم ركائز تحقيق الأهداف من التواصل مع شريك الحياة. غير أن بعض الأزواج بعد محاولات من الحوار، يصابون بصدمة نفسيّة عنيفة لعدم ظهور آثار ملموسة للحوار، كتغيير الشريك بعض الأفكار والتصرفات التي تؤثر سلباً على العلاقة الثنائيّة، أو رفضه لبعض الأفكار والتصرفات التي تؤثر إيجاباً عليها!

المشكلة تكمن في عدم درايتهم أو إتقانهم لفن الحوار والإقناع للشريك. فالزوج يحاور زوجته كما يحاور أخاه أو صديقه، والزوجة تحاور زوجها كما تحاور أختها أو صديقتها! ولا يفهمان أنّه ينبغي عليهما محاورة بعضهما بالمنطق والأسلوب الذي يفهمه الزوج من حيث هو رجل، والزوجة من حيث هي امرأة. والنتيجة هي أن الكل يقول (إنه لا يفهمني!)

إنّ الحديث مع شخص ما بلغة لا يفهمها لا يحقق التواصل الإيجابي معه. ولهذا يحسن بالزوج أن يحرص على فهم كلمات وإشارات زوجته، ويحسن بالزوجة أن تحرص على فهم كلمات وإشارات زوجها، وإلا فعدم الفهم من شأنه أن يباعد بينهما نفسيّاً وعاطفيّاً، ومع مرور الوقت سيتحول الأمر إلى أزمة، بل قل إلى قنبلة موقوتة قد تنفجر في أيّة لحظة!

إنّ الحوارات المهمّة بين الزوجين قسمان، **(أولهما: اقتراحات)..** وهذه تنحصر في التخطيط لإنماء العلاقة الثنائيّة والأسريّة، معنويّاً أو ماديّاً. **(ثانيهما: احتجاجات)..** وهذه تنحصر فيما يلحق الضرر بالعلاقة الثنائيّة والأسريّة، معنويّاً أو ماديّاً. و لتحقيق النجاح في القسمين جميعاً ينبغي تذكر منطلقات الحوار الإيجابي.

لكن، لابأس أن نضيف هنا بعض التعاليم الخاصة بكل قسم، والتّي من شأنها مساعدة الطرفين على إحسان إدارة الحوار بينهما، ذلك لأنّ الإنسان أثناء الحوار ينطلق من القيم والأفكار الطاغية على شخصيّته والتّي يحرص على إشباعها والإحساس بها.

حوار الاقتراحات:

- لا يكفي أن يكون اقتراحك صحيحاً من وجهة نظرك، بل الأهم هو فن عرض هذا الاقتراح على شريكك، لإقناعه بقيمته ومساهمته في تطوير واستقرار زواجكما.
- قبل أي اقتراح على شريكك، اعرف الهدف والغاية التّي تنشدها، وفكّر في الأمر من كل جوانبه، فلا داعي للتسرّع والعجلة، فالتأنّي سيعطي لشريكك انطباعاً جميلاً عنك.
- كن مستعدّاً نفسيّاً بأنّ شريكك قد لا يقبل اقتراحك، لأنّ له رؤية مختلفة عنك. فتعامل بمرونة ولباقة مع رفضه أو رغبته في إدخال بعض التعديلات على فكرتك.
- لا تحاول فرض أفكارك على شريكك؛ بل أقنعه بها ليتبنّاها برغبته الخاصة، فهذا وحده الذي يضفي على الحوار قيمته، ويختصر الكثير من المسافات بينك وبينه.
- إذا وجدت أنّ شريكك مخطئ في فكرته واقتراحه عليك؛ فبدل توجيه النقد إليه ذكّره بما غاب عنه برفق وذكاء أو اقترح عليه حلولاً أفضل. بهذا ستكون أكثر روعة.
- مهما كانت حججك قويّة؛ تذكر أنّك تحاور شريك حياتك، ولذا ساعده ليشعر بأنّ هدفك من الفكرة هو المصلحة العليا لعلاقتكما وأسرتكما، وليس أهدافاً شخصيّة خاصة بك.

- من المفيد للغاية ممارسة فنّ الإغراء بالكلام واللباس ولغة الجسد قبل وأثناء وبعد الحوار، لأنّها طريقة تختصر نصف الطريق لإقناع الشريك، خصوصاً مع الزوج.

حوار الاحتجاجات:

- ركز على القضية الأساسيّة التي تريد معالجتها، ولا تنجر إلى مناقشة فروع أخرى أو استدعاء أحداث مشابهة من الماضي، وإلا لن تحصل سوى على مزيد من العناد والنفور.
- لا تحاصر شريكك بالنقد والاتهامات، بل أعطه فرصة للدفاع عن نفسه وتوضيح موقفه. وليكن شعارك حتّى وأنت غاضب (أربح وأدع شريكي يربح معي).
- لا تنتقد شخصيّة شريكك وتفكيره، بل انتقد كلماته وتصرّفاته بشكل مهذب. فالإهانةُ تُولّد العنادَ والحقد، وقدّم الثناء والمدح على النقد والاحتجاج، فذلك يفتح القلب. (1)
- خطأ شريكك لا يعطي لك الحق في انتقاده بأية طريقة وبأية كلمات وفي أي وقت، فالنقد الجارح يُولد الغضبَ والعنادَ. ورُبَّ كلمة أورثت ندامة طويلة.
- احذر للغاية من أن تُشعر شريكك بأنّه خيّب أملك فيه وأنّ منزلته سقطت عندك بسبب كلامه أو تصرّفه، فأنت بهذا تدفعه نحو مزيد من مخالفتك ورفض ما تنتظر منه.
- ابتعد عن مثل هذه الحوارات في غرفة النوم أو أمام الأطفال. أما غرفة النوم فيجب أن تظل بمنأى عن كل المنغّصات، وأما الأطفال فسيتأثرون سلباً بشكل عميق.
- لا تقاطع شريكك بغرض النقد، فذلك سيزيد تأجج جمرة الغضب والعناد في نفسه. ولا تقاطعه لإنهاء الإزعاج، بل دعه يفرغ ما بداخله، فهو محتاج نفسيّاً لهذا التفريغ.
- أثناء الحوار، استفسر أحياناً شريكك، ليفهم أنّك منتبه إليه ومهتم بكلامه. ولكن لا تعطه حلولاً مباشَرة، فهو في النهاية يريد التعاون والمشاركة للوصول إلى حلول أفضل.

---

1 . تأمل تعامل رسول الله ﷺ مع ابن عمر رضي الله عنه: ﴿ نعم الرجلُ عبد الله، لو كان يصلي بالليل ﴾، نجد الرسول ﷺ قد قدّم المدح والثناء قبل إلقاء النصيحة والتنبيه على شيء أفضل.

➢ تذكر أن الآخر هو حبيبك و زوجك، لذا لا بأس أن تحتمل بعض انفعاله و تعصبه عليك، فقد كانت زوجات النبي ﷺ يراجعنه الكلام، و هو يحتمل ذلك منهن.[1]

➢ لا بأس أن تُدخل ـبذكاءـ بعض الفكاهة المرحة أثناء انفعال شريكك، فهذا سيكسر حدة غضبه ويجعله يتراجع عن هجومه. مثلاً (غمزة العين، عض الشفتين، إبراز فتحة النهدين) أو قل: ممكن سؤال (لماذا تبدو حلواً لذيذاً عندما تكون غاضباً؟!) أو أخبره (بالرغم من غضبك وثورتك سأظل أحبك إلى الأبد، وإن استطعت أتبعها قبلة خاطفة). تأكد أنّه سينسى غضبه وسبب ثورته.

❁❁❁

وبعد:

لقد منح الله سبحانه ـوهو الحق قيّوم السموات والأرضـ فرصة الحوار لمختلف مخلوقات. فقد أذن للملائكة عليهم السلام بمحاورته بشأن خلق البشر: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.[2] وانظر بقية الحوار في السورة.

وأعطى الفرصة لرسوله الكريم موسى بن عمران ﷺ ليبدي مخاوفه حول تحمّل الرسالة: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾.[3] وأعطى الفرصة لرسوله الكريم محمد بن عبد الله ﷺ أن يراجعه ليلة المعراج حول فريضة الصلاة وأعدادها، كما وضحت كتب السيرة والحديث.

---

1 . تأمل هذه الصفة التي وصف الله تعالى بها عباده الصالحين: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران:134].

2 . البقرة/30

3 . الشعراء/14،13،12

بل سيعطي الفرصة للإنسان ليدافع عن نفسه يوم القيامة: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾.[1] بل أعطى الفرصة لإبليس ـلعنه الله لعناً كبيراًـ للدفاع عن موقفه بعد أن رفض الأمر بالسجود لآدم ﷺ: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾.[2]

فلا يصح بعد هذا، أن يرفض الزوجان ـأو أحدهماـ الحوار حول مختلف محاور علاقتهما الزوجيّة وما يتعلّق بأسرتهما الصغيرة. والحقيقة أنّ رفض الحوار بين الزوجين إن دل على شيء، فإنّما يدل على العناد أو اللامبالاة أو الغرور أو الرغبة في الطلاق عندما تتاح الفرصة!

إنّ الإنسان تأتي عليه لحظات ضعف، فتور، سوء مزاج، فلا بأس أن يتحمّل الشريكان بعضهما بعضاً. فلحظات الثورة والغضب لحظات عابرة، والعاقل إنّما همّه فترات الصفاء والمودة والهناء، بل لو تأمل المرء جيّداً لوجد أنّ تلك اللحظات المزعجة ضروريّة لبقاء هذه العلاقة مشبوبة بالحب والجمال والشوق والإعجاب، لأنّها تعطي الشريكين فرصة للتقارب أكثر وفهم احتياجات بعضهما بعضاً بشكل أفضل؟!

نحن نشدد عليك أيّها الرجل بشكل أكثر من المرأة على أن تكون ذا صدر رحب، وعقل ناضج، وصبر قوي، وتفهم واع. فزوجتك إنسانة عاطفيّة جدّاً، تستفزها الكلمة أو الموقف. وتذكر أنّنا قلنا سابقاً بأنّ أهم شيء تحرص عليه الزوجة هو أن تشعر بأنّها مهمّة جدّاً بالنسبة إليك، ولذلك تريد منك الحب والإطراء، وتنتظر منك الاهتمام والرعاية، وتنشد منك الحنان والرحمة. ولهذا بمجرّد أن تتوهم بأنّ حبّك لها نقص، أو أنّ جمالها لم يعد يثيرك ولم تعد تمتّع بتلك الجاذبية الساحرة في عينك، عندما يراودها هذا الإحساس ـولو خطأ بسبب كلمة عابرة أو تصرف غير مقصود ـ تجد نار الثورة تشتعل في داخلها!

1 . النحل/111

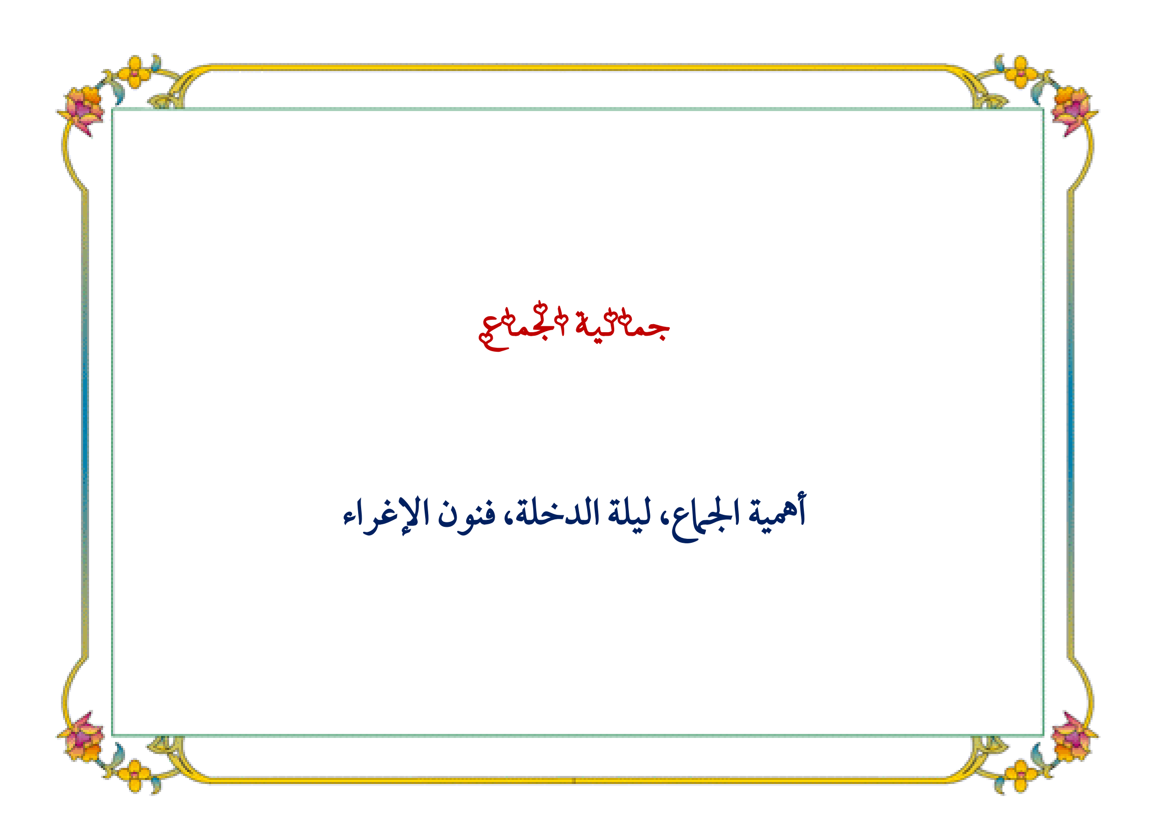
2 . الأعراف/12

و لهذا بدل أن تواجهها بالثورة المضادة، أو الإهمال واللامبالاة لموقفها وإحساسها، من المهم أن تحرص على احتوائها وتفهم مشاعرها والتأكيد لها بأنّها الزوجة الرائعة والحبيبة الساحرة وأنّها كل حياتك. و تذكر قول الله سبحانه: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾.[1] وقال رسول الله ﷺ: ﴿ ما كان الرِّفقُ في شيءٍ إلَّا زَانَه ولا كان الفحشُ في شيءٍ قطُّ إلَّا شَانَه ﴾.

ومن الواضح أننا لا نقصد أن يلزم الزوج الصمت مهما قالت أو فعلت الزوجة بدعوى أنها منفعلة أو أن مزاجها ليس على ما يرام أو أنّ والدتها ضغطت عليها أو لأنها اعتبرت الأمر عادياً، فهناك أمور (كلمات وتصرفات) يجب أن يقف فيها الزوج موقفاً واضحاً وصارماً، ومن الخطأ البالغ أن يقبل الزوج الميوعة من زوجته وإهانتها له، فذلك يطغيها ويجرّئها عليها أكثر، بل ويغرس نبتة الاحتقار له في قلبها، فطبيعة المرأة أنها رغم ميلها للحرية إلا أنّها في أعماقها تحب أن يكون زوجها حاكماً وضابطاً لها، وحين لا تجد منه هذا الحزم والجد والصرامة، يسقط من عينها!



[1] . الإسراء/53



جمالية الجماع

أهمية الجماع، ليلة الدخلة، فنون الإغراء

أهمية الجماع



أصالة الغريزة الجنسيّة:

إنّ الأهميّة التّي تكتسبها العلاقة الجِنسيّة بين الزوجين، وارتباطها بإنشاء التقارب العاطفي والسعادة الثنائيّة بينهما بعد الزواج، تتجلّى في كونها تُمثّل جزء أصيلاً من الفطرة البشريّة، مثلها مثل باقي الغرائز الأخرى. ولهذا فهي تُشكّل ضغطاً قويّاً عليها، لا يمكن التغاضي عنه.

بسبب هذه الغريزة يميل كثيرون للعادة السرية، وبسببها يجنح كثيرون للخيانة والزنا، وبسببها تُغتصب آلاف من الفتيات في العالم، وبسببها تُجهض آلاف الأجنة يومياً بين شتّى والشعوب، وبسببها هناك اليوم مئات من الشخصيات الدينية والسياسية والإعلامية والأكاديمية وغيرها في الغرب من الشخصيات البارزة والمشهورة، تلاحقهم فضائح جنسيّة سقطوا فيها!

وإذ كان الأمر كذلك، فلا جرم أنّ الاهتمام بهذه الغريزة القوية والراسخة، يُشكل عنصراً فعّالاً في جلب سعادة، ورفع رصيد الحب، وتحقيق الاستقرار. أما تجاهلها وعدم العناية بها، فإنّه يُشكّل عاملاً قويّاً في جلب الشقاء، واغتيال الحب، وإحداث الاضطراب.

إنّ كلّ المعطيات تؤكد على أنّ العلاقة الجِنسيّة لها دخل كبير في استقرار وثبات أو اضطراب وتدهور العلاقة الزوجية. هذا شيء نعيشه في واقعنا الاجتماعي، كما أن الدراسات تؤكد وتصادق عليه، فقد تبيّن أنّ نسبة 90% من حالات الطلاق مرتبطة بعدم رضا الطرفين عن علاقتهما الجِنسيّة، كما تبيّن أن نسبة كبيرة من حالات السعادة ترجع إلى رضا الطرفين عن علاقتهم وممارستهم الجِنسيّة! [1]

1 . «فنون في غرفة النوم». محمد حسان و زميلاه/ صـ 111/ شركة مكتبة ألفا للتجارة والتوزيع. 1426-2005.

يقول د. أحمد الكندري: « يلعب التوافق الجنسي دوراً بالغ الأهمية في الحياة الزوجية. فالإشباع الجنسي أحد الدوافع التي يسعى إلى تحقيقها الإنسان بالزواج ».[1] بل إنّ هذه الأهميّة لا تقتصر فوائدها وثمارها على العلاقة الثنائيّة بين الزوجين، بل تمتد لتشمل آثارها الأبناء أيضاً.

يقول د. مصطفى حجازي: « يُشكّل النضج العاطفي الجنسي الذي يتأسس على متانة العلاقة وصحتها مع الوالدين ضمانة لفاعلية بقية المقومات في تماسك الأسرة ونمائها. كل الاختلافات والصراعات تبقى ثانوية قابلة للحل طالما توفر التوافق العاطفي الجنسي بين الزوجين ».[2]

والمنهج الإسلامي يقر بهذه الحقيقة، فهو يعترف بالغريزة الجنسيّة عنصراً أصيلاً في تركيبة الإنسان، كما يعترف بأهميّتها الكبرى في ثبات الزواج واستقرار الكيان الأسري. ولذلك وضع لهذه الغريزة أحكاماً و آداباً، كما رسم لها إطاراً متميّزاً، عكس ما يتصوّره كثيرون!

لقد أدرك علماء المسلمين أصالة هذه الغريزة في الطبيعة البشريّة، كما أدركوا قيمتها في التشريع الإسلامي، فراحوا يكتبون الكتب المختلفة ومن زوايا مختلفة، لكي يعطوا للزوجين المسلمين صورة واضحة عن الجماع و فنونه. قال الإمام السيوطي ﵁: « قد أكثر الناس من التصنيف في فنّ النكاح؛ ما بين مُسهب ومختصر، ومستوعب ومقتصر ».[3]

بل تأمل كيف أنّ الحق ﷻ يخلد في كتابه المقدس كلاماً خاصاً بالعلاقة الجِنسيّة، ردّاً على خرافة من خرافات يهود عليهم اللعائن المتتابعة. وذلك في قوله: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ﴾.[4] وسنتحدث لاحقاً عن دلالات هذه الآية.

---

1 . «علم النفس الأسري». صـ 186/مكتبة الفلاح. 1412-1992.

2 . «الأسرة وصحتها النفسية». صـ 48.

3 . «الوشاح في فوائد النكاح». صـ 34/ دار الكتّاب العربي، سوريا. وكلمة النكاح تعني الجماع.

4 . البقرة/223.

ثم انظر حديث رسول الله ﷺ: ﴿ في بُضع أحدكم صدقة. قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدُنا شهوتَه ويكون له فيها أجر؟! قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر ﴾.[1]

فشيء يأجر الله تعالى عليه، أليس يوجب العناية والاهتمام! نقل الإمام السيوطي عن بعض المؤلفين في شؤون العلاقة الجنسيّة قوله:

« لو لم يكن في باب علم الباءة إلا حديث جابر، لكان كافيّاً في متمّماته كلها، فإنّه مُغرٍ بحسن البِعَال، ومُرغّب في تعلم ما أغرى به المصطفى ﷺ، ومضطر للتفطن لما تميز به مباضعة الأكياس ـوهم البشر العقلاءـ عن سفاد الطير وجنس النَّعم ونزو السباع. ومؤكد لإفادة ذلك وتعليمه وبيانه والتنبيه له والحث عليه ».[2]

وقد يعترض بعض الناس على أهميّة تعلم فنون العلاقة الجنسيّة وضرورتها في الحياة الزوجيّة، بالقول: (الممارسة الجنسيّة شيء فطري وغريزة طبيعيّة في الإنسان، وما زال الناس منذ قديم الدهر يمارسونها بلا حاجة لأخذ دروس فيها)! لكن حتى هذا السؤال قد ناقشه أسلافنا قديماً. نقل السيوطي عن بعضهم:

« أصل الجماع يكفي فيه الطبع ودواعيه، اتحاداً وكيفاً وكَمّاً، ولا يحتاج إلى الكيس والفطنة إلا تحسينه المشَهِّي لفوائده التامة، وبالتكايس تَتَأَتّى وجوهه الجيدة، فلا أقل من تنبيه الأذكياء لها

1 . «صحيح مسلم»

2 . «الوشاح في فوائد النكاح». صـ 71. قوله (البعال) أي فن المداعبة الجِنسيّة بين الزوجين. قوله (مضطر للتفطن) أي إشارة إلى أنّ ممارسة الجنسية الآدمية ينبغي أن يتكون في مستوى الرقي والجمال. وحديث جابر في صحيح البخاري وفيه أن رسول الله ﷺ أمر جابراً بعد عودة من غزوة، بعدم إهمال الجماع وإتقانه.

والإيماء. فلو أهمل التنبيه والإيماء إليها من أجل فطنة وذكاء، لأهملت وتركت مع جابر وذكائه وفطنته ».[1] أي لما أشار النبي ﷺ للصحابي جابر بضرورة الكيس في الممارسة.

إذن، حين ندعو الزوجين للاهتمام بالعلاقة الحميمة وتعلّم فنونها، فليس معنى ذلك أننا نفترض أنّ قرّاء هذا الكتاب ـأو غيره ـ جاهلون بكيفيّة إشباع هذه الغريزة الفطريّة فيهم، بل المقصود هو التنبيه على مجموعة أمور تساعدهم على الارتقاء في ممارستها بأساليب بديعة تعمل على منحهم لذة مضاعفة و متعة واسعة.

إنّ الغرائز الفطريّة يمكن إشباعها بطرق بسيطة ساذجة، كما يمكن إشباعها بطرق راقية جميلة، لكن من المؤكد أن الطريقتين بما أنّهما يختلفان في الفعل، فإنّهما يختلفان في النتائج. والعاقل اللبيب إنما يبحث في كل شؤونه على ما يضاعف لذته ومتعته وراحته.

❁❁❁

فوائد الممارسة الجنسية:

الأصل في ضرورة اهتمام الزوجين بعلاقتهما الجنسيّة والحرص على الارتقاء بها، ليس نابعاً فقط من إدراكهما للمساهمة الفعّالّة التي تُقدمها هذه الممارسة لعلاقتهما الثنائيّة واستقرارهما العاطفي والأسري، بل أيضاً لإدراكهما أنّ ذلك له ارتباط بالجانب الشرعي، إذ إن الشريعة قد أوجبت لكلا الطرفين حق الإعفاف، ولذلك رتّبت عليه الثواب العظيم أو العقاب الأليم.

قال رسول الله ﷺ: ﴿ إذا دعا الرَّجلُ امرأتَه إلى فِراشِه، فأبَت أن تَجيءَ لَعَنَتْها الملائكةُ حتَّى تُصبحَ ﴾.[2] فهذا وعيد شديد للزوجة التّي تأبى ـبدون عذر معتبرـ الاستجابة لزوجها إذا دعاها

---

1 . نفس المصدر و الصفحة. و قوله (التكايس) أي بحسن الممارسة والتفنّن فيها وإشباع زوجته.

2 . « صحيح البخاري».

للفراش. ومفهومه ـوالله تعالى أعلم ـ أنّ استجابة الزوجة لزوجها ـوهو لها أيضاً حين ترغب في ذلك ـ عليها أجر عظيم ودعوة الملائكة عليهم السلام بالرضوان.

قال الله سبحانه: ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.[1] قال أهل العلم إنّ ختم الآية بغفور رحيم، يقتضي أنّ حرمان الزوج لزوجته ـبدون عذر ـ ذنب لا يحبّه الله ولا يرضاه. ولهذا قالوا أيضاً: أنّ حق الجماع آكد حقوق المرأة على الرجل.

كما أنّ العلماء استدلوا على قبح وشناعة امتناع الرجل عن جماع زوجته بحديث رسول الله ﷺ: ﴿ لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يجامعها في آخر اليوم ﴾.[2] قالوا: الحديث دل على قبح اجتماع هذين الأمرين (الضرب وطلب الاستمتاع). فإنّ الظلم والأذى للزوجة يوجبان النفور والبغضاء. والاستمتاع الجنسي إنّما يكون مع ميل النفس ووجود الرغبة في المعاشرة.

يتبيّن لنا من كل ما سبق، أنّ من يظن أنّ البحث في سياسة الجماع وتدبير الشؤون الجنسيّة بين الزوجين، بدعوى الدين أو الأخلاق مخطئ في ظنّه!

لكن، لماذا كانت للعلاقة الجنسيّة كل هذه الأهميّة النفسيّة والجسديّة والشرعيّة والأخلاقيّة؟ الجواب نعرفه بمعرفة الفوائد و الثمرات، فأقول:

لم يخلق الله تعالى شيئاً عبثاً، بل خلق كل شيء لحِكَم كبيرة، قد يعرف الإنسان بعضها، لكنّه سيظل جاهلاً بتفاصيلها الدقيقة. هذه الحقيقة تنطبق على الغريزة الجنسيّة. فقد خلق الله تعالى هذه الغريزة في الرجل والمرأة لفوائد عظيمة وآثار جليلة، لا يزال الإنسان من قديم الزمان يكتشف أسرارها وفوائدها. وتلخيصها في التالي:

---

1 . البقرة/226. يؤلون: يحلفون ألاّ يجامعوا الزوجة، لسبب من الأسباب. ولكن حدّد القرآن مدة أربعة أشهر, فإما أن يرجعوا عن حلفهم ويعطوا الزوجة حقها الشرعي والفطري, وفي حالة العجز يعلنوا العودة بلسانهم وقلوبهم. أما بعد انقاض أربعة أشهر فللزوجة حق طلب الطلاق للضرر اللاحق بها بسبب رفض الزوج العودة لإعطائها حقها الشرعي في الجماع.

2 . « صحيح البخاري».

❤ الفوائد الجسديّة:

- ✓ الجماع يساعد على تنظيم حركة الدم في الجسم ونبضات القلب وتنشيط العضلات.
- ✓ الجماع يقي من هشاشة العظام، فيبقى الجسم بقوته ونضارته إلى أطول مدة ممكنة.
- ✓ الجماع يسهم في تخفيف الألم والإجهاد، فهو أفضل من أقراص الأسبرين.
- ✓ الجماع أفضل قرص منوم يمكن تناوله، بسبب استرخاء العضلات بعد الممارسة.
- ✓ الجماع يُخفّض بنسبة كبيرة الإصابة بالسكتة القلبية، الجلطة الدماغية، ونزلة البرد.

وغير هذا من الفوائد على مستوى الجسد والصحة.

❤ الفوائد المعنويّة:

- ✓ الجماع عامل قويّ في الشعور بالتفاؤل والحيوية، والإحساس باحترام الذات.
- ✓ الجماع يقوي الشعور بالحب والاستقرار والمشاعر الحميمة بين الزوجين.
- ✓ الجماع عامل مهم للتخفيف من المشاكل والخلافات الزوجيّة.(1)
- ✓ الجماع أحسن علاج للاكتئاب والإحباط واليأس والتوتر والوساوس.
- ✓ الجماع يساعد على تربية الأطفال والاعتناء بهم جيّداً، بسبب الانسجام بين الزوجين.

وغير هذا من الفوائد على مستوى النفس والوجدان.

وهاهنا أمر بالغ الأهميّة يحسن التنبيه عليه، وهو أنّ هذه الفوائد لا يمكن التّمتع بها والحصول عليها، إلا أن تكون العلاقة الجِنسيّة منتظمة ودافئة ومتفاعلة. فالآلية والجفاف فيها كما الصراعات الدائمة والخلافات المتواصلة، لا شك أنّ كل ذلك يعمل على حرمانهما مما ذكرناه!

---

1. تحكي كتب المنثورات الأدبيّة، أنّ بعض الظرفاء كان إذا وقع خصام بينه وبين زوجته، جامعها مباشرة، فقالت له مرة: (ويحك تكون الخصومة بيننا فتأتيني بشفيع لا أستطيع رده!) أي الجماع.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾.[1] وهذا تعبير دافئ ندي يوحي بتلك العلاقة الرقيقة الحنون، وبتلك الرابطة الرهيفة الشفيفة، التي تصل ما بين الزوجين. فإذا كانت مهمّة اللباس لا تقتصر على ستر العورة، بل إضفاء الجمال على الشخص، فإنّنا نفهم من وحي الآية ـواللہ تعالى أعلمـ أنّها دعوة للزوجين للتسامي في فنون الممارسة الجِنسيّة بينهما، لا ليشعران فقط أنّهما يستران ضعف بعضهما من خلال تفريغ شحنات الشهوة والاحتواء العاطفي، بل أيضاً ـوهذا هو الأهمـ ليشعرا معاً أنّهما جسد واحد وروح واحد.

❁❁❁

ضوابط وآداب:

يرفض الإسلام اعتبار العلاقة الجِنسيّة شيئاً عابراً في الحياة الزوجيّة، باعتبارها مجرد غريزة يتم تصريفها وينتهي الأمر، بل ما فتئ يحثّهما من خلال دلالات وإيحاءات كلمات القرآن على اعتبارها علاقة سامية جداً، ونبيلة جداً، ولذلك استحقت أن ينالا عليها الأجر والثواب.

هذه النظرة الجديدة التي قدمها الإسلام للعلاقة الحميمة لا شك أنّها أثْرَت معانيها جداً وسكبت فيها دفقات هائلة من المعنى والرقي. فلا نعجب إذن أن يضع لها مجموعة من الآداب والحدود الضابطة، من أجل إضفاء القدسيّة عليها في وجدان الزوجين المسلمين.

أكتفي هنا بآية واحدة تعكس مدى اهتمام الإسلام بالجانب الجنسي في الحياة الزوجيّة، من خلال تضمّنها إشارات واضحة إلى أفضل أسلوب لممارسة الغريزة الجنسيّة وإروائها. وتلك هي قول الله سبحانه: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾.[2] وهذه آية جامعة في موضوع الجماع، من حيث أسلوبه وأجواؤه وآدابه وأهدافه، كل هذا ببضع كلمات مختصرات!

---

1 . البقرة/187

2 . البقرة/223

هذه الآية تخبرنا ـوالله أعلم بمرادهـ أنّ على الزوج أن يتعامل مع زوجته جسداً وروحاً، بطريقة مختلفة وراقية، ولذلك منحه الإذن (زماناً ومكاناً وأوضاعاً) كما يشير حرف (أنّى شئتم). فالزوج عندما يحرص على تثوير جسد زوجته، عبر تغيير الوضعيات ودفق القبلات واللمسات والهمسات، فإنّه بذلك يعمل على تحسيسها بأنّها محبوبة ومرغوبة.

القاسم المشترك بين الزوج والحارث هو أنّه « لا يترك أي مساحة من الأرض التّي يحرثها بدون أن يمر عليها ويقلّبها ويتعهدها بالرعاية والاهتمام، فالزوج كذلك يجب أن يمر بكل قطعة من جسد زوجته ليلاعبها ويلاحظها ويلمسها ويقبّلها ويتحسّسها ويحارثها مرّة أخرى ـكما جاء في القرآن الكريمـ وهو بصدد تهيئة المشاعر والجوارح للاتصال الجنسي فيما بينهما ».[1]

أما بخصوص الآداب الراقية والأحكام الضابطة لهذه العلاقة، فيمكن تلخيصها في التالي:

(لا للتعري).. المقصود به هو ألا تجرّد الزوجان من اللباس بشكل كامل خارج السرير والممارسة كذلك. فهذا شيء منافٍ للأدب الإسلامي، لأنّ المسلم يُجلُّ الله تعالى والملائكة الكرام عن أن يروه كذلك، كما أنّه يؤمن أن هناك شياطين يرونه من حيث لا يراهم، وهم يتحيّنون فرصة إذايته. لكن يستطيع الزوج أن يبدأ في نزع ثياب زوجته خارج الفراش، أما تجريدها بشكل كامل فيكون داخل الفراش.

قال ابن يامون التليدي:

واحذر مِن الجماع في الثياب   فهو مِن الجهل بلا ارتياب
بل كل ما عليها صاح يُنزع   وكن ملاعباً لها لا تُفزع

---

1 . « فنون في غرفة النوم ».محمد حسان و آخران/ صـ 86/ . شركة مكتبة ألفا للتجارة و التوزيع. 1426ـ/2005.

قال محمد التهامي كنّون شارح هذا النظم: « أخبر رحمه الله أنّ من آداب الجماع أن لا يُجامع الرجلُ زوجتَه وهي في ثيابها، بل حتى تنزعها كلها وتدخل معه في لحاف واحد ».[1]

وسئل الإمام مالك رحمه الله: هل يجامع الرجل امرأته ليس بينه وبينها ستر؟ قال: نعم. قيل إنهم يروون كراهيته؟ قال: أَلْغِ ما يتحدثون به، قد كان النبي عليه السلام وعائشة رضي الله عنها يغتسلان عريانين، فالجماع أولى بالتجرّد.[2]

﴿ (ذكر الله عند الإيلاج).. جميل جدّاً ألا ينسى الزوجان وهما في غمرة النشوة والإثارة، الدعاء النبوي، فقد قال رسول الله ﴿ لو أنّ أحدكم يقول حين يأتي أهله: باسم الله، اللّهم جَنّبني الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقتنا. ثم قُدّر بينهما في ذلك أو قُضي ولد لم يضرّه شيطانٌ أبداً ﴾.[3] والغرض من هذا الدعاء يتجلّى هو أن يربط الزوجان علاقتهما الخاصة بالله تعالى، لكي يباركها فتثمر ثمراتها اليانعة في الدنيا والآخرة.

بهذا تكون لذة الزوجين مضاعفة أضعافاً كثيرة، لأنّه شتّان بين وصال يشعر فيه الزوجان أنّه ممتد من الروح إلى السماء، ووصال يشعران فيه أنّه محدود بحدود الجسد ومقهور بقيوده!

﴿ (الوضوء بين الجماعين).. قد يحدث أحياناً أن لا يشبع الزوج أو الزوجة أو هما معاً، بقضاء وطر واحد، فلا يجدان بُداً من معاودة الممارسة وبدء فصولها من جديد. والسنّة النبويّة تنبه الزوجين المسلمين في مثل هذه الحالة على أنّه يحسن بهما أن يتوضآ قبل المعاودة، وإن شاءا الغسل فلهما ذلك،. قال رسول الله ﷺ: ﴿ إذا أتى أحدكم أهله، ثم أراد أن يعود، فليتوضأ، فإنّه أنشط في العود ﴾.[4]

1 . (قرة العيون بشرح نظم ابن يامون). صـ 88/ دار ابن حزم/ ط 1، 2004/1425.
2 . (الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ). ابن أبي زيد القيرواني/ صـ 211.
3 . «صحيح البخاري»
4 . «صحيح ابن حبان»

ولا شك أن الوضوء بين الجماعين فوائد، منها: إفراغ المثانة من البول، وتركها ممتلئة فيه ضرر. وأيضاً الوضوء يجدد نشاط الجسم، فتكون المعاودة أنشط وأقوى. وكذلك يعمل الوضوء على تطهير الجهاز التناسلي من الإفرازات المنوية والمهبلية التي صاحبت عملية التهييج والقذف.

أما الغسل بين الجماعين، فقد اغتسل رسول الله ﷺ بين الجماعين، كما أنه طاف ليلة على نسائه جميعاً بدون أن يغتسل بين كل جماعين. والأمر واسع، ولله الحمد والمنّة.

(الاغتسال من الجنابة).. هذا الاغتسال واجب شرعاً على الزوجين المسلمين. قال الحق تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾.[1] وقال جل مجده: ﴿ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ﴾.[2] قال رسول الله ﷺ: ﴿ إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جَهَدَهَا فقد وجب الغسل، وإن لم ينزل ﴾.[3] وفي حديث آخر، قال رسول الله ﷺ: ﴿ إذا جاوز الختانُ الختانَ وجب الغسل ﴾.[4] الختان هو مكان ختان الرجل والمرأة. والمعنى إذا دخل قضيب الزوج في المهبل فقد وجب عليهما الغسل، سواء تم القذف أو لم يتم.

أما طريقة الغسل من الجنابة فهي: **(النيّة)**، لأنّ تمييز العبادات يكون بالنيّة القلبيّة. أي تنوي أن تغتسل امتثالاً لأمر الله تعالى. و**(الوضوء)**، أي تتوضأ وضوءك للصلاة، إلا الرجلين، من المستحسن تركهما آخراً، تفادياً لإهداراً للماء. و**(غسل جميع البدن)**، تُخلّل شعرك جيّداً، ثم تصب ثلاث غرف على رأسك، ثم تصب الماء على سائر جسدك. ثم تغسل قدميك.[5]

---

1 . المائدة/6

2 . النساء/43

3 . «صحيح البخاري». ومعنى شعبها الأربع أي الرجلان و اليدان. و جهدها بسبب حركات الإثارة و الدفع أثناء الإيلاج.

4 . «سنن الترمذي»

5 . «اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان». محمد فؤاد عبد الباقي/ جـ 1 صـ 159/ دار الآثار، ط 1/ 1425-2004.

فإذا فعلت هذا فقد أطعت ربك و طهّرت جسدك. وطبعاً هناك بعض الاختلافات الجزئيّة بين المذاهب الفقهية حول كيفية الغسل، وبكلٍّ جاءت السنة، لكن ما ذكرناه فيه كفاية.

(العلاقة الحميمة سرّ مقدس).. لقد بيّنا سابقاً قيمة وأهميّة الوصال الجنسي بين الزوجين. فمن أجل ذلك كان لزاماً على الزوجين أن يحطا هذه العلاقة بسياج من التقديس والتعظيم. ولئن كان واجباً عليهما الاعتناء بها من حيث التفنن فيها وتطويرها وإنمائها بينهما، فإن كتمان كل شيء يخصها عن الآخرين (أخت، صديقة، أخ، صديق) لا يقل أهميّة عن هذا الوجوب، تعظيماً لشأنها وتوقيراً لمعناها وتقوى لله تبارك وتعالى.

لكن، من المؤسف أن نعرف أنّ هناك كثيراً من الأزواج الجهال والزوجات الجاهلات، يتجرّؤون ـبدعاوى سخيفة وتبريرات واهيةـ على نشر أخبار علاقتهم الخاصة بين الآخرين (أخت، صديقة، أخ، صديق)! إلا أنّهم لا يدركون وخامة هذا التصرف الأحمق إلا بعد فوات الأوان! إذا إما أن يوصف الشريك بالسخونة الجنسية، فيستثار المستمع/المستمعة، وإما أن يوصف بالبرودة الجنسيّة، فتتشوه سمعته بين الناس!

والواقع يؤكد لنا أنّ كثيراً من الخيانات الزوجية حدثت لرجال أو نساء من طرف أخ أو صديق/ أخت أو صديقة، فتهدّمت بذلك بيوت وتفككت أسر وتشرد أطفال! ومبدأ ذلك هو كثرة الاختلاط والزيارات المتكررة، إذ من شأن ذلك أن يذيب الكثير من الحواجز النفسية بين الأطراف، ثم يتم الانتقال إلى التقارب العاطفي ولو من طرف واحد، ثم إذا لم يعصم الله تعالى، حدثت الفضيحة الكبرى!

(ابتلاع المني).. قد يحدث أن يتفق الزوجان على مداعبة العضو الجنسي فيهما، وفي هذه الحالة، لو أخذنا مداعبة الزوجة لقضيب زوجها كمثال، فإن هذه المداعبة التي تتم باليد وبالشفتين، تجعل الزوج يشعر بلذة ممتعة جدّاً فيلتزمها بقوة، رغبة في لذة أكبر، وقد لا ينتهي إلاّ

بقذف المني في فم الزوجة. وهذا من الناحية الشرعية لا يجوز لما فيه من الأضرار، والإسلام يبيح الطيّبات ويحرم الخبائث التي تؤذي الإنسان.

قال بعض الفقهاء: « يجوز تقبيل الفرج قبل الجماع ويكره بعده ». بسبب وجود الإفرازات المهبليّة الناتجة عن القذف والتهييج، وهو ما يسبب للطرف المقبِّل الأذى، إذ مكونات المني سواء مني الرجل أو المرأة كثيرة ومعقدة ومن ضمنها أملاح وأحماض، ولا شك أنّ ابتلاع سائل هذه مكوناته يعود بالضرر على المبتلِـع. فمن المهم عدم إطالة مداعبة العضو الجنسي، بل إن كان هناك اتفاق على ذلك، فلتكن مداعبة خفيفة.

(موانع الممارسة).. أباحت الشريعة للزوجين عمل أي شيء يمكن أن يحقق لهما النشوة الجِنسيّة والإشباع الكامل منها: الزمان، المكان، الوضعيّات، الأعضاء. غير أنّها قيّدت كل ذلك بثلاثة قيود، و هي: أن **(لا يكون الإيلاج في الدبر)**. وأن **(لا تكون الممارسة في فترة الحيض أو النفاس)**. وأن **(لا تكون الممارسة نهار شهر رمضان المبارك)**. ولذلك فوائد وحكم.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾.[1] ويقول الرسول ﷺ: ﴿ مَن أتى حائضًا أو امرأةً في دُبرِها أو كاهنًا فصدَّقه بما يقولُ فقد كفرَ بما أُنزلَ علَى محمَّدٍ ﴾.[2] ويقول الله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴾.[3] ومعناه أنه يُحرم في النهار. و لما كانت هذه الموانع شنيعة مرذولة، وجب على مرتكبها الكفارة.

1 . البقرة/222
2 . سنن ابن ماجة
3 . البقرة/187

إنّ سر النهي عن الإيلاج في الدبر، لأنّ الطباع السليمة تستقذر هذا الفعل وتستبشعه جداً، ولا يأتيه إلا من كان فيه انحراف وشذوذ، بفعل إدمان مشاهدة الأفلام أو المواقع الإباحية. ولذلك قام الإجماع بين أهل العلم بتحريم الإيلاج في الدُّبُر.[1]

وسر النهي عن الجماع في مدة الحيض والنفاس، فلأن المهبل لا يكون مستعداً لاستقبال قضيب الرجل والتفاعل مع سائله المنوي. كما أنّه يكون بيئة خصبة للجراثيم الضارّة للصحة. ولهذا فرضت الشريعة أن تغتسل المرأة من حيضها (إما غسلاً كاملاً أو وضوء فقط) قبل أن يحلّ لزوجها مجامعتها. وهذا النهي ليس نهياً عن اللمسات والقبلات، فذلك شيء لا حرج فيه، بل مهم وضروري لنفسيّة الزوجة. وقد كان يفعله رسول الله ﷺ.

يقول الطب الحديث: « مِن المسلّم به من الناحية الطبيّة أنّ مقاومة المرأة للأمراض تنقص إلى حدها الأدنى في أثناء الحيض، فتكون أكثر تعرّضاً للعدوى، إذا ما دخلت جراثيم الأمراض المهبلَ أو عنق الرحم، وهو أمر كثير الحدوث في الجماع. أما في غير أوقات الحيض، فإنّ هذه الجراثيم لا تستطيع الاعتداء على الجسم، نظراً لشدة مقاومته... وهو أذى للمرأة تكون في الحيض مضطربة الأعصاب، والجماع يحدث من الانفعال النفسي ما يزيد في هذا الاضطراب. وربما منع ذلك نزول الحيض، فتختل الدورة الحيضيّة بعد ذلك... وهو أذى للرجل لأنّه يعرّضه لالتهاب مجرى البول، إذا ما تسرّب بعض دم الحيض إليه، حاملاً معه جراثيم الأمراض، وقد يؤدي ذلك إلى امتداد الالتهاب إلى المثانة والحالبين والكليتين ».[2]

1 . « إجماعهم على أنّ للرجل أن يتلذذ من بدن الزوجة بكل موضع منه، سوى الدُّبُر، لأنّ وطأها فيه حرام، حائضاً كانت أو طاهراً، وعليه اتفق العلماء ». (موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي/ سعدي أبو جيب/ جـ 1 صـ 539/ دار الفكر، ط 1404/2-1984). وللتوسع أكثر انظر (موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي/ ظافر العمري/ جـ 9 صـ 405/ دار الهدي النبوي، ط 1/ 1433-2012).

2 . (الزواج المثالي). فان دي فيلد/ ترجمة محمد فتحي/ مؤسسة الخانجي. بتصرف يسير.

أما سرّ النهي عن الوصال الجنسي في نهار رمضان، فلأنّه لما كان الغرض من الصيام هو تخليص النفس من شهواتها و تدريبها على مصابرة غرائزها، وكان الجماع من أشهى اللذات للإنسان، جاء هذا التحريم ليتعلّم المسلم أن يكون إنساناً له إرادة قويّة وعزيمة قاهرة، فيكون عبداً لله تعالى وليس لشهواته وغرائزه النفسيّة.



ليلة الدخلة

أهمية ليلة الدخلة:

عندما تلم خاطرة ليلة الدخلة بالوجدان، ويداعب طائفها الفؤاد، فإنّها تُفيض فيه نشوة ماتعة، ولذة رائقة! وهي نشوة ولذة لا يزال كل شاب وفتاة يتمناها ويحلم بها، فلا يزال لذلك حريصاً على رسم صورة هذا اللقاء بألوان زاهية، تفوج أريجاً، فليلة العمر ميلاد جديد!

جدير بنا ـإذن ـ أن نخصص لهذا اللقاء المهم فصلاً خاصّاً، نتحدث فيه عن أهم ما يحسن بكل مقبلين على الزواج الإلمام به والبصيرة فيه. ونحن إذ نفعل ذلك، فلما لهذا اللقاء الحبيب من الآثار على نفسية وشخصية كلٍّ من الرجل والمرأة.

في الواقع، فإنّ هذا اللقاء لحظة فارقة في حياة الزوجين. فهو نقلة بعيدة من مرحلة قديمة إلى مرحلة جديدة، سيكون لها تاريخ خاص وأحداث خاصة. ومن هنا فذكرى هذا اللقاء تظل راسخة فلا تنسى، و صورته تبقى منقوشة فلا تمحى، جميلاً ممتعاً أم ذميماً رعيباً.

اللقاء الأول هو لحظة إثبات الشخصيّة وقيمتها. وغالباً ما تكون صورة كلّ طرف في نفس الآخر مكتسبة من هذه الليلة. فلا جرم أن تتداخل في هذا اللقاء مجموعة مختلفة من المشاعر المتضاربة، بين أمل جميل وتوجس حذر، وبين شوق عارم وتوجس قلق!

إذن من المفيد أن يحرص العروسان على أن يكون هذا اللقاء لقاءاً متميّزاً، فبقدر ما يكون كذلك بقدر ما سيفيدهما كثيراً في حياتهما الآتيّة بعدُ. فوجب على العاقل أن يحذر من أن يتحوّل هذا اللقاء البارز إلى صدمة عنيفة ونقطة سوداء كالحة في تاريخ علاقتهما الثنائيّة!

❁❁❁

تنبيهات مهمة:

من أجل ذلك سأضع تنبيهات ولطائف مهمّة، ستسهم ـبحول الله تعالىـ بشكل فعّال في تحقيق الهدف المنشود من هذه الليلة المباركة إن شاء الله تعالى:

- من أهم ما ينبغي أن يُحرص عليه في هذه الليلة الإكثار من الاستغفار والتوبة، فالزواج حياة جديدة، فلا بد من استقبالها بنفس طاهرة نقية وتجديد للعهد بالله تعالى.
- ينبغي على الزوج قبل الدخول بعروسه أن يتعلّم أهم ما يحسن به معرفته عن فن الجماع وآدابه ومنكراته، ليكون دخوله على بصيرة وعلم، فيبارك له في لقائه وزواجه. [1]
- إذا دخلت على عروسك، فلك أن تطلب منها أن تتوضأ لتصلي بها ركعتين. فالصلاة صلة بين العبد وربّه، والعبد فيها ـإذا صلاّها بخشوعـ تدفقت فيه دفقات السكينة.
- من الأدب النبوي أن تضع يدك على ناصية زوجتك وتقول سرّاً: ﴿ اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما جُبلت عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جُبلت عليه ﴾.[2]
- اللقاء الأول لحظة الرجل بامتياز. فهو الذي يجب عليه أخذ المبادرة في كل شيء لإذابة الحواجز بينه وبين عروسه. فخجلها وحياؤها يمنعانها عن كثير ممّا ترغب فيه
- لا توجد فتاة إلا وتكون قلقة من الفشل، خائفة من الألم الذي ينتظرها، جرّاء ما سمعت أو قرأت. فجميل جدّاً يا رجل أن ترفق بها وتتلطّف معها.
- حريٌّ بك ألاّ تنظر إلى زوجتك على أنّها فريسة يجب الانقضاض عليها، أو أنك في ساحة حرب إما أن تَغلب أو أن تُغلب! تجاوز الأفكار الجاهليّة التي تأمرك بذلك.

---

1 . قال الفقيه ابن عرضون ـمن فقهاء المالكية، توفي 992هـ: « ينبغي للزوج أن لا يدخل إلا بعد أن يتعلم جميع ما يتعلق بالدخول والجماع من الآداب والمحذورات، فيعمل بالآداب، ويجتنب المحذورات، فإن العلم إمام العمل، ويُعلّم زوجته ذلك ». (مقنع المحتاج في آداب الأزواج). جـ 2 صـ 629.

2 . «سنن ابن ماجة»

- تذكّر أنّك تستطيع مستقبلاً أن تفعل ما تشاء مع عروسك، فلا تستعجل، فكم من عجلة أورثت ندامة! فكن رفيقاً سهلاً، لتفهم أنها لم تخطئ في اختيارك.
- لك خياران: إما أن تستعجل فض البكارة، وهنا صعب أن تنسي زوجتك تصرّفك هذا. وإما أن تستأني بها وتُقدّر قلقها، وهنا من المحال أن تنسى موقفك البطولي.
- يوم الفرح يوم ضغط قوي وتعب مرهق، فكر في تأجيل الممارسة وفض البكارة إلى اليوم التالي، فمن أبجديات الممارسة الناجحة أن يكون الطرفان مرتاحين جسديّاً.
- أظهر لعروسك سرورك وفرحتك بها، لأنّ حلمك بالزواج من أميرة رائعة قد تحقق، وأنّك واثق بأنّ حياتك معها ستكون أروع قصة حب يمكن أن يؤلفها زوجان.
- ليس من الصواب أن تنتظر من زوجتك أن تكون في اللقاء الأول ـبل وحتى اللقاءات الأولى ـ متفاعلة معك كما تحب وتشتهي، بل اعذرها لخجلها وقلقها وحيائها.
- على العروس أن تبذل جهدها ـرغم القلق والتوتر ـ للتغلّب على حواجز الخجل والخوف، وأن تتجاوب مع قبلات زوجها ولمساته، فذلك يمنحه الثقة بنفسه.
- إذا قرّرتَ تأجيل الممارسة، فبعض الهمسات والقبلات، وبعض الدردشة اللطيفة، وتشبيك اليدين والتواصل العيون، مع إضاءة خفيفة بشموع رومانسيّة مفيد جدّاً.[1]
- يمكن أن تكون عمليّة فض البكارة سهلة وممتعة معاً، ولكن مع التصورات الخاطئة، قد تحول إلى عملية كئيبة ومحزنة، قد تكون تصل نتائجها إلى حد الفضيحة!
- هذه معلومات سريعة عن غشاء البكارة:
  - ✓ البكارة غشاء رقيق جداً يغلق بشكل شبه كامل فتحة المهبل.
  - ✓ غشاء البكارة أنواع: المطاطي، السميك، الرقيق، وغير ذلك.

---

1 . الخبراء اليوم يؤكدون «بصراحة ووضوح بأنّ المظاهر والتّعاطي غير الشفهي ـأي حركات الجسد وتعابير الوجه ـ لها أهميّة أكبر، وباستطاعتها أن تحقق بفعّاليّة أكبر نجاحك في التودد والمغازلة». (تأثير لغة الجسد). ليلى شحرور/ صـ 86/ الدار العربية للعلوم. 1430-2009.

- ✓ يسهم تقدم العمر في صلابة غشاء البكارة، لكنه مع ذلك يتمزّق.
- ✓ تتراوح مسافة الغشاء بين سنتيمترين إلى سنتيمترين ونصف نحو داخل المهبل.
- ✓ يتمزّق غشاء البكار بسهولة، زلا يكاد العروس تشعر بوخزة تمزقه في غمرة اللذة.
- ✓ كميّة الدم الناتج عن فض البكارة قليلة، وليست شلالاً كما يتصور كثير من الشباب.
- ✓ الألم الفظيع أو النزيف الدموي، ليس بسبب الفض في ذاته بل بطريقة الممارسة.

- التركيز على فض البكارة يولد بين الطرفين توتراً حاداً وقلقاً كبيراً، بل يجب أن يكون التركيز كله على قضاء لقاء جميل وممتع، ليظل ذكرى خالدة في الوجدان.
- من الخطأ استعجال فض البكارة قبل أن تهيّيج العروس إلى أقصى ما يمكن، فذلك من شأنه أن يُفقدها المقاومة اللاشعورية، كما يحملها على التفاعل الإيجابي مع الزوج.
- اعتقاد الزوجة بأنّها ستشعر بآلام قاسية جدّاً يجعلها تقاوم بقوة زوجها. هذه المقاومة تُولّد في الزوج رغبة كسر التحدي، فيندفع بقوة وعنف لإثبات أنه قوي!
- أفضل وضعية لفض البكارة هي الوضعية الطبيعية، أي استلقاء الزوجة على ظهرها، لأنّ المهبل يكون منفرجاً جداً، فيسهل الوصول إلى الغشاء.[1]
- بعض النساء يولدن بلا غشاء أو يكون غشاؤهن من النوع السميك أو المطاطي فيحتاج فضه إلى وقت ليتمزّق، و قد لا يتمزّق إلا بالولادة. فاحذر أن تقذف زوجتك.
- بعد الانتهاء، من المفيد تحسيس عروسك بفرحتك وسعادتك، امنحها بعض الضمات والقبلات، وامدح جمالها وإغراء جسدها، فهي محتاجة لذلك جدّاً.

---

[1] . «إنّ العروس عندما تنام على ظهرها وتبدأ في الشهيق ببطء حتّى تمتلئ البطن بالهواء، ففي هذه الحالة تقصر قناة المهبل ويخفض جداره إلى أقصى درجة ممكنة، ليلتقي بعضو التذكير عند دخوله إليه بما يساعده على تحقيق أقصى اختراق ومداعبة النقطة الحساسة داخل المهبل في مكان وسط عظم العانة وعنق الرحم. والنصيحة الذهبية لكل عروس في ليلة العمر هي أنّ الاسترخاء الكامل، مع التفاعل في نفس الوقت مع الزوج كفيل بتحقيق النشوة الجِنسيّة القصوى في ليلة العمر، وما بعدها من ليالي الحياة الزوجيّة المديدة ». (فنون في غرفة النوم).محمد حسان و آخران/ صـ 81/ 1426-2005.

- احذر أن تسعى لمجامعة زوجتك على الأقل في اليومين اللاحقين ليوم فض البكارة، فإنّ ذلك قد يسبب لها مضاعفات أنتما في غنى عنها، فانتظر قليلاً قبل مجامعتها مجدّداً.

أعتقد أنّ هذه الإشارات والتنبيهات كفيلة بمساعدة كل عروسين على قضاء ليلة العمر أو اللقاء الأول بينهما بشكل جيد ورائع. لكن، من المؤكد أن هذا لا يمكن أن يتحقق ما لم يتحرر العروسان من كثير من التصورات الخاطئة والأوهام الشائعة!

إنّ فض البكارة ليست بالنسبة للأنثى عملية جسدية وينتهي الأمر عند ذلك! بل إن هذا الفعل "فض البكارة" له ارتباطات بنفسيّتها ودلالات قوية بالنسبة لها، فمن المؤكد أن الأنثى بعد فض بكارتها تتغير عما كانت قبل تلك اللحظة. بالنسبة لها، فإنّ فض البكارة يعني أنها صارت الآن امرأة مسؤولة، كما يعني أنّ حياتها صارت لها أبعاد أخرى. ولأجل كل هذا، ينبغي على الزوج أن يحسن التصرف مع عروسه في أول لقاء يجمع بينهما.



فنون الإغراء

إيجابيات الإغراء:

يمكننا أن نقول أنّ من بين أهم العناصر التّي تجعل الحياة الزوجية مستقرّة ومترابطة، سعيدة ومثيرة، إتقان الزوجان لفنون الإغراء بينهما! ولكن من المؤسف أن نعترف بأنّ الواقع يؤكد على أنّ جمهور الأزواج لا يعيرون هذه الناحية اهتماماً!

منهم من يعتبر فن الإغراء عبثاً باطلاً لا يليق بالجادين! ومنهم من يتصور أن الإغراء هو تلك الدقائق المعدودة في الفراش! ومنهم من يتذرّع بضغوط الشغل ومشاكل البيت والأطفال! ومنهم من يمارس الإغراء فقط في الأشهر الأولى من الزواج، ثم يصاب بالبرود!

إلى آخر هذه الأسباب والمبررات الواهية التي تؤكد على وجود خلل في فهم العلاقة الزوجيّة وأهدافها وكيف ينبغي أن تكون! لقد أكّدنا مراراً على أنّ الإسلام لا يريد علاقة زوجيّة ميّتة، بل علاقة تنبض بالحياة وتتدفق بالمودة والرحمة وتفيض بالراحة والسكينة، ولا شك أنّ هذه الغاية النبيلة لا يمكن للزوجين أن يحققاها، ما داما مُهملين لفنون الإغراء بينهما!

وإنّي لأعجب لزوجين متديّنين لا يعرفان ولا يهتمان بفن الإغراء الزوجي، رغم شعار (غايتنا أسرة صالحة واللقاء في الجنة)! علماً أنّ العناية بهذا الفن لا يراد منها إشباع الغريزة الجنسيّة فقط، أو الحفاظ على كيان الأسرة فقط، بل لأنّ ذلك مقتضى حق الإعفاف المأمور به شرعاً.

وإذا كان فن الإغراء حين يُذكر، يسبق الذهن إلى ما له تعلّق بالجماع ومقدماته، كما سيأتي تفصيله بعد قليل، فإن أحد عوامل تحقيق الإغراء لفاعليّته، هو النظافة والزينة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في مواضع. وهو أمر مطلوب ومرغوب في الزوج كما في الزوجة.

ولأنّ الرجل هو القائم على زوجته، كما أنه يرغب في رؤيتها جميلة ومثيرة، فهذا يوجب عليه بالضرورة ألا يكون بخيلاً معها في اللباس والعطور والحلي، إذ لا معنى أن ينتظر الزوج من زوجته حسن الزينة وروعة المظهر وهو يرفض أن يشتري لها ـ والأفضل أن يعطيها المال لتشتري بنفسها ما يحلو لها، فذائقة الأنوثة فيها أرق وأعذب وأقوى من ذائقة الرجل ـ ما يجعلها كذلك من ألوان الثياب والعطور والحلي!

وإنما نقول هذا، لأنّه « لا خفاء في أن الحلي والحلل تكتسب بهما المرأة جمالاً، وإن لم تكن تامة الجمال في أصل الخلقة، بل يقدح عدم الحلي والحلل في المرأة التامة الجمال، فالتزين للمرأة مطلوب شرعاً وطبعاً ».[1] وليست هذه دعوة للتكلّف واستنزاف ميزانية المصروف الشهري من أجل لباس الزوجة وعطرها وما تعلق بزينتها، بل إن الدين والحكمة والوعي الناضج يؤكد على ضرورة الاعتدال في كل شيء، و ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾.[2]

أما الزوجة، فواجب عليها شرعاً وعقلاً وعُرفاً أن تعتني بجمالها وزينتها وكل ما له دخل في إظهارها جميلة ومثيرة لزوجها. فـ « الزينة من حق النساء الواجب عليهن، فينبغي للمرأة أن تكون مواظبة على الزينة والنظافة والملاطفة، عارفة بكل ما تزيّن به نفسها وتنظفها من ظاهر وباطن، ذات بصر بألوان الثياب واللباس والألوان التي إذا لبسها أشرفت بها، فإنّ ذلك أدعى لشهوته، وأملأ لعينيه، وأدوم للألفة بينهما والمودة، وأظهر لمحاسن المرأة عند الرجل ».[3]

والزوجة الذكية تعرف كيف تدبر أمور زينتها باقتصاد، فالإسراف مذموم شرعاً وعقلاً وعُرفاً، عكس ما تتوهمه بعض النساء حين يربطن الزينة بالإسراف في شراء الثياب واللباس.

وبعد هذا، فلنذكر بعض أهم وأبرز الإيجابيّات والفوائد للإغراء بين الزوجين:

---

1 . « مقنع المحتاج في آداب الأزواج ». أبو العباس ابن عرضون/ جـ 2 صـ 615.

2 . البقرة/286

3 . « مقنع المحتاج في آداب الأزواج ». أبو العباس ابن عرضون/ جـ 2 صـ 619.

- **(الإحساس بالقيمة والتقدير الذاتي)..** لأنّ الزوجين بممارسة فنون الإغراء يشعران بالقدرة على العطاء والإشباع والتّفاعل الثنائي. وهذا يؤثّر بشكل إيجابي عليهما.
- **(الإحساس بالسكينة والتوازن النفسي)..** لأنّ الزوجين بممارسة فنون الإغراء يُشبعان لبعضهما الاحتياجات العاطفيّة والجنسيّة. وهذا يمنحهما ارتياحاً نفسيّاً دائماً.
- **(فسح المجال لتجديد التعبير عن الحب)..** لأنّ الزوجين بممارسة فنون الإغراء يتيحان الفرصة لبعضهما للتعبير عن الحب بينهما بقوالب متجددة ومبتكرة.
- **(تقويّة الروابط العاطفيّة والنفسيّة)..** لأنّ الزوجين بممارسة فنون الإغراء هما في الحقيقة يتقرّبان لبعض أكثر، ليشعر كل واحد منهما أنه مركز الاهتمام والتفكير الدائم.
- **(حفظ العلاقة الزوجية من التدهور)..** لأنّ الزوجين بممارسة فنون الإغراء هما في الواقع يعملان على الاعتصام من الآلية المدمّرة، فالحب زهرة تحتاج للسقي المتواصل.
- **(تحقيق مقصد الزواج الأعظم)..** لأنّ الزوجين بممارسة فنون الإغراء يساعدان بعضهما على الحصول على الإعفاف الكامل، وبالتالي عبادة الله تعالى وذكره بنفس مطمئنة.
- **(التحسيس بالرغبة في البقاء معاً)..** لأنّ الزوجين بممارسة فنون الإغراء يبرهنان لبعضهما على وجود رغبة قوية في البقاء معاً، وهذا يوُلّد فيهما طاقات هائلة من الفعّالية المتبادَلة.
- **(تنشئة أبناء أسوياء وصالحين)..** لأنّ الزوجين بممارسة فنون الإغراء يعملان بشكل غير مباشر على تنشئة أبنائهما بشكل سليم، فطبيعة علاقة الأبوين تنعكس على الأبناء.

إذا تأملتَ هذه المعاني والتنبيهات، تأكد عندك أهميّة وضع الزوجين فن الإغراء ركيزة أصيلة في خطط توطيد علاقتهما وتماسك أسرتهما. لكن، ها هنا إشارات مهمة:

1. **الإغراء لا يقتصر على فترة الشباب فقط**، بل يشمل مراحل العمر كلّها. رغم أنّ لكل مرحلة عمريّة إغراءها اللائق بها والذي يضفي عليها مذاقها الخاص وميزتها المتفرّدة.

2. **الإغراء يختلف من شخص إلى آخر**، لأنّ أذواق الناس تختلف، وهذا يحتّم على الشريكين دراسة بعضهما بشكل متواصل لمعرفة الأساليب التّي يمكن أن تؤثر عليه بشكل فعّال.
3. **الإغراء لا يقتصر على الزوجة فقط**، بل يجب على الزوج كذلك، إذ لا معنى للإغراء إلا أن يكون متبادَلاً، تمارسه الزوجة بطريقة الأنثى، والزوج بطريقة الرجل.
4. **الإغراء لا يعني عدم تقدير ظروف الشريك**، فالإنسان لابد أن تكتنفه لحظات ضعف أو سوء مزاج. ولهذا يجب أن نفهم أن شريكنا ليس ممثل إغراء بدون توقف.
5. **الإغراء موهبة فطريّة في كل إنسان**، وهب الله تعالى كل إنسان نصيباً من الجاذبيّة التّي تلفت انتباه شريكه إليه. إلا أنّ المواهب الفطريّة تحتاج للصقل والتطوير الدائم.
6. **الإغراء لا يحصر في الجسد**، لأنّ الإنسان متعدّد الأبعاد والجوانب. وقصر الإغراء على الجسد مع إهمال الجانب الوجداني والنفسي، لن تكون له نتائج مرضية كثيراً.
7. **الإغراء الأنثوي أهم وأقوى**، رغم توكيدنا على ضرورة أن يمارس الرجل دوره في الإغراء، إلا أن الزوجة مدعوة لذلك أكثر بسبب جاذبية الطبيعية ورقّتها أنوثتها.
8. **الإغراء المتكامل أكثر فاعلية**، رغم أن الإغراء المباشر مهم وضروري، إلا أنّ الإغراء غير المباشر بالعيون ونبرة الصوت والحركات والإيماءات، له فاعلية شديدة جدّاً.
9. **الإغراء المباشر وغير المباشر لا يعني الجماع**، أحياناً يُفضل الشريك فقط المداعبة اللطيفة والإثارة الخفيفة والغزل العذب دون الجماع، فوجب الانتباه تفاديّاً لسوء الفهم.

ما ذُكر آنفاً يرسم للقارئ صورة واضحة حول فوائد الإغراء وأهميّته في العلاقة الزوجيّة.

❁❁❁

توجيهات وأمثلة:

لقد ذكرنا أنّ الزوجة ينبغي أن تعي أن دورها في عملية الإغراء أهم من الرجل، بحكم أنّ أنوثتها و طبيعتها تساعدها على ذلك بشكل فعّال. و لهذا نقدم لها إرشادات مفيدة:

- **كوني بسيطة، لكن مثيرة:** البساطة تُشعر الزوج أن زوجته واثقة جدّاً من فاعلية جمالها و إغراء أنوثتها. أما التكلّف فيدل على فقدان الثقة أو التمثيل البارد فقط.
- **دعيه يشعر أنّك تتحدي مقاومته:** بعض الرجال يتحدون عمداً إغراء الزوجة لإثبات مقاومتهم، فلا تيأسي ولا تتراجعي، فالرجل يكره الزوجة الضعيفة المستسلمة.
- **إلعبي مع زوجك لعبة الكر والفر:** مرّة يشعر أنّك لا تقدرين على الاستغناء عنه، ومرة يشعر أنّك تبتعدين عنه، لكن لمدة قصيرة. هذه الخطة استفزاز لرجولته وجاذبيتها.
- **مرات لا تكوني لطيفة ظريفة:** الرجل بطبعه يحب الزوجة التي تجيد الدلال والدلع معه، لكنه يفضل أحياناً أن تكون جريئة في إثارته، مندفعة في تهييجه.
- **كوني له كلَّ النساء:** برهني لزوجك على أنّك امرأة مختلفة من طراز خاص، أنثى تتفجّر أنوثة وعذوبة. سيظل يحنّ إليك في كل لحظة حنين الطفل إلى أمه الرؤوم.
- **تذكري جيّداً أن رأسمال الأساسي للمرأة الشابة هو جسدها:** هذه حقيقة رغم كل المزايدات السخيفة. ولهذا اعتني جيّداً بجسدك وحيويّته وجماله وإغرائه.
- **من الخطأ إغفال دور نبرة الصوت ونظرة العين وحركات الأعضاء:** نعم اللباس والعطر لهما أهميّة كبيرة، لكن لغة الجسد لها دور كبير في عملية الإغراء الفعّال.[1]

1 . « لقد أثبتت الأبحاث التّي قام بها العديد من العلماء أنّ الاتصالات البشريّة تحدث دائماً باستخدام الحركات، الوضعيات والمسافات أكثر من لغة الكلام » (تأثير لغة الجسد). ليلى شحرور/ صـ 15. « أظهرت الدراسات أنّه يتم نقل 7% فقط مما يتبادله النّاس من المعلومات من خلال الكلمات نفسها، ويتم توصيل 38% من خلال نغمة الصوت. ويعتبر الجزء الأكبر من تبادل المعلومات الذي يقدر بنحو 55% نتيجة للغة الجسد. إنّ تعبيرات الوجه والإيماءات وصفة ونوع حركات الشخص تمدنا بشأن ما يقوله أكثر مما تمدنا به كلماته نفسها » (كيف تكون نجماً اجتماعيّاً). إبراهيم الفقي/ صـ 36.

- **تذكري أنّ الرجل يستثار بشكل قوي وفعّال من عينيه.** فكلّما كانت التأثير على بصره قويّاً، كلما فقد مقاومته لك. وقلب الرجل في عينيه، فابحثي عنه فيهما.

غير أنّ كل هذا كله ـ وإنّما ذكرنا تنبيهات فقط ـ لا يمكن أن تحققه الزوجة ما لم تكن عارفة بشخصيّة زوجها وطباعه. إذ لا يوجد شيء يمكن إتقان استعماله بدون معرفة تفاصيله وطرق تشغيله وأهداف مكوناته، كما سبق أن نبّهنا على هذا المعنى في أكثر من موضع.

ومع كل ما سبق، أرى من المفيد وضع بعض نماذج وأمثلة لفن الإغراء للقياس عليها.

للزوجة:

- ✓ عند قراءته لكتاب، مشاهدته للتلفاز، تصفحه للإنترنت، البسي قميصاً ضيّقاً مع تنّورة قصيرة، وتعمدي الجلوس بقربه بدون أن تكلميه، سيشتعل تلقائيّاً.
- ✓ استأذنيه في الذهاب لشراء ملابس داخليّة جميلة. هذا سيثير خياله الجنسي وسينتظر عودتك أو عودته على أحر من الجمر. ثم جرّبيها في حضوره وتعمدي الاحتكاك به.
- ✓ كلمة آه، بنبرة رقيقة ودافئة لها تأثير سحري على الزوج لا يقاوَم، فاحرصي أحياناً على التأوّه بطريقة جذابة مع تغميض مقلتيك إذا اقترب منك، فهذا سيهيّجه عليك.
- ✓ قُبيل النوم تعمدي أخذ زينتك وإظهار مفاتنك حين تواجده معك، لكن ببطيء شديد، سيطلب منك الإسراع، لكن لا تستجيبي له، بل دعيه ينتظر قليلاً.
- ✓ عند إيقاظه من النوم انفخي نَفَساً دافئاً في أذنه مع كلمة رقيقة (طفلي الصغير، حبيبي الوسيم.. إلخ)، ثم مرري يدك الناعمة على صدره وبطنه.
- ✓ عند النوم أظهري أنّك حزينة وتشعرين بالإحباط. ثم أخبريه بنبرة حزينة لأنّه لم يقبّلك نهاراً كفاية أو لم يعانقك كعادته أو لأنّه يرفض أن تنامي في حضنه.

للزوج:

- ✓ دعها تختار لك ملابسك الداخليّة وأنواع عطورك، فهذا سيعطيها الإحساس بتملّكها لك واستبدادها بمشاعرك وأحاسيسك، وهو بلا شك شعور فعّال ومريح بالنسبة لها.
- ✓ استغل تواجدها مثلاً في المطبخ أو وهي تعمل شيئاً في الصالة أو غرفة النوم وأمسكها من خصرها مع مداعبة خصلات شعرها وصفحة رقبتها بقبلاتك وهمساتك الرقيقة.
- ✓ أحياناً وأنت تقرأ كتاباً أو تشاهد التلفاز أو تتجول في الإنترنت، دعها ترى هذا منك، ثم بعد لحظات نادي عليها وأجلسها على فخديك، ثم همسات ولمسات وقبلات.
- ✓ استغل تصرّفاً منها لم يعجبك كتأخرها في الرد عليك، وأخبرها بنبرة جادة أنّها أزعجتك، ولهذا قرّرتَ الانتقام منها ليلاً في الفراش. ستثير خيالها الجنسي وشوقها إليك.
- ✓ استغل فرصة الدردشة معها، وشاغبها بقبلاتك وغمزاتك وكلماتك العاشقة. ستجعلها تشتاق للحوار معك في أي شيء لتكون قريبة منك وتنال تلك المتعة والمشاعر الجميلة.
- ✓ من أعظم ما يغري الزوجة بزوجها ثباته على مجموعة من العادات الجميلة معها، كتقبيل يديها أو شفتيها عند الخروج إلى العمل، إكثار عناقها خلال اليوم، مداعبتها قبل النوم.

فتأمل لو أن زوجين حرصا على مثل هذه التوجيهات والالتزام بها في يومياتهم، أليس تكون حياتهم الثنائية والأسرية مطبوعة بطابع الاستقرار والتفاهم والحب والرحمة والمشاعر الدافئة، رغم ما قد يتخلل كل ذلك أحياناً من نقاشات وخلافات!

❁❁❁

مراكز الإثارة:

عادة ما يرتبط الإغراء بالرغبة في الجماع. ولأنّ هذه الممارسة عنصر جوهري في استقرار العلاقة الزوجيّة، كما قلنا سابقاً، ينبغي إذن أن نتحدث عن الجماع وشيء مما يتعلّق به.

متعة الوصال ونشوته ترتبط ارتباط وثيقاً بمدى معرفة الزوجين بمراكز الإثارة في جسديهما. إذ إنّ الجهل بذلك لا شك أنّه يحرمهما من دفقات عالية جداً من اللذة المنعشة والمتعة الجميلة.

من الجميل -إذن- أن يسعى الزوجان لفهم مراكز الإثارة ومساراتها في جسديهما، حتى يستطيعا تحقيق الإثارة المثلى لبعضهما، وهو ما يمنحهما دفقات عالية من المتعة.

إنّ الزوجين الذكيين لا يبحثان عن الآلية في الممارسة، بل ينشدان إثراء المشاعر المشتركة بينهما. كما ينشدان تحقيق الإعفاف الكامل لبعضهما لنيل الأجر العظيم عند الله تعالى.

لكن، ينبغي التنبيه والتوكيد على أنّ معرفة مسارات الإثارة تحتاج لشرطين: (**تكرار الممارسة بشكل منتظم**)، و (**الحوار الصريح و الفعّال حولها**).

في الحقيقة هناك خمس مناطق كبرى مشتركة بين جسم الرجل وجسم المرأة، تُشكل بمجموعها شبكة الإثارة فيهما، نرسمها على النحو التّالي:

(**منطقة الأذن**)، (**منطقة الشفتين**)، (**منطقة العنق**)، (**منطقة الصدر**)، (**منطق الفرج**). فهذه المناطق الخمسة تُهيّج الرجل والمرأة على حد السواء.

غير أنّ جسم المرأة يختلف عن جسم الرجل، فمن الطبيعي أن يزيد عليه في نقاط الإثارة وهيجان، وهي: (**الرقبة**)، (**سرّة البطن**)، (**باطن الفخذين**)، (**صفحة الظهر**). وبالمجمل فجسم المرأة كله مراكز إثارة، وإن كان بعضها أشد إثارة واستثارة من بعض.

ثم، في إطار الحديث عن مراكز الإثارة الجنسيّة، لابد أن أشير إلى منطقة بالغة الأهميّة في تحقيق الإثارة وبلوغ ذرة النشوة الجنسيّة للمرأة، وهي منطقة يغفل عنها كثير من الأزواج، أعني المنطقة المصطلح عليها ب (الجي سبوت/ G-Spot). وهذا تعريف سريع بها:

- ✓ هي منطقة تتواجد على السطح العلوي داخل المهبل، على مسافة تعادل تقريباً أصبع السبابة أو الوسطى، أي حوالي خمس سنتمترات.
- ✓ هي عبارة عن مجموعة ألياف تُشكِّل نتأً مُكوَّراً. ويكون ملمسها خشناً قليلاً، ولهذا يختلف عن باقي مكونات جدار المهبل.
- ✓ لا يمكن أن تكون جاهزة للاستثارة، وبالتّالي إعطاء الزوجة الشعور باللذة والنشوة القصوى، إلا بعد مدة لا بأس بها من التهييج الكامل لجسد الزوجة.
- ✓ تحتاج إلى مدة كافية من المداعبة والتهييج. ولأن قضيب الزوج لا يصمد لمدة طويلة، يُستحسن الاستعانة أوّلاً بأصبع السبابة أو الوسطى، بإدخاله معقوفاً قليلاً إلى الأعلى.
- ✓ هذه المنطقة قريبة من القناة البوليّة، ولذا فعند إثارتها بقوة تشعر الزوجة ـإضافة إلى الرعشات اللذيذةـ برغبة في التّبول، ولهذا ننصح الزوجة بالتّبول قبل الممارسة.
- ✓ تساعد هذه المنطقة على إيصال المرأة إلى نشوة اللذة أكثر من مرة في اللقاء الواحد، وهذا حلٌّ ناجع للزوج المرهق من الشغل، أو الذي يعاني من سرعة القذف.

وبعد: فإنّ أفضل منهج لإثارة هذه المراكز المختلفة في الجسم والوصول بها إلى ذروة النشوة اللذيذة، هو ما يمكننا تسميته بأسلوب (التشويق الهادئ أو التدرج المثير). وأعني به أن يبدأ الرجل عمليّة الإثارة من أعلى مراكزها في جسم زوجتك، ثم تنزل قليلاً قليلاً. وأنّ يبدأ هذا النزول بالإثارة الهادئة ثم التدرج نحو الإثارة العميقة، و بإثارة من الأطراف أولاً نحو المركز.

فمثلاً: قبلات الشفتين تبدأ خفيفة، ثم مصّهما، ثم شفط رضاب الفم، ثم مداعبة اللسان باللسان، ثم إطباق الشفتين على بعضهما. وقبلات ولمسات النهدين، تبدأ من صفحة الصدر الأعلى، ثم النزول إلى محيطهما، ثم الاقتراب من الحلمتين، ثم التركيز عليهما تقبيلاً ومصّاً. ثم معاودة الكرّة مرة و مرتين، بهذا تشعر الزوجة بقمة الاستثارة ودفقات الهيجان.

إنّ فهم مراكز الإثارة في شريك الفراش يأتي مع الحوار والتكرار، إذ ليس كل ما يحبه فلان بالضرورة يحبه كل الرجال، وليس كل ما تحبه فلانة بالضرورة تحبه كل النساء. فقد تجد امرأة تعشق قبلات الشفتين أكثر من قبلات النهدين، وقد تجد امرأة تفضل النهد الأيمن أكثر من النهد الأيسر، وهكذا. كما أنّ تصريح أحد الطرفين بأنّه يعشق التركيز على المنطقة الفلانيّة لا يعني إهمال باقي المناطق، بل يجب إعطاء كل مناطق الجسم حقها من القبلات واللمسات والإثارات، مع التركيز على المنطقة التّي يفضّلها كلّ طرف.

❁❁❁

ركائز نجاح الجماع:

إذا كانت السعادة الزوجية والاستقرار الأسري يستحقان كل ذلك المجهود الضخم، ليس فقط لجلب المتعة المنعشة أو توطيد آصرة الحب، بل أيضاً لأنّ ذلك هو ما يحقق الإعفاف الكامل كما أمر الله تعالى. إذ كم جنى الظمأ الجنسي على البيوت من كوارث فظيعة ومآسي مرعبة! ويكفي أن نعلم أنّ « 70% من المشاكل الأسريّة التّي غالباً ما تنتهي بالطلاق، تكون غالباً رد فعل طبيعي على الفشل في تحقيق كل طرف لذاته خلال هذه العلاقة الحميمة ».[1]

إذا كان الأمر كذلك، فما هي ركائز الجماع الناجح؟ يمكننا تلخيصها في ثلاث، وهي:

(صورة الوصال)

إنّ طبيعة النظرة للوصال الجنسي بين الزوجين هي التّي تحدد مساره، وترسم شكل ممارسته، والغاية التي يمكن أن يرتقي إليها بينهما، ومقدار اللذة التّي يمكن أن يفوزان بها. فعندما ينظر الزوجان للممارسة الحميمة بينهما على أنّها عنصر مهم في تحقيق الاستقرار والسعادة الزوجية والأسرية، فلا شك أنّ ذلك يحملهما على الاعتناء بهذا اللقاء والتجديد فيه والتسامي به.

---

1 . « فنون في غرفة النوم »ص 11.

أما عندما ينظران إلى هذا اللقاء على أنّه شيء عادي جدّاً، لا أهميّة له إلا بمقدار تفريغ شحنات الشهوة أو إنجاب الأطفال، كيفما كانت الممارسة وكيفما اتفق اللقاء، فلا شك أنّ ذلك يدفع بهما لإهماله وعدم المبالاة به، وبالتّالي لا يزالان في كلّ مرّة يحطان به إلى حضيض الآلية والبرودة والجفاف. ومع مرور الوقت ينضب معين المشاعر والأحاسيس!

أما في الإسلام، فنجد الدعوة واضحة صريحة لاعتبار اللقاء الحميمي عبادة يتقرّب بها الزوجان المسلمان إلى الله سبحانه. يقول الرسول ﷺ: ﴿ في بُضع ـالجماعـ أحدكم صدقة. قالوا: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له عليها أجر؟! قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجراً ﴾. و هذا يوجب على الزوجين إعادة النظر للجماع بينهما.

في هذا السياق أحب أن أشير إلى الخطأ الفادح الذي يرتكبه بعض الملتزمين، وهو إهمال الزوجة جنسيّاً، فتراه لا يقربها إلا بين فترات متباعدة، تارة بدعوى الاشتغال بالدعوة، وتارة بدعوى الاهتمام بما هو أولى، وتارة يحتج ببعض كلام السلف على غير ما أرادوه وقصدوه! وقد اتفقوا على عدم جواز الإضرار بالزوجة بعدم مضاجعتها وإعطائها حقها في الجماع. وليس من الالتزام في شيء أن يضر الزوج بزوجته ويحرمها رغبتها الفطريّة! ويوم كان المسلمون يفقهون جيّداً معنى الالتزام كان الرجل منهم تكون له الزوجتين وأكثر، وهو قائم بواجباته تجاههن، ويعتبر ذلك من الدين والاحتساب عند الله سبحانه، عكس ما يتوهمه اليوم بعض الملتزمين، من ذوي النظر القاصر والورع البارد!

دخلت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهي باذّة الهيئة، فسألتها عن شأنها، فقالت: إن زوجي قد تبتّل، يصوم النهار ويقوم الليل، فذكرت عائشة رضي الله عنه ذلك لرسول الله ﷺ، فلقي رسول الله ﷺ عثمان، فقال له: ﴿ يا عُثمانُ إنَّ

الرَّهبانيَّةَ لَمْ تُكتَبْ علينا أمَا لكَ فيَّ أسوةٌ حَسَنةٌ ! فواللهِ إنِّي لَأخشاكم للهِ وأحفَظُكم لِحدودِه﴾.[1] فواجب على الملتزم العاقل أن يراعي حق زوجته ورغبتها وشهوتها.

(فضاء الوصال)

لكي يحصل الزوجان على جماع ممتاز وممارسة ممتعة؛ لابد من مراعاة أجواء المكان والزمان، وأنها تساعد فعلاً على تحقيق هذا الهدف النبيل. ولذا وجب على الزوجة _لأن لمسات أنوثة فيها تستطيع ذلك بسهولة_ أن تولي اهتمامها الكبير لغرفة النوم، لإحداث أجواء رومانسية ودودة ومثيرة، فالنفس البشريّة تحنُّ أبداً للمكان الهادئ، المريح والنظيف.

إن نظافة غرفة النوم، ونوعية فراش السرير، وتعطير الأجواء، والإضاءة الخافتة،[2] واختيار الوقت حين لا يكون الطرفان أو أحدهما مرهقاً جدّاً، والحالة النفسية حين لا يكون الطرفان أو أحدهما في حالة مزاج سيئ. كما أن نظافة الجسم، خصوصاً مواطن الرائحة الكريهة، كالفم، والإبطين، والفرج. كل هذا لا شك أن ينشئ أجواء مثيرة ومغرية بالجماع.

وليتذكر الزوج أن زوجته تحب هي الأخرى أن تراه وسيماً ونظيفاً ومتعطّراً.

(فن الوصال)

لا يمكن الحصول على ذروة النشوة الجِنسيّة قبل أن يتفنّن الزوجان في التفاعل مع بعضهما بعضاً قبل وأثناء و بعد الممارسة. لأنّه لا يوجد شيء في الحياة لا تأخذ منه إلا بقدر ما تعطي مثل الجماع مع شريك حياتك. والفاعلية الجنسية هي التي تشمل الجسد والنفس معاً، بحيث لا

---

1 . « صحيح ابن حبان»

2 . الظلام الدامس يُفقد الجماع حلاوته ومتعته، ويُحوِّله إلى ممارسة حيوانية. والإضاءة الساطعة تشتت الذهن وتُفقده القدرة على التركيز. ولهذا يجب اختيار الإضاءة الخافتة لأنّها توحي بالرومانسية الفاتنة وتُهيّج الرغبة بشكل قوي.

تطغى إثارة الجسد على إثارة الوجدان. ولذا نشدد أن يعطي الزوج كل جزء في جسم زوجته حظه الوافر من التقبيل والتهييج، وفي الوقت نفسه يشبع روحها بالغزل والإطراء.

وفي المقابل نؤكد على أهميّة دور الزوجة في إنجاح الممارسة الحميمة، فالزوج حتى وإن كان خبيراً بفن الجماع، لكن الزوجة لا تساعده ولا تتفاعل معه، بل تظل مدة الممارسة جامدة ساكنة، بلا حركات، بلا لمسات، بلا تأوهات، فمن المؤكد أن ذلك بقدر ما سيغرس في الزوج بذور النفور من هذا اللقاء البارد الجاف، بقدر ما سيوصل إليه رسالة سلبية مفادها (لا أريد الممارسة معك، فمن الأفضل أن تتركني وشأني).

وبعد: هناك فكرة رائجة بين شريحة من الأزواج الشباب، مفادها أن الممارسة بدون رغبة فعليّة من أحد الطرفين يُبطل مفعولها ومعناها، بل يُشعر الطرف غير الراغب فيها بعدم القيمة والتقدير، وأنّه مجرد آلة لتصريف الشهوة، كما يجعله يشعر بأنّ الآخر أناني لا يفكر إلا بنفسه!

نحن نقول: نعم؛ لابد من التوافق والانسجام، لكن هذه الفكرة لا نصيب لها من الصحة، فالممارسة الحميمة لا يجب أن تكون دائماً برغبة الطرفين، بل يكفي أن تكون كذلك في أغلب المرات. إذ لا يمكن تصور وجود الرغبة في الجماع دائماً في كل مرة يطلبها أحد الطرفين.

عدم الانتباه لهذا المعنى تسبّب في صراعات خانقة بين كثيرين خصوصاً الأزواج الشباب! لأنّ السؤال الملح هنا هو: إذا كان اللقاء الجنسي لا يكون إلا برغبة من الطرفين، فحين تهجم رغبته على أحدهما دون الآخر _بفعل عوامل مختلفة_ كيف يصنع؟ و إلى أين يذهب؟

وها هنا أمر مهم؛ وهو أن رفض الزوجة الاستجابة لزوجها حين يطلبها للفراش؛ بدون عذر شرعي معتبر، هو في الحقيقة إثم كبير، ويُعتبر شرعاً نشوزاً من هذه الزوجة، والنشوز ذنب كبير.

يقول الشيخ الدكتور محمد العمراني: « إذا امتنعت الزوجة من الاستجابة لرغبة زوجها في جماعها، بدون عذر، اعتُبرت ناشزة في حكم الشرع الإسلامي ».[1]

يقول الرسول ﷺ: ﴿ والَّذي نفسي بيدِه لا تُؤدّي المرأةُ حقَّ ربِّها حتَّى تؤدّيَ حقَّ زوجِها، حتَّى لو سأَلها نفسَها وهي على قَتَبٍ لم تمنَعْه ﴾.[2] فهذا الحديث بيّن علاقة حق الله تعالى وحق الزوج، وأن الزوجة لا تكون قائمة بحق ربّها حتى تكون قائمة بحق زوجها.

ثم خص صورة الجماع واستجابة الزوجة له؛ حتى وإن كانت في حالة لا تسمح عادة برغبتها في المضاجعة. وهذا لا يعني أنّ النبي الكريم ﷺ ـحاشاهـ يمنح الزوج البطاقة الخضراء في عدم مراعاة زوجته وظروفها وحالتها النفسية، بل إنّ آدابه عليه الصلاة والسلام وأخلاقه ومبادئ الإسلام تجعلنا نفهم بأنّ الأمر جاء في سياق التوكيد على الزوجة للقيام بحق زوجها.

ولهذا ذكر أهل العلم أموراً لا تكون الزوجة ناشزاً في حكم الشرع حين ترفض طلب زوجها، ومنها « كون الزوج وسخاً قذراً لا يتنظف، ولا يتزين، ويغلب عليه إهمال حاله، وعدم الترفع عن القاذورات، فإن عافته ورفضت طلبه للاستمتاع بها فلا تُعد ناشزة »، أو « قد يكون مصاباً بمرض معدي ناتج عن إهمال نفسه، وعدم ترفعه عن الدناءات فتتأذى بذلك، ولا تطيقه، أو تخاف من انتقال العدوى إليها، فلا تُعد ناشزة إذا امتنعت من تمكينه من الاستمتاع»، أو « قد تتضر من جماعه إياها بأن كان كبير الآلة [أي القضيب]، أو يعاملها بعنف ووحشية وتتأذى بذلك أو يحلقها ضرر وألم بجماعه، فلا تُعد ناشزة إن امتعن من مطاوعته في جماعها ».[3]

والواقع أنّ الزوجين المسلمين لهما في الممارسة الخاصة تفكير مختلف، فهما يستحضران دائماً (البُعد الديني) بينهما، كما قال رسول الله ﷺ: ﴿ في بُضع أحدكم صدقة ﴾. وبهذا حتى في حالة

1 . «فقه الأسرة المسلمة في المهاجر». جـ 2 صـ 82.

2 . « صحيح ابن حبان». القتب هو رحل صغير يكون على الجمل، مثل السرج على الفرس.

3 . هذه الفقرات مقتبسة من «فقه الأسرة المسلمة في المهاجر». جـ 2 صـ 89 وما بعدها.

وجود الرغبة الجنسية فقط من طرف واحد، فإن الآخر يستجيب له بنيّة الاحتساب عند الله تعالى، وتوطيد العلاقة الثنائيّة. و لا شك أن رؤية أحد الزوجين الآخر يستجيب لطلب الممارسة بدون رغبة فعلية منه، له رصيد كبير في المشاعر وتقدير عظيم في الوجدان، إذ إنه يفهم من هذا التصرف النبيل أنه يحبه ويحترم رغباته، كما أنه حريص على إدخال السرور والسعادة عليه.

و من هنا، فلا يمكن تصور زوجين عاقلين ناضجين صالحين يمكن أن يسقطا إلى مستوى العناد في مسألة المضاجعة، أو عدم تقدير الظروف، أو التعّلل بمبررات غير حقيقيّة.

❁❁❁

أوضاع جنسية مثيرة:

أشرنا سابقاً إلى ضرورة وأهميّة التجديد في الممارسة الجنسيّة والتفنّن في أساليبها. وبما أنّ التغيير في الوضعيات يُعد من أبرز معالم هذا التجديد والتفنّن، سنضع هنا مجموعة من الوضعيات المثيرة التي يمكن التّنقل بينها للحصول على متعة أكبر و لتفادي تحوّل الممارسة إلى مجرد آلية باردة.

بالنسبة لنا، نحن ننطلق في التوكيد على أهميّة هذا التجديد والابتكار لوضعيات جنسيّة مختلفة، من اعتبار ـو هذا أشرنا إليه في أكثر من موضعـ العلاقة الحميمة عنصراً جوهرياً في استقرار العلاقة الزوجيّة والتماسك الأسري، ومن هنا تبرز أهمية العناية بها.

لكن أحب أن أنبّه على أن التغيير الظاهري والشكلي في الوضعيات ليس هو العامل الرئيسي في تحقيق رعشة الجنس وتحقيق ذروة النشوة فيه، بل ذلك يرجع إلى مدى التقارب والانسجام النفسي والعاطفي اليومي بين الزوجين، أي بدون ذلك لن يكون للتغير معنى.

هذا التنبيه نابع من أنّ كل جوانب العلاقة بين الزوجين مترابطة لا انفصام لها، بحيث لا يمكن أن تكون هناك علاقة عاطفية جيّدة، مع علاقة جنسيّة سيّئة، أو علاقة جنسيّة ممتازة، مع صراعات وخلافات ضاغطة، أو جفاف قاحل بين الأبوين ونشأة طيبة للأبناء.. إلخ.

سأذكر خمسة أوضاع مختلفة، يمكن الاستعانة بها، وهناك كثير غيرها، ففيما يعشق الناس مذاهب، لكن فيما سأذكره كفاية لمن شاء:

- **(الوضعيّة الأولى)..** وهي أن تستلقي الزوجة على ظهرها ويعلوها الزوج. ولكن يجب أن يحذر الزوج ألا يضع ثقل جسده كلّه عليها، خصوصاً إذا كان بديناً، فهذا سيزعجها جدّاً ولن تستمتع كثيراً. ولهذا ينبغي الاعتماد على الكفين أو المرفقين.
- **(الوضعيّة الثانيّة)..** وهي عكس الوضعيّة الأولى؛ أي أن يستلقي الزوج وتعلوه الزوجة، وتسمّى بوضعيّة الفارسة. وهذه تعطي للزوجة لذة كبيرة جدّاً. ولهذا تفضلها النساء، لأنّ قضيب الزوج يستطيع الوصول إلى داخل المهبل بشكل جيد ومداعبته.
- **(الوضعيّة الثالثة)..** وهي أن تستلقي الزوجة على ظهرها، ثم تضع رجليها على كتفي الزوج، أو بشكل عموديّاً في اتجاه صدره. ويستطيع هو أن يجمع بين فخديها قليلاً عند الإيلاج، لتضييق فتحة المهبل. وبذا تكون اللذة أعظم، لأنّها تكون أشبه بليلة فض البكارة.
- **(الوضعيّة الرابعة)..** وهي مثل الوضعيّة الأولى، ولكن يكون حوض الزوجة على حافة السرير، ورجلاها منصوبتين على شيء ما موازٍ لمستواه، فيأتي الزوج بينهما على ركبتيه، ويُولج قضيبه ببطيء مع مداعبة النهدين. وتسمى هذه الوضعية بوضعيّة الفراشة.
- **(الوضعيّة الخامسة)..** وهي أن يجلس الزوج على حافة السرير أو مسنداً ظهره إلى الحائط، وتأتي الزوجة وتجلس على قضيبه، صعوداً وهبوطاً، وبهذا يستطيع الزوج مداعبة النهدين والشفتين والعنق في نفس اللحظة التي تقوم فيها الزوجة بحركتها.

وبعد: في الممارسة الحميمة مع شريكك من المهم أن تُشعره أنّك له كلّك، أنّه يمتلكك كلّك، أنّه يستطيع أن يفعل بك ومعك ما يشاء، بلا أدنى مقاومة منك. ببساطة لأنّ هذه هي فلسفة الممارسة الجِنسيّة ومعناها الحقيقي بين الزوجين العاشقين.

إنّ حريّة الزوجين في اختيار الوضعية الرائقة لهما، ليس من مبتدعات هذا العصر، بل ما زال الناس منذ قديم الدهر يعرفون ذلك ويجددون فيه. ولذلك تكلم الناس في الموضوع بدون حرج ولا مداراة لعلمهم بأهميّة الجماع والتجديد فيه وآثار ذلك على الكيان الزوجي والأسري.

بل نجد في القرآن الكريم والسنة النبويّة إشارات وتلميحات إلى قضية التغيير والتجديد في الشكل والوضعيات. يقول الله سبحانه: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.(1) فقوله تعالى: «أَنَّىٰ شِئْتُمْ»، يشمل الزمان والوضعيات. فقد ورد في أسباب النزول(2) أنّ يهود كانت تقول: إذا أتى الرجلُ امرأتَه من دُبرها في قُبلها كان الولد أحول! أي يكون ظهرها إلى وجهه فيدخل ذكره من دبرها في فرجها، فإنّ هذا يتسبّب في أن يكون الولد أحول! و هذا من خرافاتهم السخيفة.

فتأمل ـبارك الله فيكـ كيف أنّ الله بجلاله يُنزل كلامَه الخالد لتصحيح جزئيّة معيّنة حول العلاقة الخاصة بين الزوجين! وهذا بلا شك فيه الكثير من الدلالات العظيمة والإيحاءات العميقة من الناحية العقدية والتربوية. فالآية بيان رباني يبيح للزوجين المسلمين أن يفعلا في علاقتهما الخاصة ما شاءا، سواء من حيث الزمان أم من حيث الأشكال والوضعيات، بشرط أن يكون الإيلاج في الفرج. وهذا قول مجمع عليه بين أهل العلم بالتأويل.

1 . البقرة/223. قدموا لأنفسكم: يدخل فيه التسميّة قبل الجماع، واستحضار نيّة الإعفاف، وإنجاب أولاد صالحين,

2 . «لباب النقول في أسباب النزول». جلال الدين السيوطي/ صـ 44/ مؤسسة الكتب الثقافية. 1422-2002.

في هذا الإطار من المهم للغاية التنبيه على حقيقة في منتهى الأهمّيّة بخصوص الممارسة الجنسيّة، وتلك هي قضية (التوافق في القذف أو الإنزال). إن سرعة إيلاج الزوج ذكره في مهبل الزوج، ثم قضاءه وطره، ثم قيامه عنها، هذا التصرف له عواقب خطيرة جدّاً، تبدأ خطورتها بتشوش نفسيّة الزوجة بسبب شعورها بالهيجان الجنسي لكن بدون تحقيق نشوتها منه، ثم ينتقل ـفي حال استمر الزوج يتصرف كذلكـ إلى النفور من الجماع والعمل على اختلاق أي سبب للهروب من مضاجعة زوجها لها، ثم ينتقل الأمر إلى نضوب قلبها من كل شعور تجاه هذا الزوج، فلا تسأل حينها عن البؤس والتعاسة التي تعيش فيها، مهما عجزت عن طلب الطلاق!

من أجل ذلك؛ على الزوج العاقل أن يدرك أن المرأة ـعادةـ بطيئة القذف والإنزال، فهي تحتاج لمدة من التهييج والإثارة لتكون مهيّأة ومستعدة للإنزال. فوجب لهذا، أن يحرص الزوج على تحقيق أقصى درجات التهييج لزوجته، عبر القبلات واللمسات في مختلف مناطق جسدها، حتى إذا أحس بأنّها قد اقتربت إلى قمة الهيجان، فحينها فقط يمكنه أن يدخل ذكره كاملاً، مع ضرورة الاستمرار في عملية التهييج لأعضاء جسدها بالتقبيل واللمس والمص، فإن سبقها بالقذف والإنزال، فليبق ذكره داخل مهبلها، حتى تقضي هي الأخرى وطرها، وعلامة ذلك أن يرتفع صوتها ونفسها، وأن تلتزم جسد زوجها بقوة، وأن تفتر عيناها.

نقل الشيخ العلامة ابن عرضون ـتوفي 992هـ عن بعض العلماء قوله: « وأصل كل عداوة في الغالب بين الزوج والزوجة، عدم الموافقة عند الجماع، فإذا قضى حاجته قبلها، فقد أفسد عليها عقلها ودينها، فربما كرهته وتشوّفت لغيره، وإن وجدت السبيل إلى الفاحشة فعلتها، فينبغي له مراعاة حقها منه، وحقه سيدركه. ولا يحل لمسلم أن يفسد على زوجته دينها، ولا أن يتسبّب في

معصيتها وتشوّفها لغيره. فليقف المؤمن عند العلم، وليتق الله كما أُمِرَ، وأصل كل ألفة ومحبة في الغالب بين الزوجين، حسن الخُلق، وحسن المعاشرة، وحصول الموافقة عند الجماع ».[1]

فتأمل يا رجل هذا التوجيه والبيان، ولا تكن من الجاهلين، فإن جدٌّ ليس بالهزل. على أنّ هذا القول ليس يعني أن يتخذه الزوج ذريعة للإضرار بالزوجة بكثرة الوطء والجماع، فكما أن الإهمال محظور شرعاً، فإن الإضرار بالزوجة بكثرة المضاجعة منهي عنه، وهو أحد وجوه إباحة الشرع للتعدد لمن تكون شهوته الجنسيّة قوية بحيث لا يكتفي بواحدة، وإن أكثر عليها أضر بها. ولهذا أقول بأنها في الحالة الطبيعية لا شيء كالاعتدال، بلا إفراط مضر ولا تفريط مخل.

❁❁❁

ألعاب جنسية جميلة:

التجديد في العلاقة الزوجية العامة أو العلاقة الحميمة الخاصة أمر مهم وضرورة واجبة على كل زوجين يرغبان في استقرار حياتهما الثنائيّة والأسرية. بل يزداد الأمر أهميّة وضرورة في عصرنا الحاضر الذي يضغط بظروفه وملابسات وتسارع أحداثه، وأيضاً بسبب شيوع وانتشار العري والتبرج والإثارة الجنسية بين الفتيات والنساء في كل مكان!

كل هذا ـبلا شكـ يحمل الزوجين الصالحين الذكيين على التفكير الجدي في أفضل الطرق وأمثل الفنون لإنقاذ حياتهما الزوجية، ولإضفاء إشراقات المرح وفيوضات البسمة عليها، ليكون كل ذلك عصمة لهذا الميثاق المقدس بينهما من التدهور والتشوّه والتلاشي. ولهذا سنضع هنا باقة من الألعاب الجِنسيّة التي يمكن الاستعانة بها لإضفاء المرح على العلاقة الثنائيّة.

1 . « مقنع المحتاج في آداب الأزواج ». جـ 2 صـ 655.

- ✓ **(لعبة ربط اليدين)..** يربط الزوج يديْ الزوجة ورجليها إلى قوائم السرير ربطاً خفيفاً، ثم يبدأ في إشعال شهوتها الجِنسيّة ببطيء شديد مستغلاًّ عجزها عن المقاومة، لفعل كل شيء في جسدها الفاتن. ولتفعل الزوجة الأمر نفسه مع زوجها.
- ✓ **(لعبة تغميض العينين)..** تغمض الزوجة عيني الزوج بشيء ما، ثم تضع على منطقة معيّنة في جسدها قليلاً من العسل أو الشوكولاته أو أي شيء آخر، وتطلب منه أن يتناوله بلسانه كلّه. سيضطر لتقبيل ولحس أعضائها كافة حتى يصل إلى موضع المفاجأة.
- ✓ **(لعبة الحمام)..** يُدخل الزوج زوجته الحمام وهي بلباس رقيق شفيف، ويفتح الرشاشة لينزل الماء قليلاً قليلاً على شعرها وجسدها، بعد أن يضبط مستوى دفء الماء. وفي أثناء ذلك يلاعبها ويثيرها في كل مناطق جسمها مع خلع ملابسها ببطيء ورفق.
- ✓ **(لعبة البطاقات)..** خذ ثلاثة علب؛ في الأولى بطاقات صغيرة مكتوب فيها "قبلة، مص". في الثانية أخرى مكتوب فيها "الشفتان، النهدان ". في الثالثة أخرى مكتوب فيها "3،6". ثم تبدأ اللعبة: تأخذ الزوجة/الزوج بطاقة من كل علبة، و ما خرج فيها ينفذه الآخر.
- ✓ **(لعبة العفو والتخيير)..** إذا فعل أحد الطرفين شيئاً مستفزّاً، يُخيّره الآخر إما المقاطعة أو العفو بشرط "20 قبلة" أو "استحم معي" أو "تدليك" أو "أرقصي لي" أو "جماع لمدة ساعتين".. إلخ. هذه اللعبة تُوَلّد التحدي في ابتكار خيارات مثيرة وغير متوقعة.
- ✓ **(لعبة العقوبات)..** يتظاهر الطرف الأول بأنّه غاضب من الثاني، ثم يأمر بعمل حركة واحدة فقط مثلاً "خلع حمّالة النهدين بدون لمسهما"، أو "خلع التُّبان بدون مس القضيب"، أو "لمس جميع الأعضاء بدون تقبيلها" .. إلخ. ثم تتغيّر الأدوار.

ويمكن القياس على ذُكر. لكن من المهم أن تكون هذه الألعاب في فترات متباعدة قليلاً، لكي تحتفظ بحلاوتها وعذوبتها ومرحها. وإلاّ فإنّها مع التكرار المتقارب زمنيّاً تفقد وقعها اللذيذ

في النفس. كما أنّ الغرض من هذه الألعاب هو إضفاء المرح الممتع والتجديد في الإغراء، لهذا يجب أن تُمارس برفق وحنان و بأسلوب المشاغبة والتّشويق وفي أوقات الراحة والهدوء.

❁❁❁

أخطاء مدمرة:

هناك أخطاء يرتكبها كثير من الأزواج خلال الممارسة الجنسيّة تُسهم بنصيب كبير في تدمير علاقتهم الزوجية، بعد أن تكون قد حرمتهم من تذوق لذة الجماع ومتعته الجميلة. وقد نبّهنا على بعضها سابقاً، ونذكر هنا أشياء أخرى بلا ترتيب تكون مثالاً لغيرها:

- ❖ **(من الخطأ المسارعة للإيلاج)..** إذ بمجرد القذف تفتر قوة الرجل فلا يكاد يستطيع أن يفعل أي شيء آخر. فمن المهم أن يحرص الرجل على تأخير الإيلاج ما أمكن، بل بين لحظات وأخرى لا يفعل سوى الكلام مع زوجته قبل مواصلة عملية التهييج. [1]
- ❖ **(من الخطأ تقييد الممارسة زماناً أو مكاناً أو شكلاً)..** فذلك يصوّرها على أنّها وظيفة آلية يجب أداؤها ولا تهم الطريقة، فتتحول إلى رتابة جافة! فمن أبرز عوامل النجاح في الجماع التلقائيّة، إذ هي تساعد الزوجين على الاستمتاع أكثر وبشكل أفضل.
- ❖ **(من الخطأ عدم احترام رغبات شريكك)..** فلا تطالبه بما يكره. مثل مداعبة القضيب أو الفرج باللسان، فبعضهم قد يقبله وآخرون يعافونه، علماً أنه لا يوجد من ذلك مانع شرعي،[1] والأنانيّة تغتال روح ومعنى الجنس الجميل بين الزوجين.

---

[1] . « ميل الرجل للخلود للنوم بعد ممارسة الجماع/الجنس رد طبيعي بسبب التفاعلات الكيميائيّة التي تحدث في المخ . نظريّة الخبراء في هذا المجال، بأنّ عندما يقترب الرجل من ذروة النشوة الجِماعيّة، يتأثر المحفز للناقلات العصبيّة، وهذا يؤدي إلى أنّ الجهاز يتأثر بالكامل، وفي نفس الوقت معدل بعض المواد كيميائيّة مثل سيرتونين و أوكسيتوسين يزداد، وهاتان المادتان لديهما أثر المهدئ عند الرجال. لذلك كثير من الرجال يشعرون بالإرهاق بعد هزّة الجماع، على الرغم بأنّ نفس العمليّة الكيميائيّة تحدث عند المرأة، ولكن التأثير يختلف حيث تجعلها اجتماعيّة أكثر و تسيطر على مادة السيرتونين المولِّد للنوم وتجعلها حيويّة أكثر ». (فنون في غرفة النوم). محمد حسان و آخران/ صـ 287/ شركة مكتبة ألفا/ 1426-2005.

❖ **(من الخطأ أن تعرضي طلباتك أثناء الجماع)..** فذلك يُشعر الزوج بالتهديد والانزعاج الشديد. المشكلة أنّ الزوج ساعتها قد تستبد به نخوة الرجولة فيقوم عن الزوجة دون إتمام عمليّة القذف، لتكون النتيجة هي النفور من الممارسة معها.

❖ **(من الخطأ الاعتذار عن قضاء وطر آخر)..** ففيه إحراج للراغب ومُشعر له باللامبالاة. صحيح أنّنا نشدد على تقدير الظروف، ولكن يجب التذكير بأنّك أنت فقط من يمكنه تلبية رغبة شريكك. إن صبر بضع دقائق أخرى لن يسبّب إرهاقاً كبيراً.

❖ **(من الخطأ عدم التعبير عن الشكر والرضا)..** إنّ كلمة أشكرك حبيبي/حبيبتي لقد كنت رائعاً/ مثيرة، لا تُكلف شيئاً إلا أنّها ذات قيمة كبيرة ولها وقع عظيم في النفس. فبدل المسارعة إلى الحمام أو النوم، توّجا متعة الممارسة بمثل هذه المشاعر الجميلة.

❖ **(طول القضيب أو قصره لا دخل له في اللذة)..** هذه فكرة سخيفة. فرأس القضيب فقط هو الذي يمنح اللذة. وأهيج منطقة تُشعر المرأة بالرعشة هي البظر وهو يقع في باب المهبل، أما منطقة الجي سبوت، فيمكن تهييجها بالأصبع قبل إدخال القضيب.

❖ **(من الخطأ التركيز على لحظة القذف)..** لأنّ القذف تتويج لمسيرة الإثارة والتهييج. فبقدر ما يكون التركيز عليهما لإسعاد الشريك، بقدر ما تكون رعشة القذف أحلى وألذ. أما التركيز على القذف فيُشكل ضغطاً نفسيّاً، فيحدث الاندفاع للتخفف منه بسرعة.

❖ **(من الخطأ الظن أن القذف دليل على قذف الآخر أيضاً)..** فيمكن أن يحدث القذف من الزوجين في لحظتين متقاربتين جدّاً، ويمكن أن يحدث في لحظتين متباعدتين شيئاً ما. فينبغي على الزوج استفسار زوجته عن قذفها قبل أن يقوم عنها.

---

1 . بل الظاهر هو الإباحة ما لم يكن بلع للمني. قال الدكتور محمد العمراني بعد أن استعرض بعض أقول الفقهاء حول المسألة: « ولم أجد في المصادر الفقهية التي وصلت إليها يدي مَن قال بتحريم هذا النوع من الاستمتاع ـيقصد مص الذكر ولحسه من طرف الزوجةـ و إنما المدار في الموضوع حول طباع الناس وقابلية البعض له ورفض البعض الآخر كما سبق القول، ولا عبرة بقول مَن تشدد في الموضوع وحرّمه بدون سند شرعي ». (فقه الأسرة المسلمة) جـ1 صـ518/ دار الكتب العلمية، ط 1/ 1422-2001.

❖ **(عدم إنارة الغرفة خطأ)..** فإذا كانت الزوجة تخجل من رؤية زوجها لجسدها، فلماذا تزوجت أصلاً؟ وهل يحلو الجماع بغير نظر؟ إن إصرار الزوجة على ظلام الغرفة بدعوى الخجل بعد أسابيع وشهور من الزواج، من المؤكد أنّه يُولّد في الزوج نفوراً منها.

❖ **(العناية بنوعية الطعام ضرورة)..** فقد ثبت واقعاً وعلميّاً أن الأكل الصحي والمتوازن يزيد من شهوة الرجل وقدرته الجِنسيّة. وقراءة عدد من المقالات الطبيّة تعطي الزوجة فكرة عن الأكل الذي يحسن بها تقديمه لزوجها، فهي الرابح الأكبر من ذلك.

❖ **(من الخطأ التزام الزوجين ـخاصة الزوجةـ الصمت أثناء المداعبة والتهييج)..** صحيح أنّها تشعر بلذة جميلة ترتسم علاماتها على وجهها، لكن كمال المتعة لا يكون إلا بالآهات الساخنة والكلمات المثيرة. ولهذا فالصمت يحرم الزوجين متعة عظيمة.[1]

❖ **(من الخطأ عدم التحاور حول مسار العلاقة الحميمة)..** فعمليّة التقييم والتقويم لمسارها تساعد على تحقيق نتائج أفضل، وتُبعد شبح الأنانيّة واللامبالاة بالآخر، كما أنها تعزز الثقة بالنفس وتمنح الشعور بالتقدير الذاتي، وكذلك فإنّها تجعل الطرفين أكثر قرباً من بعض.

❖ **(مع وجود الأطفال يجب إغلاق باب الغرفة بالمفتاح)..** حتى وإن اعتقد الزوجان أن الطفل يغط في النوم. فقد يحدث أن يستيقظ ويتوجه مباشرة إلى غرفة أبويه، فيرى مشهد الممارسة، وهذا سيؤثر عليه تأثيراً سلبيّاً ربما مدى الحياة. [2]

❖ **(الغفلة عن النية خطأ كبير)..** ينبغي على الزوجين المسلمين أن يستحضرا النية قبل الجماع، ليحصلا على اللذة والأجر معاً. فهناك نية إعفاف الشريك، ونية إنجاب ذرية صالحة، ونية إدخال السرور على الشريك، نية الحفاظ على كيان الزواج والأسرة.. إلخ [1]

---

1 . سئل الإمام ابن سيرين ﷺ: أيفاحش الرجل امرأته في الجماع؟! فقال: أفحشه ألذه. والفحش هنا المراد به الحركات والوضعيات والكلام الجنسي الذي يكون بين الزوجين.

2 . يروى عن الصحابي الجليل ابن عمر رضي الله عنهما، أنه كان إذا أراد مجامعة أهله، أخرج الصبي في مهده من الغرفة.

تلك جمهرة من أبرز وأكثر الأخطاء التّي يقترفهما كثيرون، ولهذا يحسن بالزوجين العاقلين عدم الوقوع فيها تفاديّاً لحدوث مشاكل وخلافات وهواجس هما في غنى عنها.

❁❁❁

مشاكل عويصة:

العلاقة الجنسيّة بين الزوجين مثلها مثل الحياة اليوميّة العامة، فكما أنّ هذه الحياة اليوميّة تكون أحياناً متناغمة ومنسجمة، وتكون أحياناً أخرى محفوفة ببعض المنغصات، فكذلك العلاقة الحميمة، بسبب سوء تفاهم حدث أو أمراض عضويّة أو ضغوط خارجيّة.

وإذا كان الأزواج الأذكياء يحرصون ويبذلون أقصى الجهد في احتواء المشاكل وتجاوز التحديّات التّي تنغص عليهما فرحة الزواج وسعادة الحب، فإنّهم أيضاً يحرصون ويبذلون أقصى الجهد لاحتواء منغصات المتعة الجِنسيّة بينهما، لكي يعيشاها متعة لذيذة وغراماً جميلاً.

بالتتبع نجد أن منغصات العلاقة الجنسيّة بين الزوجين، أربعة أشياء (**سرعة القذف**)، و (**اتّساع فتحة الفرج**)، و (**البرود الجنسي**)، و (**العيش مع الأهل**). ولهذا سأحاول وضع بعض المعلومات التي أعتقد أنها مفيدة لكل زوجين يجدان شيئاً من هذه المنغصات المزعجة.

(سرعة القذف)

سرعة القذف تعني القذف بعد الإيلاج بلحظات قليلة جداً، لكن ما تعتبره فلانة سرعة قذف قد يكون طبيعيّاً بالنسبة لغيرها. وبما أنّ اعتبار القذف سريعاً أو بطيئاً مرتبط بالمرأة، فلا يوجد وقت محدّد يمكن وضعه معياراً للسرعة أو البطء لجميع الرجال.

---

1 . نقل الشيخ ابن عرضون عن بعض العلماء قوله: « ينبغي للزوج والزوجة دوام المحافظة على السنة والأدب، فإذا فُعلت السنة وحصلت الملاعبة وطابت المواقعة، خرج الولد بحمد الله عاقلاً صالحاً حسناً، والعكس في العكس، فالعقل والحسن من بركة السنة، والجهل والقبح من عقوبة البدعة ». (مقنع المحتاج في آداب الأزواج). جـ 2 صـ 659.

العجز عن الانتصاب هو عدم انتصاب قضيب الرجل بشكل كامل أو تأخره كثيراً، بالرغم من تهييج الزوجة له لمدة طويلة. هذا العجز كما سرعة القذف يتعلّقان بأسبابهما. ولهذا، فهما لا يختصان بفئة عمريّة دون أخرى، ولا بوقت دون آخر، بل متى وُجدت الأسباب وُجدا.

هناك أسباب مختلفة تُحدث سرعة القذف أو عجز الانتصاب، نفسيّة وعضويّة: إرهاق بدني، جفاف عاطفي، إحباط في الحياة، مرض القلب، ضغط الدم.. إلخ. ولهذا من الخطأ السماح لهذه المشكلة أن تشكّل هاجساً مفزعاً. فالتركيز عليها يحوّلها فعلاً إلى مشكلة عويصة جداً.

هذه المشكلة تحدث لمدة محدودة ولأسباب معيّنة، وهذا يعني أنّ الزوجين لديهما القدرة على حلّ المشكل وتفادي آثاره بنسبة كبيرة. علماً أنّ مشكلة القذف أو الانتصاب لا يمكن حلّها بين عشيّة و ضحاها، فالأمر يحتاج لبعض الوقت مثل باقي المشاكل الصحيّة أو النفسيّة.

وينبغي التنبيه على أن سرعة القذف أو عجز الانتصاب، لا يكونان دائماً حقيقين، بل قد يكونا مجرد وهم يُقنع به الزوج نفسَه، فيتصرّف كما لو أنه فعلاً يعاني من سرعة القذف أو عجز الانتصاب، خصوصاً إذا ضاعفت الزوجة إحساسه بالمشكلة بسوء تصرفها أو تلميحاتها!

في هذا السياق يقول الدكتور فريدريك كهن: « عديدون هم الرجال الذين يشكون العجز، لا عن تقصير جنسي حقيقي، بل إن خوفهم من العجز كان السبب الرئيسي، ولما قرأوا الاعلانات المغرية دفعوا ثمناً باهظاً لقاء هذا "الاختراع الحديث" وكلهم أمل بالشفاء، وتمت الأعجوبة وبرئوا فقط لمجرد الايمان بالشفاء! ».[1]

من أهم ما يجب على الزوجة في حال كان زوجها سريع القذف أو يعاني من ضعف الانتصاب هو دعمه وتشجيعه والصبر معه وتهوين مصابه. ومن المفيد أن يتحدث الزوجان عن

1 . «حياتنا الجنسية: مشكلاتها وحلولها». صـ 34/ المكتب التجاري للنشر والتوزيع، بيروت، ط 19/ 1402-1982

المسألة بدون خجل ولا مداراة، فكل إنسان مُعرّض للبلاء. ومحاولة تحديد أسبابها والعمل على التقليل منها وتفاديها، تصرف يقوم به العقلاء.

بخصوص سرعة القذف يمكن للزوج إشغال نفسه خلال الممارسة بشيء غير الجماع، كأن يعد عدّاً عكسيّاً (عشرة، تسعة، ثمانية..) أو أن يفتح مع زوجته موضوعاً لإشغال تفكيره. أما ضعف الانتصاب، فيمكن إطالة مدة الاستثارة، ثم استثارة منطقة الجي سبوت بالإصبع لتحصل الزوجة على القذف، ثم العودة للتهييج من جديد.

فإذا بقي المشكل لمدة طويلة، لا يجب الشعور بالإحباط واليأس، بل يجب المسارعة إلى طبيب أخصائي ثقة للمساعدة في حل المشكلة. فهذا ليس حراماً ولا عيباً ولا طعناً في رجولة الزوج. وقد قال رسول الله ﷺ: ﴿ ما أنزَلَ اللَّهُ داءً إلَّا أنزلَ لَه شفاءً ﴾.[1] والمسلم يقوم بما يستطيع متوكلاً على الله ﷻ ومحسناً الظن به متضرعاً إليه.

(اتساع المهبل)

مشكلة اتساع فتحة المهبل من المنغصات المزعجة التي تحول بين الزوجين وبين الاستمتاع جيّداً. والمشكلة أنّ بعض الزوجات تلاحظ نفرة زوجها من مجامعتها، وقد تضع مختلف الاحتمالات لذلك، إلا احتمال هذه المشكلة! لكن ما ينبغي التوكيد عليه هو أنّ هناك حالات طلاق ترجع أسبابها إلى مشكلة اتساع المهبل. والواقع أن هذه مشكلة قديمة وليست حديثة.[2]

وبعض النساء تدرك مكمن الخلل والمشكلة، لكنها ترفض البحث عن إصلاحه بطرق صحيحة صحيّة! أو تتعلّل بأن الأمر متعلق بكثرة الممارسة والإنجاب من الطبيعي أن يتّسع المهبل! وقضية

1 . «صحيح البخاري»

2 . هذه مشكلة قديمة، فنجد في كتب المنثورات الأدبية العربية، أنه كانت هناك امرأة ذات جمال بارع، لكنها كانت سريعاً ما يُطلّقها أزواجها. فسئلت عن السبب، فقالت: (يحبّون الضيق، ضيّق الله عليهم قبورهم)، أي يحببون ضيق الفرج، وهي ليست كذلك.

ربط اتّساع الفرج بكثرة الممارسة أو الإنجاب، أمر طبيعي، لكن ما ليس طبيعيّاً هو الاستسلام لها، أو اعتبارها خطراً محدقاً بالكيان الزوجي والأسري!

على أنّنا نتوجه إلى الزوج لنؤكد عليه ضرورة مواجهة المشكلة بوضوح وصراحة وشجاعة، إذ إن مبدأ دسّ الرأس في الرمال أو فكرة الانسحاب من ساحة المواجهة لتفادي رؤية الخطر ووقوعه، لا يُبعده عنا. ولهذا ينبغي أن تتفهم حالة زوجتك وتُقدّر انزعاجها من المشكلة، ثم تحرص على أن تجدا معاً حلاًّ مناسباً، ولو باستشارة أخصائي.

يقول الدكتور فان دي فيلد: « نتحدث عن تغيّرات المهبل والفرج على مرّ السنين. وهي تزداد وضوحاً كلما تقدم العمر، لاسيما إذا استمرت المرأة في مزاولة النشاط الجنسي. ومع ذلك فإنّ مجرد الولادة بضع مرّات يعقبه ارتخاء وعطب وانحلال ظاهر. وينتج عن تكرار الولادة تفرطح وسائد الجدران المهبليّة وارتخاؤها وتهدل الممر نفسه (يقصد فتحة المهبل). ولكن يمكن تقليل هذه المساوئ باتباع أسباب الوقاية السالفة: خياطة الجروح (يقصد بعد الولادة) بدقة وسرعة مهما كانت صغيرة. والرياضة البدنيّة لتحريك عضلات الحوض... فيجب على المرأة أن تهتم بهذه التغيرات في الحمل وبعد انقطاع الطمث ».[1]

(البرود الجنسي)

البرود الجنسي من المرأة أو الرجل هو الضلع الثالث في مثلث المشاكل الجنسيّة العويصة التي تصادف بعض الأزواج، فيُحوّل زواجهم إلى شبح بلا روح، وعلاقتهم إلى رباط بلا معنى، وحياتهم إلى ملل قاتل ورتابة كئيبة، فهم يتمنون الفراق رغم رغبة البقاء!

---

1 . (الزواج المثالي). فان دي فيلد/ ترجمة محمد فتحي/ مؤسسة الخانجي.

مشكلة البرود الجنسي مثل مشكلة سرعة القذف أو ضعف الانتصاب أو اتساع المهبل، لا تتعلّق بمرحلة عمريّة معيّنة، بل يمكن أن تصيب الشباب والمتقدمين في العمر. كما أنها مشكلة تتعلّق بوجود أسبابها الموضوعيّة، فمتى وُجدت هذه الأسباب حدث البرود الجنسي!

وسأذكر في هذا الإطار مجموعة من الأسباب التي تسهم في حدوث البرود الجنسي:

1. **(الإرهاق والإنهاك)..** فالزوج الذي يعمل لمدة طويلة خلال اليوم أو الذي يكون عمله شاقاً، يصعب عليه الاستجابة لمجامعة زوجته. والزوجة التي تُنْهِك نفسها في أشغال البيت ومع الأطفال بشكل يومي يعسر عليها أن تستجيب لمجامعة زوجها.[1]
2. **(الجفاف العاطفي)..** فالشريك الذي يشعر بالنقص في إرواء احتياجاته العاطفيّة والنفسيّة، يصعب عليه أن يستجيب لممارسة الجماع مع شريكه. لأنّ العاطفة هي وقود الجنس الناجح، فإذا فُقدت لا يمكن أن تكون هناك رغبة صادقة جنسيّة.
3. **(الخوف من الفشل)..** فالطرف الذي يخاف من الفشل، ويُرَسّخ في نفسه أنّه لن يكون في مستوى توقعات شريكه الجنسيّة، يعسر عليه أن يستجيب لممارسة الجماع مع هذا الشريك، لأنّه علاوة على الحكم عليها مسبقاً بالفشل، يخشى من تدهور علاقته به.
4. **(التشوش الذهني)..** فالطرف الذي يُغرق نفسه في دوامة مشاكل الأولاد، مشاكل النفقات والمصروفات، مشاكل العمل والواقع، مشاكل الخلافات.. إلخ، يكون ذهنه مشتّتاً ونفسيّته محبطة، فلا يجد القدرة ولا الرغبة في الجماع مع شريكه.
5. **(ترسبات لاشعوريّة)..** فالشريك الذي يعيش يومياً بذهنه في فكرة أنّ الجنس شيء كريه أو إذلال مقيت، أو يعيش في ماضيه المحزن كنشأة أسرية قاسية أو طليق عنيف أو خيانة عاطفية.. إلخ، مثل هذا الشخص تكون رغبته الجنسيّة غير مستقرة.

---

1 . تناقلت وسائل الإعلام تقارير عن ضعف و تراجع العلاقة الجنسية بين اليابانيين بسبب شدة انهماكهم اليومي في الشغل!

6. **(تباعد فترات الجماع)..** فالزوجان اللذان تكون فترات الجماع بينهما متباعدة جدّاً بسبب شغل الزوج الذي يستنزف الوقت والجهد، أو الخلافات اليوميّة، مع مرور الوقت قد تضعف رغبة الزوجة بشكل خاص في الجماع، فلا تستطيع التفاعل مع زوجها.
7. **(أمراض مزمنة أو قاسية)..** هناك أمراض عضويّة وأيضاً هناك أنواع من الأدويّة تؤثر بشكل سلبي على صاحبها فتُضعف رغبته وشهوته بشكل حاد، خصوصاً مع التقدم في العمر، أو عندما يطلب الطبيب بشكل مباشر التقليل والحذر من الجماع.

على أنّ ما يجب فهمه أيضاً حول هذه المسألة هو أنّ البرود الجنسي لا يوجد له مقياس محدّد، بحيث يمكننا أن نطبّقه على جميع الأشخاص، لأنّ شهوة الجنس مثل باقي الشهوات، تختلف من شخص لآخر. فما يراه فلان بروداً جنسيّاً قد يعتبره آخر تفاعلاً لا بأس به.

من أجل ذلك، ينبغي على الزوجين أن يتحدّثا بوضوح وصراحة حول هذه المسألة، سواء كان الأمر متعلّقاً بالزوجة أم بالزوج، وأن يبحثا الأسباب والعوامل المساهمة في حدوث البرود الجنسي، ومن ثم الاتفاق على التعاون لإيجاد حلول ناجعة وإيجابية.

(العيش مع الأهل).. هذه المشكلة يعاني منها بشكل خاص كثير من الأزواج الشباب، بحكم أنهم يكونون في بداية مشوار بناء حياتهم المادية، أو يكون دخلهم قليلاً، أو لا يكون هناك مَن يقوم برعاية الوالدين، فيضطرون للعيش في بيت الأب.

والحقيقة أنها مشكلة خانقة جدّاً، خصوصاً للأزواج الشباب الذين تكون لديهم رغبة قوية جدّاً في حياة زوجيّة مفعمة بالرقة والرومانسيّة، وكل ما يرتبط بذلك مما سبق أن ذكرنا كثيراً منه، فإذا بهم يجدون أنفسهم مرغمين على خنق تلك الأشواق الملتهبة في نفوسهم!

ويزداد الأمر سوءاً، حين يكون في البيت إخوة وأخوات. فهنا بالرغم من استقلال الزوجين بغرفتهما الخاصة، إلا أن الأنظار تكون مركزة عليهما، فدخول أحدهما الحمام يعني تلقائياً الاغتسال من الجنابة، رغم أنها ممارسة تمت بصمت وحذر شديد!

كما أنّ بقاءهما في غرفتهما خلال النهار لمدة يعني للآخرين أنهما يقومان بشيء ما (جنسي) بينهما. ولاشك أن هذا يضغط على الإخوة والأخوات، لأنه يحرك فيهم وفيهن أشواقاً ورغبات وشهوات، كما أنه يُشعر هذين الزوجين بالضغط والحرج البالغ!

في الواقع، أنا دائماً أقول للشباب: إن وجدتم القدرة للاستقلال ولو مع معيشة بسيطة وعادية، فسارعوا بالاستقلال بأنفسكم، فلا يعدل الحرية شيء أبداً، بل يجب العمل على تحقيق هذا الاستقلال. اللهم إلا ألا يكون هناك مَن يقوم بالوالدين المسنين، فهنا يجب عليكم شرعاً وأخلاقاً أن تتنازلوا عن كثير من الأحلام والأشواق والرغبات.

إذن لا حل لهذه المشكلة بالنسبة لمن اضطر إليها إلا الصبر والتضحية، أو عدم الزواج نهائيّاً خصوصاً مع وجود إخوة وأخوات في البيت، حتى يجعل الله تعالى من لدنه فرجاً ومخرجاً. أهم شيء هنا، عند مَن قرر خوض المغامرة هو الاحتساب عند الله تعالى، والتكيّف مع الواقع القائم، لكن مع العزم على الاستقلال متى أمكنت الفرصة.

كما أنّ وظيفة الزوج في هذه الحالة عظيمة جدّاً، فعليه أن يهوّن على زوجته ما أمكن، وأن يعوضها ـ معنوياً وعاطفيّاً ـ ما أمكن، وأن يعذرها في بعض ثورتها وانزعاجها، فهي إنسان وهي أنثى. وأيضاً على الزوجة أن تتفهم الأوضاع وأن تتعاون مع زوجها حتى يأتي الله بالفرج.



خـــــــاتمة

بعد هذه الرحلة الطويلة شيئاً ما، والتي حرصنا خلالها على التنقل بين فضاءات مختلفة في عالم العلاقة الزوجيّة، أذكّر بما بدأت به: أيها الزوج، أيتها الزوجة، ليس واجباً عليكما أن تعيشا حياتكما الثنائيّة كما يعيشها الآخرون البؤساء، بل أنتما حقاً تستحقان حياة زوجيّة هانئة وطيبة وندية وسعيدة. حين تتخذان هذا القرار النبيل، فذلك لا يعني أن حياتكما ستكون خالية من بعض الخلافات وشيء من المنغصات، بل يعني فقط أنّ لديكما من النضج والوعي والنباهة والتقوى ما يجعلكما تحسنان التعامل مع هذه المنغصات وتلك الخلافات، ولن تسمحا لهما أبداً بسرقة سعادتكما واغتيال عواطفكما ونسيان غايتكما النبيلة والمقدسة

والله الموفق.

وآخر دعوانا ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

